الإسلام الممتحن

لفقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني رحمه الله
(منشئ مجلة "البعث الإسلامي" - الهند)

تقديم العلامة الإمام الشيخ
السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله

الناشر
مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد
لإحياء المعارف الإسلامية

www.abulhasanalinadwi.org

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة السادسة

١٤٣٧ من الهجرة – ٢٠١٦ من الميلاد

Rs.130/-

الناشر

مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد
لإحياء المعارف الإسلامية

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

هذا الكتاب تعود قصته الى إبريل ١٩٥٤م

وذلك حين نشرت مجلة "المسلمون" في القاهرة أول مقال لصاحبه وهو في العقد الثاني من عمره، تحت عنوان "العالم الإسلامي على مفترق الطرق".

وكان أخير ما صدر عن هذا القلم عند كتابة هذه السطور مقالة عن الإمام الشهيد تحت عنوان "حسن البنا في محراب التاريخ الإسلامي" وهي ضريبة حب أحببت أن أدفعها -وإن تأخرت- راضيا مسرورا، ومع ذلك الفاصل الطويل بين عام ١٩٥٤م وعام ١٩٧٥ الذي ليس طويلا بحساب الزمن بقدر ما هو طويل بحساب المد الفكري وانحساره -جاءت هذه المقالات أو الافتتاحيات التي نشرت في مجلة "البعث الإسلامي" في أوقات متفاوتة، وتنوعت موضوعاتها وظروفها وملابستها، تضرب على وتر واحد، وتربطها رابطة واحدة، يطيب لي أن أعبر عنها برابطة "الحب في الله والبغض في الله".

وذلك كله دفعني إلى أن أتوجه بهذا الكتاب إلى من علمني الكتابة وأنشأ في نفسي -إلى جنب والدي رحمه الله- حب هذه اللغة الكريمة

www.abulhasanalinadwi.org

وحب أهلها، وحب الإسلام والمسلمين والاهتمام بشئون العالم الإسلامي الفكرية والإجتماعية والسياسية، وهو عمنا سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي أطال الله بقاءه، فتفضل مشكورا بتقديم هذا الكتاب.

والله تعالى أسأل أن ينفع به كاتبه وقارئه، ويجد فيه الشاب المسلم الحائر ما يعيد ثقته بهذا الدين، ويقوى إيمانه بالله، ويشرح صدره للإسلام، ويثبت أقدامه في صراع الحق والضلال، والنور والظلام.

وقفة قد يقفها القارئ حين لا يرى في هذه المقالات وقد كتبت في أدق فترة وأحرجها في تاريخ هذه الأمة الحديث انعكاسا لهذه الحوادث ودراسة لهذه الأوضاع، وتفسيرا لهذه التطورات التي شهدتها أرض النيل، لا سيما اذ أخذت هذه الحوادث والتطورات "وأبطالها وشخصياتها" بوجه خاص قسطا كبيرا من وقت الكاتب وقلمه، وموعدنا مع هذا الجزء الهام من التاريخ في كتاب مستقل أسميته "مصر تتنفس" ولعلها تنفست، ولعلها تستجيب، وموعدنا مع هذا الكتاب الجديد -اذا شاءت ارادة الله وحكمته وسمحت مصر الموقرة وسمحت- قريب.

لكهنؤ (الهند) | محمد الحسني

غرة ربيع الأول ١٣٩٥هـ

www.abulhasanalinadwi.org

تقديم الكتاب

(العلامة الإمام الشيخ أبو الحسن على الحسني الندوي)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد، فقد بقيت فترة من الزمن، أهيب تقديم هذه المجموعة من مقالات ابن أخي محمد الحسني، التي أسماها "الإسلام الممتحن" وما كان تقديم الكتب والمؤلفات لمشاهير الكتاب والمغمورين منهم، بدعا من الأمر، بالنسبة إلي، حتى خفت أن يطغى التقديم على التأليف، وأتهم بالتوسع والسخاء في تقديم الكتب وتصديرها، وما ذلك إلا لأن الصلة بيني وبين صاحب هذا الكتاب صلة الأب بالإبن والأستاذ بالتلميذ، وكنت أشعر – وأنا أحدث نفسي بكتابة هذا التقديم– بأني أقدم لكتاب من كتبي، وأتورط بذلك أحيانا في الإعتراف لنفسي بالإجادة والتوفيق والتهنئة والتقريظ، وذلك مما لم تستحسنه الشرائع، وعلم الأخلاق، والآداب السليمة، وتحاشيت عنه بقدر الإمكان.

ثم حاسبت نفسي على هذا الشعور، محاسبة أمينة محايدة، وحللته تحليلا نفسيا، فوجدت أن نصيب العاطفة فيه أكبر من نصيب العقل، والخوف من قالة الناس وحديثهم قد غذى هذا الشعور، وأفاض عليه لونا خلقيا، ورأيت أنني اذا استسلمت لهذا الشعور، فقد فرطت في تأدية أمانة والقيام بشهادة، والشهادة للأقربين ليست أقل وجوبا من الشهادة على الأقربين، فإن الله

www.abulhasanalinadwi.org

تعالى حين يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين[1]﴾ فإنه يقول كذلك: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل، إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا[2]﴾.

ثم إن قصة البيئة التي نشأ فيها الكاتب، والعوامل التي كونت هذه العقلية التي صدرت عنها هذه الفكرة، والدوافع التي دفعته إلى كتابة هذه المقالات، والتركيب النفسي والمزيج الثقافي الحضاري الذي ورثه عن آبائه، وتلقاه من مجتمعه، والأحداث الجسيمة الأليمة التي وقعت في الوطن الإسلامي الكبير، فعاصرها وعاشها، واكتوى بنارها، وساهم في عارها، لا يحسن حكايتها إلا من شهد فصولها، وخاض معركتها، وساير ركبها، وقد كان في بعض الأحيان شاهد عيان، والسابق إلى الميدان.

إن صاحب هذه المجموعة نشأ في بيئة آمنت بأن الإسلام هو رسالة الله الأخيرة الخالدة، وأنها هو الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، والسعادة التي ليس وراءها إلا الشقاوة، أنه للإنسانية كسفينة نوح، لا ينجو إلا من ركبها وآوى إليها، وأن نهاية كل من استغنى عنها واعتصم بجبل، نهاية ولده الشارد المارد الذي قال ﴿سآوى إلى جبل يعصمني من الماء﴾ وكان جواب نوح ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله﴾ وكان عاقبته أن حال بينهما الموج فكان من المغرقين.

وآمنت بأن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي العربي –صلى الله عليه وسلم– خاتم الرسل، وإمام الكل، ومنير السبل، لكل عصر ولكل جيل، وأن الله قد ربط مصير العرب بمصير الإسلام، وعقد

[1] سورة النساء الآية ١٣٥.
[2] سورة النساء الآية ٨٥.

www.abulhasanalinadwi.org

ناصيتهم به، فلا عز لهم ولا سعادة، ولا نهوض لهم ولا قيادة، إلا بالانضواء إلى رايته، والانصهار في بوتقة تعاليمه، والتفاني في سبيله، وإن أعدى عدو لهم من ينادي بالجاهلية، ويهتف بالقومية والعنصرية، أو الوطنية والإشتركية، أو فلسفة من الفلسفات الملحدة، فيحاول أن يحول بينهم وبين الإسلام.

وآمنت بأن الإسلام وحدة لا تتجزأ، ومنهج للحياة كامل شامل، وأنه عقيدة وأخلاق، وسياسة وعلم، وعقل وعاطفة، وحضارة وثقافة، وله موازينه الخاصة، وقيمه المعينة، ومقاديره المحدودة، ومقاييسه المعروفة، ولا يحتاج إلى تلفيق أو تطعيم، أو مساومة أو تنازل.

إنه قد عاش في ظلال تاريخ الدعوة الإسلامية، وقصة بطولاتها ومعجزاتها وصنائعها وعجائبها، تتلى في بيته وأسرته الملاحم الإسلامية التي نظمها بعض أفراد أسرته المتقدمين في الشعر الأردي القوي المثير، مقتبسة من فتوح الشام للواقدي والأغاني الشعرية الخاصة بالسيرة النبوية وأخبار الصحابة وفضل الحضارة الإسلامية ودور العرب في بناء العالم الجديد، وإنقاذ الإنسانية من أعدائها، فامتزج كله بلحمه ودمه، وتكونت به عقليته ونفسيته، وأحب الرسول وأصحابه والعرب حبا لا يمكن تجريده منه في مرحلة من مراحل الثقافة، وفي فترة من فترات الحياة، وفي بيئة من البيئات، وأصبح هذا الحب، وهذه العاطفة تلهب شعوره، وتدفق قريحته، وتجري قلمه، وأصبحت له مصدر الإلهام ومنبع الإيمان والحنان.

إنه ولد في أسرة كان شعارها منذ زمن طويل، الجمع بين العقيدة السلفية النقية، وبين الربانية الصحيحة الصافية، وبين الزهادة والعبادة، وبين بذل الجهد لإعلاء كلمة الله ورفع راية الجهاد حينا بعد حين، والسعي الحثيث في الجمع بين إشراق القلب وصفاء الروح وقوة العاطفة،

www.abulhasanalinadwi.org

وبين التفنن في العلوم والذوق الأصيل للأدب والشعر، وأورث كل ذلك من تراث وتاريخ ودم وعرق تقديره لاكسير الحب وقوة العاطفة، وسلم بذلك من الجفاف الروحي والاستخفاف بالعاطفة وإالحاجة إلى تزكية النفس والشحنة الإيمانية الروحية، الاستخفاف الذي أصبح شعار الكتاب والدعاة في عصره، الذين نشأوا بعيدين عن هذه البيئة الجامعة والتربية المزدوجة.

إنه نشأ وترعرع في عصر تغني بشعر إقبال، وكانت له فيه دولة وصولة، وهو شعر الحب والطموح، وشعر الإيمان والحنان، وشعر الثقة بصلاحية الإسلام، والإيمان بخلوده، فأساغه عقله المتفتح وذوقه الناشي، وجعله جزءا من أجزاء ثقافته وأساسا من أسس تفكيره.

إنه نشأ في حجر والد مؤمن جمع بين سلامة العقيدة وقوة الإيمان والقلب المتفتح والعقل النير الواسع، والعلم الحديث الأحدث وحب الواقعية والجد، لا يرى تناقضا بين العلم والدين والقديم والحديث، وقد اقتبس من الثقافتين: القديمة والحديثة والغربية والشرقية، أفضل عناصرهما أجملها، فمزج بينها مزجا جميلا، فأصبح برزخا بين بحرين لا يبغيان، شديد الحب لله ولرسوله ولعشيرته وقومه وللغته ولبلاده، شديد البغض شديد البرءاة عن كل ما يخالف الدين الحنيف من عقائد وأعمال وفلسفات واتجاهات، عميق الفهم للإسلام، و وثيق الصلة بمنابعه الأصيلة الصافية، شديد الغيرة على الإسلام، عظيم الحب لمركزه ومقدساته، متقشفا في الحياة الفردية، متوسعا في فهم القضايا العلمية والإسلامية، شديدا في الحدود والنصوص، مرنا في المباحات والإستفادة بالحكمة والتجارب.

ذلكم أخي وأستاذي ومربي عقلي وثقافتي، ذلكم والد هذا الكاتب العزيز الدكتور عبد العلي بن العلامة عبد الحي الحسني.

www.abulhasanalinadwi.org

نشأ هذا الشاب تحت ظلال هذه التربية وفي حجر هذه البيئة، ثم لما عقل وثقف وعاصر الأحداث، فتح عينيه على مجتمع إسلامي حائر بين الإسلام والجاهلية والدين والعلمانية، قادة الفكر فيه مذبذبون وأولياء الأمور فيه مضطربون، وأكثرهم منافقون، يتخذون الدين حيلة و وسلية للوصول إلى أغراضهم، والهتاف بالإسلام سلما للوصول إلى كراسي الحكم، وقنطرة للعبور إلى شاطئ السيادة والقيادة والركوب على أعناق الشعوب المسلمة الساذجة التي لا تفهم إلا لغة القرآن والحب والحنان، ولا تتحرك ولا تتحمس إلا بحكايات الصحابة وأبطال الإسلام وفضائل الجهاد والشهادة.

إنه أحب اللغة العربية من صباه، وحب الصبا شديد، وأحب أبناءها وكل ما يمت إليها بصلة، وكان يتمثل العرب في قصص الرعيل الأول للإسلام وطليعة الدعاة والمجاهدين، الذين سمع حكايات بطولاتهم وفدائهم في قصائد الملحمة الإسلامية، فآمن بأنهم لا يزالون سائرين على دربهم، لا يعدلون بمحمد –صلى الله عليه وسلم– إنسانا، وقائدا، وإماما، ولا يعدلون بالإسلام دينا، ومنهجا، وبالقومية الإسلامية قومية.

فلما صار يعي ويشدو، ويقرأ ويكتب، فتح عينيه على كتابات للعرب، لو كتبت تحتها أسماء الكتاب الأوربيين والمؤلفين المستشرقين والدعاة المنحرفين لم يكن بعيداً، ولما كان بين هذه الكتابات وبين شهرة هؤلاء الكتاب ودعوتهم فجوة ومنافاة، رأى أن كثيراً من هؤلاء الكتاب العرب ينظرون إلى الإسلام كدين أدى دوره وبطارية قد نفدت شحنتها، فليس من العقل والكياسة التشبث به والدعوة إليه، ومواجهة الواقع والعصر الراقي بحلوله وأحكامه، وخيرهم من ينظر إلى الإسلام كدين من

www.abulhasanalinadwi.org

الأديان الكثيرة ومنهج للحياة من مناهجها المتنوعة، وخيرا أحواله أن يسمح له بالبقاء في دائرة ضيقة محدودة وفي حياة فردية سليمة.

وكان كل ذلك مفاجأة أليمة لم يكن يتوقعها بل لم يكن يتصورها في بيئته التي صورت له الإسلام كدين حي خالد، خليق به ليقود ويسود، والعرب كرائد أول وقائد أفضل لهذه الدعوة الإسلامية، في مشارق الأرض ومغاربهاو وكانت صدمة عنيفة لعقله وقلبه.

ثم جاءت الفترة الحالكة التي هبت فيها عاصفة القومية العربية الهوجاء في الخمسينات الأولى، وقع أكثر أبناء العرب وشبابهم وكثير من كهولهم وعلمائهم تحت تأثير قيادة ترى التخلص من أثر الإسلام في النفوس والعقول والحياة الاجتماعية والسياسية أهم وأقدم من محاربة الصهيونية واستعادة المقدسات الإسلامية، وترى إزالة هذه الأنقاض أوالركام – على حد تعبيرها – شرطا لبناء المجتمع الجديد، وازالة آثار العدوان الأجنبي، وتحل القومية العربية والإشتراكية العلمية محل العقيدة الإسلامية والدعوة الإسلامية، لها كل ما للدين من إيمان وحماس، وعصبية وحمية، وتعتمد على الهتافات والدعايات، والدعاوى الفارغة، ما لا تعتمد على السلاح والقوة الحربية والروح المعنوية والإيمان الراسخ، وكانت فتنة عمياء، أعمت، وأصمت، وسحرت العقول والنفوس، وقلبت الحقائق، وأنكرت البديهيات. وكانت موجة عارمة في الشرق العربي، اكتسحت الصحافة والأدب ودور العلم ومراكز النشر، وما صمد في وجهها إلا أفراد قلائل يعدون على رؤوس الأصابع. وكانت مجابهتها ونقدها العلمي مثل"كلمة حق عند سلطان جائر" فقد تجاوب معها الشباب المتحمس الطموح، والصحافة القوية التي سميت في الغرب بـــ "صاحبة الجلالة". في كل هذه الظروف والملابسات الدقيقة المثيرة وفي هذه البيئة الحساسة

www.abulhasanalinadwi.org

المكهربة، أمسك الكاتب الناشئ صاحب هذه المجموعة الذى كان لا يزال في شرخ الشباب قلمه ليخط مقالات افتتاحية لمجلة"البعث الإسلامي" التى كان يرأس تحريرها على حداثة سنه، ليعبر عن شعوره الجريح الفياض، وقلبه المكلوم المتألم، ويدافع عن الفكرة الإسلامية التي آمن بها واحتضنها، وأحبها ويذكر العرب بصفة خاصة برسالتهم وبتاريخهم وبمركزهم في العالم، وميزاهم بين الأمم، وبالدور الذي يستطيع الإسلام أن يمثله في هذه المعركة الحامية، والساعة الدقيقة الحاسمة، والجور الذي يجب أن يمثله العرب، على المسرح العالمي الذي أصبح مركزا بمسرحيات الهازلة والتمثيليات السخيفة، وكانت الأمم والبلاد كرة دائرة ودمى متحركة فيها، لا تملك ارادة، ويذكر المسلمين برسالة الإسلام الأصلية الخالدة وفضلها وقيمتها و العناصر التى تركبت منها، وحاجة الإنسانية إليها وينقل إليهم همساقا ودقات قلبها، حين تراهم قد تخلوا عن مركزهم في القيادة وجروا وراء القيادات الزائفة، وتطفلوا على مائدقا، ويدعو إلى الإسلام الكامل الذي يعطي كل ذي حق حقه، وينير العقول، ويشعل مجامر القلوب، ويهذب الأخلاق، وينظم الحياة، ويضبط الأمم، ويقود المدنية، ويشعل المواهب، وينشئ الرجال، ويربي القادة والعباقرة، لا هو جاف خشيب، ولا هو رقيق مائع، ولا هو رهبانية وهجر للدنيا، ولا هو مادية وهامة للحياة، انما هو الدين الذى جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – ونطق به القرآن، وتمثل في حياة الصحابة، والقرون المشهود لها بالخير، والتابعين لهم باحسان، من الجامعين بين العقل والقلب والعقيدة والعمل، والجهاد والربانية.

وكان متأثرا في كل ذلك بطبيعة الحال بالبيئة التي نشأ فيها، ودعوة المجدد الكبير والمجاهد العظيم السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد الذى

www.abulhasanalinadwi.org

كان من سلفه وعظماء أسرته في الماضي القريب[1]، وبفكرة "الإخوان المسلمون" ورائدهم الإمام الشهيد حسن البنا الذي تعرف به وأحبه عن طريق عمه كاتب هذه السطور، الذي كانت له صلات وثيقة بأصحاب هذه الدعوة وزملاء الفقيد الشهيد وتلاميذه النجباء، فتجلى تأثير كل هذه العوامل القوية والدراسات العصرية ومطالعة الكتابات الإسلامية التي أنتجتها هاتان الحركتان القويتان، في المقالات التي كتبها بين آونة وأخرى، وتتكون بها هذه المجموعة. وأحدثت هذه الجوانب المتناقضة — جانب تربيته ودراسته الإسلامية وجانب الواقع المرير والمشاهد القاسي — صراعا في نفسه حول قلمه إلى شلال يتدفق بقوة، وينحدر بقوة، فصدرت هذه المقالات، في أسلوب قوي ملتهب، هو نتيجة كل صراع نفسي، رافقته قدرة بيانية، وقلم سيال رشيق، وثروة لغوية، وهذا الأسلوب له قيمة في إيقاظ الشعور و في تحريك النفوس والعقول، ومحاربة "مركب النقص" وإعادة الثقة بصلاحية الرسالة والأمة والاعتزاز بالقيم والمفاهيم، خصوصا إذا كان مدعما بالدلائل والوثائق، ومسلحا بالشواهد والتجارب، وهي طليعة كل اصلاح وانقلاب، ورائد كل نهضة وتقدم، وهو الأسلوب الذى استعان به الخطباء والكتاب في العصر الإسلامي الأول واستعان به السيد جمال الدين الأفغاني وصاحبه الشيخ محمد عبده في مقالات "العروة الوثقى" التى أشعلت العالم الإسلامي حماسا وحمية وحملت الحكومات الغربية الاستعمارية على منع دخولها، في الأقطار التى كانت تحكمها، ولعبت دورا لا يستهان بقيمته في إيقاظ الشعور الإسلامي وإيجاد الوعي السياسي.

مع هذه السمة البارزة لهذه المقالات فانها تدعو إلى التأمل العميق، وتغذى الفكرة، وتفتح آفاقا جديدة للفكر الإسلامي، وتزود العاملين في

[1] ليراجع للتفصيل كتاب "إذا هبت ريح الإيمان" لكاتب هذه السطور طبع دار الرسالة، بيروت.

www.abulhasanalinadwi.org

مجال الدعوة والفكرة الإسلامية ببعض معلومات جديدة، و وثائق وحقائق عن الحضارة الغربية، والفلسفات المادية، ومدى إفلاس الغرب واحتيازه وسآمته وخوائه الروحي، وما يعانيه من أزمات وعقد ومشكلات، فإن الكاتب يعيش في بلد قد اكتوى بنار الغرب، وخاض المعركة الفكرية الحضارية السياسية التى قامت وحميت في شبه القارة الهندية، ثم خرج منها الشعب المسلم محتفظا بجزء كثير من شخصيته، معتزا بحضارته وقيمه، خبيرا بمواضع الضعف في الغرب ومساويه، وقصة فشله وإخفاقه، في حل القضايا المعاصرة، فأكسبه كل ذلك ثقة بدعوته، وقوة في كتاباته، وقيمة لما يقول ويدعو إليه.

في ضوء قصة هذه البيئة والتربية والأحداث والتجارب، والميول والعواطف، والأهداف والمثل، وصدق النية وحسن القصد، ينبغي أن تقرأ هذه المقالات كتبت قي أوقات شتى تحت عناوين مختلفة تجمع بينها وحدة هي وحدة"منهج الفكر الإسلامي السليم" والدعوة إلى الحق وإلى الصراط المستقيم.

أبوالحسن الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

www.abulhasanalinadwi.org

العالم الإسلامي على مفترق الطرق

كتبنا هذا المقال في أوائل عام ١٩٥٤م ونشر اذ ذاك في مجلة "المسلمون" وها نحن نستهل به هذا الكتاب ونكرر هذا الرجاء مرة ثانية فالأمر غمة والطريق واحد فهل يستجيب العالم الإسلامي لهذا النداء ويحقق هذا الرجاء وهل يعود إلى رشده وصوابه وسبيل ربه؟

هذه الفترة من الزمن التي يجتازها العالم الإسلامي بوجه عام والعالم العربي بوجه خاص، فترة خطيرة ذات أهمية في تاريخ المسلمين، إنها ساعة لا تتوفر أمثالها في تاريخ الأمم والشعوب، وفي إمكانية العالم الإسلامي اليوم أن يؤدى واجبا ضخمت نحو الإنسانية، ويلعب دورا هاما في حقل السياسة العالمية، ويعير مجرى التاريخ، ويحول القيادة من الجاهلية الآثمة إلى الإسلام السمح العادل، ويحقق ذلك الغرض الأكبر والهدف الأسمى الذي بعثت له تلك الأمة الإسلامية، إن ذلك يقتضي سرعة لكن بحيطة وحذر، ويطلب شهامة واقتحاما ولكن بعد تأمل وتريث، ويحتاج إلى هجوم عنيف على غريمة والانقضاض عليه كنا ينقض الصقر على الطير والأسد الجائع على الشاة ولكن مع اكتمال رصيده الإيماني والروحي، واستعداده المادي والحربي، وتنظيمه العلمي الجديد، وتوحيد صفوفه الموزعة، وهذا هو الذي قد فات العالم الإسلامي في أحيان كثيرة، فسقط صريعا أمام ثورة العقل والفكر، ومعجزات البطولة والإختراع، وقوة الحديد والنار، ولمعان المدنية المتطرفة.

www.abulhasanalinadwi.org

وكفى أن العالم الإسلامي اليوم، نال مكانة عظيمة في خريطة العالم، وبلغ من الأهمية الاستراتيجية ما لم تبلغه الدول الأخرى على وجه الأرض، وملك من ينابيع الذهب الأسود الذي يسير عجلة الحياة الصناعية في العالم ومن القوي التى لم تخرج ولم تنتج، ومن المجموعة الإنسانية التي لم ترب ولم تثقف ما جعله في كفاية وغناء عن أي استيراد من الخارج.

وثانيا وهو الأهم من ذلك كله: أن المجتمع البشري اليوم قد سئم ومل ويئس- أقر بذلك أم لا- من منبع أوربا الذي فقد زيته وآن أوانه وانقضى عمره، وجف ماؤه، ولم يستطع خلال كل هذه النهضة الهائلة الطويلة، أن يضيف إلى رصيد الإنسان إلا الحديد والنار والبارود والدخان، والقنابل المدمرة، والغازات السامة، والآلات المبيدة، إلا الضمير الذي اعتاد الجريمة وتعود العصيان والتمرد، ونشأ فيه ميل أكيد ورغبة جارفة إلى الاثم والفاحشة، ضمير لا يؤمن إلا بالنفعية ويؤثر العاجل على الآجل، حتى ان المدنية والثقافة والفن والحضارة التي نقرأ قصصها و رواياها كأها الجنة أو قصص الجزيرة الخالية UTOPIA للسير مور، من الحرية والإخاء والصداقة وعدم السرقة والخيانة وانجاز الوعد، والتراهة في الحياة اليومية، كل ذلك تابع لمبدأ النفعية، وقد صدق من قال: إن الغربي لا يصوم إذ يصوم ليرفع في روحانيته وإشراقه، إنه يصوم ليقوى هيجانه وشهوته إلى الطعام، إنه يربى بنى وطنه وإخوانه ويعلمهم ويثقفهم، لا لأن يكونوا قدوة للناس، وأئمة يدعون إلى الهدى، بل ليقووا على استعمار الأمم والشعوب وهضم الحقوق وانتهاك الحرمات والمقدسات، وشراء الأسواق، ويريدون علوا في الأرض وفسادا، فبينما ترى الغربي صادقا في وعده إذا حدد الموعد مع رجل فلا يتأخر دقيقة واحدة، إذا هو

www.abulhasanalinadwi.org

يكذب فاضحا بدون حياء ويخدع بدون إنسانية في فلسطين وفي كل بلد شرقي ليس له به علاقة الدم واللون، وبينما هو يتجنب سرقة فلس PENY في مملكته، يراه الناس سارقا غاصبا في الشرق، مستخدما في ذلك كل وسيلة مهما غرقت في الدناءة والاسفاف، وموجز القول أن المدنية الغربية قد افتضحت في قارعة الطريق، وظهرت علاتها وسوءاتها أمام العيون في وجه النهار، وهذا هو الجو العالمي والأوضاع المحيطة بالعالم الإسلامي، وصلت بالعالم الإسلامي إلى مفترق الطرق، وأخذت بيده في جادة الإمتحان.

وإنها تكون من الخيانة المرجية والجناية العظيمة أن تقف الأمة الإسلامية التي تملك رسالة السماء وتحمل في يدها مشعل الهداية موقف المتفرج أو المتطفل، وتخلع هذا القميص الذي كساها الله من قيادة الأمم وإقامة الوصاية الإلهية على الأرض وتوجيه المجتمع البشري، فإذا عقد العالم الإسلامي نيته أن يتحرر من عبودية النفس ونير الإستعمار، وينقذ ملايين من الناس من عذاب الذل والهوان، ويخلص الإنسانية من أعدائها ويمسح دموعها، ويأخذ بيد المجموعة البشرية المنتشرة على الأرض إلى أفق أوسع وأرحب، وحياة أنعم وأرغد، وفوز في الدنيا والآخرة، فهو يحتاج إلى جهاد طويل، وكفاح شاق مرير، وتضحيات واسعة النطاق، ويتطلب خبرة نادرة وتربية دقيقة، ولكنها تتفق مع رسالتها، بل هي عين رسالتها وغرض بعثها، وحجر الزاوية التي يرتفع عليها الصرح الإسلامي.

إنها تقتضي قبل كل شيئ نفخ الإيمان الجديد، والروح الجديدة الوثابة، والفكر الإسلامي الجريئ الثائر، في جماهير العالم الإسلامي، لا سيما في الشباب، ومحاربة مركب النقض في قلوبهم الذي أكلهم وطغى عليهم من أجل التبشير والإستعمار، والتعليم والتربية اللذين يتفقان مع

www.abulhasanalinadwi.org

روح الغرب وآرائه، و وضع نظام تعليمي حر يتفق ومطالب الإسلام، ويبنى على حقائقه الخالدة التي لا تتغير ولا تتأثر، وأن يقبل كل صالح جديد فالحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها، ويخرج فوجا جديدا، جديدا في روحه، جديدا في فكرته، جديدا في إيمانه، فهذا هو الشيئ الذي ينقص المجتمع البشري اليوم، مع امتلائه من كل جديد وطريف، ومن كل نادر وغال.

أما عن التعليم والتربية فقد يجب علينا أن نختار موقفا حاسما تجاه علوم الغرب، ونأخذ منها ما ينفع والذي أعطاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اسم "العلم النافع" فالعلم الذي لا ينفع و لا يفيد ليس علما من وجهة نظر الإسلام وإنما هو قتل الوقت الثمين الذي يجب أن يبذل في ميدان الدعوة والجهاد، والهداية والإرشاد، فاذا قرنا الفلسفة الغربية الحديثة في منهاج التعليم كنظرية دارون وفرويد، واقتصاديات هيجل وماركس، وفلسفة التفسير المادي للتاريخ مثلا، فإننا نضعها منا موضع النقد لا موضع التقديس كما هو الحال اليوم في العالم الإسلامي كله، أما تفاهات الفلسفة التي تعني بالغيب وما بعد الطبيعات، وتريد أن تطلع على ألغاز الكون التي لا يعلمها إلا الله وتعالج أمرا ليس في قدرتها، فهو في نظرنا لا يقل عن جهالة علماء اليونان والرومان في شيئ، وحكمنا في كليهما واحد، ويجب علينا أن لا نضيع وقت أبنائنا بهذه السخافات التي لا تتصل بالعمل والحياة وإنما الشيئ الذي يهمنا هو مجرد علم الطبيعة Exact Science والتعليم التطبيقي Applied Science وعليه تركز قوتنا، ونضعه في الصف الأول ونعطيه أهمية كبيرة في نهضتنا الصناعية والعلمية الجديدة، وبالعلم التطبيقي وحده يستطيع العالم الإسلامي أن يقوم بأعبائه كاملة.

www.abulhasanalinadwi.org

أما الصناعة بأوسع معناها فانها أيضا تتوقف على العلم التطبيقي، وهو أمر مهم جدا، ولعل الأهم منها "الصناعة الحربية" في الوقت الحاضر، عدا الصناعات الأخرى التي يجب علينا أن نحذقها، ونضعها في محل الصناعات التي نستوردها من الخارج، والصناعة الحربية تتطلب أهمية كبيرة ومهارة فنية ودقة وحذاقة، بحيث لا تقل في صورتها وسيرها عن صناعة الدول الأخرى، بل تفوقها، فنؤسس مصانع هائلة لصنع الطيارات والقنابل والدبابات الثقيلة، وندرب قواتنا على أحدث الخطط الحربية، والمعادن والكنوز والذخائر العظيمة المنتشرة في العالم الإسلامي بأسره تجعلنا في غناء عن الأجانب.

وهنا شيئ آخر أهم، وهو أن نقيم علاقاتنا التجارية والصناعية بدول الشرق بدلا عن دول الغرب ونتبادل بها المصنوعات والبضائع، فالشرق بالطبع – وكل يعرف ذلك– صديق لنا وصاحبنا ضد الإستعمار، وهو أيضا يريد أن يتخلص من براثنه ويتحرر من عبوديته ويعيد مجده ويحفظ كيانه، وكذلك نستطيع أن نحفظ أنفسنا من دسائس المستعمرين ومؤامراتهم إلى حد كبير، ونكسب أصدقاء جددا ربما يكونون أقرب نسبا وأكبر نفعا من أعدائنا القدامى، ونحصل على تأييدهم ومؤازرتهم في معركة التحرير ولا شك أننا إذا كسبنا صداقة الشرق و وده وقامت بينه وبين العالم الإسلامي علاقات وطيدة وأواصر قوية، فإنه يكون فتحا جديدا، ونصرا كبيرا للشرق الإسلامي.

ومن الواجب علي أن أشير بصراحة إلى أنه لا يصلح أمر العالم الإسلامي إذا بقي الشعب ساخطا على الحكومة، والحكومة ناقمة من الشعب، بل لا بد هنا من تعاون رجال الإصلاح والدعاة، والمبشرين والمنذرين، ولايمكن ذلك إلا إذا صلحت النية وصحت العزيمة، واتحدت

www.abulhasanalinadwi.org

الغاية، فعلى كل واحد منا أن يعمل في حقله ويؤدي حقوق صاحبه ولا يبتغي رضا أحد، ولا يرجو من رجل كلمة خير، إنما هو يعمل لله، وهو وحده يجزيه بجهاده﴿ومن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها﴾.

ومن الواقع المؤلم أن تاريخ العالم الإسلامي بعد الخلافة والرحمة، يبدو كأنه تاريخ صراع بين رجال الشعب ورجال الحكم، مع أنهما ركاب سفينة واحدة وتوأمان لا يفترقان.

إن الفراغ الذي حدث في قيادة الإنسانية اليوم فراغ رهيب، ولكنه فراغ لا يستطيع أن يملأه أحد إلا العالم الإسلامي، لأن العالم الإسلامي هو وحده مصباح الهداية والإرشاد في بحر الظلمات أنه يحفظ في وعائه إيمانا أفلس فيه الشرق والغرب، ودستورا لا يقبل النسخ والنقد، وتاريخا ناصعا لا تضارعه فيه أمة، وحكمة ربانية هي مفتاح كل قفل وحل مشكلة ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ وذلك في حين فرغت فيه يد الإنسانية من كل عال، وتعليم خلقي، فلا ترى في وعائها إلا قطعة من حجر أو شذرة من ذهب.

www.abulhasanalinadwi.org

إسلام "المسالمين"

نحن كلنا مع الإسلام، ما في ذلك شك.

نحن مع الإسلام دائما، وبصفة عامة، والحمد لله على هذه النعمة العظيمة، الباقية، إن شاء الله.

ولكن ... لسنا مع ذلك الإسلام الذي لا تضره حركة سياسية ولا تنال منه دعوة إجتماعية "وانطلاقة ثورية"، ولو خالفت أهم قواعده وأولى مقوماته، وينسجم مع سائر الأوضاع والملابسات ولو عارضته من أول الطريق وبداية الخط.

بين إسلام "مضمون" عقد عليه في شركات التأمين، فلا تفسده خيانة، ولا يفسده نفاق، ولا يضره استهتار، ولا ينال منه اسراف، ولا يكدر بحره الزاخر فجور ثقافي، وخلاعة أدبية وفضيلة وفضيحة فنية، وعرى علمي، وكفر منطقي، وانكار قومي، وشذوذ سياسي، لأنه إسلام مضمون مسجل، شهد بسلامته ومتانته وجودته "كبار تلاميذ الغرب و وكلائه الموزعين في الشرق".

إنه إسلام يسمى فيه المولود مسلما بحكم القانون والوراثة، ويبقى مسلما ليتمتع به بما شاء من منافع مادية وأدبية، ولا يحتاج إلى تجديد في إيمانه، لأنه ولد من أبوين مسلمين وكفى.

إنه إسلام جامد، واقف، لا ينقص ولا يزيد،ولايتحرك، ورحم الله البخاري عقد بابا تحت هذا العنوان "الإيمان يزيد و ينقص" وهو لا يعلم أن في بلده وفي البلاد الإسلامية العريقة قوما لا تضرهم اشتراكية ماركس الملحدة، وكفر لينين البواح، ولا ينقص إيمانهم بشيئ من هذه الأشياء، وغير هذه الأشياء.

www.abulhasanalinadwi.org

إنه إسلام سلبي، لا يتدخل في شئون المجتمع والحياة، بل يترك الحبل على غاربه، ويدع جيله تحت رحمة الموجات المادية الطاغية والأفكار السامة،والأدب المائع، فيترك المجتمع فريسة سهلة ولقمة سائغة أمام ذئاب الإنسانية و وحوش الحضارة، وقراصنة السياسة، ولصوص الدين والأدب، ويظن أنه سينجو بنفسه وبأبنائه، ويقول كما قال ولد سيدنا نوح عليه السلام ﴿قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ ثم لا يلبث أن يجرفه التيار المارد العنيف، وتسوقه هذه "السلبية البريئة" إلى كل ما عافه، واستنكفه، ومقته، ومجه ﴿وحال بينهما الموج، فكان من المغرقين﴾.

إن هذا الإسلام يعيش جنبا إلى جنب مع كل كاتب يبيع الهوى وينشر المكر، ويروج بضاعة الفحشاء، مع كل أديب يحسن الكتابة، ويجيد الوصف، ولو تطاول على ذات الله عز وجل، ومقام الرسول صلى الله عليه وسلم، ويستمع بكل أناة وصبر وشرح صدر إلى كل حوار لبق وكلام شيق، وحديث حلو، ولو كان حالقا للدين، ماحقا للإيمان، هادما للأخلاق، وينظر إلى كل صورة على الشاشة ولو ذهبت بالحزم والحلم، واللب والعقل، وأطار الرشد والصواب.

هذا الإسلام يمشي مع سائر التقلبات والموضات الفكرية والمذاهب الإجتماعية والسياسية، والحركات التقدمية الثورية، في الهند الصينية أو في أمريكا اللاتينية، ومع كل فريق من المغنين والمصورين الهائمين والحالمين، والشذاذ الأفاقين، لأن "تمشي" هذه "الكلمة السحرية" تضع في يد هؤلاء القوم "ورقة مرور" يتعدون بها في كل حد، ويحطمون بها كل سياج، ويهيمون بها في كل واد وناد.

إنه إسلام "المسالمين" لا المسلمين، في تعبير أصح وأفصح، لأنه يسالم جميع الألوان والأنواع الحضارية الموجودة في العالم المعاصر، ويتبع كل سبيل غير سبيل الرشد.

www.abulhasanalinadwi.org

إن هذا الإسلام لا ينقص بالتهاون في حقوق الله، والإستهانة بشعائر الدين، فإذا وقع عنده صدام بين عبادات أعمال سياسية واجتماعية، طغت الأعمال السياسية على العبادات والصلوات، ولذة التقرب إلى الله والدعاء والمناجاة، وإذا حدث له شيئ أو شغله أمر من تحرير في صحيفة أو خطاب في حفل، أو قيادة لموكب، أو رفع لمذكرة إحتجاج، أو قضية في برلمان، أو حديث في مأدبة، ومسامرة في عشاء، أو نزهة في حديقة، وحتى فنجان شاي بين الأصدقاء، نسي ما عليه من حق الله، وهو في دوامة الأشغال والنشاطات، وفي المشكلات والأزمات أولى بالطاعات وأحق بالدعاء والتضرع والمناجاة، وأحوج إلى العبادة والعبودية من الأوضاع الهادئة والظروف العادية، فلا إعتبار بطاعة لم تصطدم بما يهواه الطبع، وعبادة لم تشق على النفس، ولا قيمة لكأس لم تطفح، وعين لم تفض.

إنها درجات في الإسلام، ولكنه على كل حال إسلام "المسالمين"، أما إسلام المسلمين فهو لا يقبل "على ما يرام" ولا يؤمن بمبدأ "الدين للديان والوطن للجميع" ولا يجمع بين الخطب الدينية في المحافل، والترفيه بالبرامج العارية الراقصة، الفاسدة المفسدة بعد صلاة العشاء بين أولاده وأفلاذ أكباده.

إنه لا يؤمن بالجمع بين حضارة الغرب وعقيدة الإسلام، وبين الزي الإسلامي والحياة الأوربية، والجمع بين الحديث والقرآن وأفكار لينين وسارتر وماوتسي تونغ.

إنه لا يؤمن بالجمع بين عبد الباسط وأم كلثوم، والجمع بين المصاحف المرتلة والموسوعات الفقهية، وأغاني صباح، وفيروز وشادية، أو الجمع بين "المجتمع" و "البلاغ" و "البعث الإسلامي" وبين "روز اليوسف" "الموعد" و "الطليعة".

إنها صورة جزئية، وصورة بسيطة، وأمور ليست بذات أهمية عند البعض، ولكنها تصور ذلك الإسلام الذي أشرنا إليه كل التصوير، إسلام

www.abulhasanalinadwi.org

من "ماركة ممتازة" لا يؤثر فيه شيء، ولا يعتريه البلى والوهن، ولا ينقص بنقصان شرع ودين ومسالمة وإستسلام أو انسياق تام مع تيارات المادة والمعدة، واتجاهات الغرب والشرق، واليمين واليسار.

نحن مع الإسلام في كل مكان، ما في ذلك من شك، الفرعي المطفل، نحن مع الإسلام القائد، السائد، المعلم، الموجه، ولكن مع الإسلام المستقل الأصيل لا الإسلام التابع، لا الإسلام الذي يتلقى الأوامر والتعليمات من "الباب العالي" في موسكو، و "البيت الأبيض" في واشنطن.

مع إسلام لا ينكر العلم والسياسة، بل إن العلم والسياسة فيه عبادة، ولا يهمل الطاعة والعبادة، فهي مفزع المؤمن ومأمنه، وحصنه ومعقله، وأكبر همه وغاية مناه.

مع إسلام مناضل مكافح متصل الحلقات بجميع أجزائه، وثيق العرى بجميع حركاته وتنظيماته، عميق الحب بجميع أبنائه، كثير الإعتراف بالفضل، عظيم التقدير لذوي الكفاية والإخلاص، كثير الشكر على المساهمة والتعاون.

هذا الإسلام العميق الواسع، المشرف النير، الكامل الشامل، الأصيل المستقل، المكافح المناضل.

الإسلام الذي يتكلم ولو كره الصليبيون الجدد، الحمر، والبيض، والصفر، ويرفع صوته لتنظيم المجتمع والحكم، والأسرة والعائلة على أسس نقية واضحة من السيرة الطاهرة، والشريعة الخالدة، والكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

هذا الإسلام هو العنصر الأقوى في معركتنا الكبرى، وردنا الحاسم على هواة الفساد، ودعاة الإنحلال، والمتآمرين على سلامة البلاد، ونعمة الأمن والهناء باسم الحرية والعلم والتقدمية والإشتراكية والثورية.

www.abulhasanalinadwi.org

طبيعة هذا الدين

هذا الدين في أساسه ثابت لا يتغير، كامل لا ينقص، كل لا يتجزأ، إنه لا يحتاج إلى تطوير ولا يقبله، ولا تؤثر فيه الأحداث الإجتماعية والتطورات الحضارية والإنقلابات الفكرية والثورات السياسية، أيما تأثير، لأنه بني على الوحي السماوي، وتنور بنور كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعاش تحت ظلال النبوة التي لا دخل فيها للآراء الإنسانية التي تخطئ وتصيب، والتجارب العلمية التي تنجح وتخفق، والأفهام البشرية التي تختلف مداركها ومستوياتها، وقد صور القرآن نفسية هذا الدين وطبيعته، وثباته فقال: ﴿ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾[١]

وقال في موضع آخر:

﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾[٢]

إنه وصف الدين بالثبات والقرار و وصف المذاهب الأخرى بالزوال وعدم الإستقرار كنقطة فاصلة بينهما، لأن هذه المذاهب الوضعية

---

[١] ابراهيم: ٢٧.
[٢] الأنعام: ١١٦.

www.abulhasanalinadwi.org

والصناعية والسطحية لا جذور لها في داخل الأرض وليس عندها إلا ما يبدو للناظر في ظاهر الأرض من زخرف القول غرورا، وذلك عبر عنه القرآن في موضع آخر فقال: ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾[١]

إذاً كيف نقول: إن الدين يتطور مع الزمن؟ والجواب أنه يتطور كما تتطور الشجرة المباركة، الحية النامية، مع المحافظة على أصلها وجذورها، إن الله سبحانه لم يشبه هذا الدين في ثباته واستقراره بصخرة صماء لا نمو فيها ولا مرونة، ولا حياة فيها ولا خصوبة، ولا نعومة فيها ولا جمال، لا إنه –كما وصف الله– شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وذلك دليل باهر من دلائل الإعجاز في القرآن، واستيفاء هذا الدين جميع حاجات الإنسان في كل زمان ومكان.

فما هو الأصل الثابت في الدين الذي لا يقبل التغيير والنسخ والتبديل في أي حال من الأحوال، ثم ما هو أكله الذي يتغذى به وينمو على أساسه ويستقي الماء والخصب بهذا الأصل الثابت والنبع الصافي العميق؟ والجواب أن أصله الثابت هو التوحيد، والعبودية الخالصة لله، والإيمان بالغيب والنبوة واليوم الآخر.

أما أكله فهي الدرجات التي ينالها المؤمنون –بفضل من الله ورحمة– في الدين والتقوى، والعلم والحلم، والإيمان والإحتساب، وحسن البلاء في الدعوة والإصلاح، إنها النفحات الإلهية، والعلوم الربانية، والمعارف الدينية، والجهاد والإجتهاد لنشر رسالة الإسلام في الآفاق، وإجراء شرائعه على البلاد والعباد، والذب عن حوزة الشريعة الغراء، وصيانة هذا الدين من "تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين".

---

[١] النساء: ٧٦.

www.abulhasanalinadwi.org

إنما المحافظة على نقاء الإسلام وصفائه، وأصالته واستقراره، وإزالة الغبار عن جوهره، والوفاء به، والولاء له، والثبات عليه، والإستماتة دونه، وإيثاره على كل ما عداه من مذاهب وديانات، ونظم وحركات، رضي الناس أم سخطوا وأقبلت الدنيا أم أدبرت﴿درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما﴾[1]

هذا هو الأساس المقرر الثابت في الإسلام، المفهوم المعلوم عند الصحابة الكرام، والمسجل المضمون في الحديث والقرآن، والمطلوب من العبد المؤمن الذي لا يبتغي غير وجه الله ولا يجري وراء أهوائه وشهواته، وميوله ونزعاته، أن يعض على هذا الأساس بالنواجذ، فهي المحجة البيضاء التي ورد ذكرها فى الآثار على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يعرف –بنور من ربه وفراسة إيمانه– ذلك الخط الدقيق الذي يتغير به اتجاه المرء من جهة إلى جهة وينحرف به –وهو لا يشعر– عن جادة الصواب، والصراط المستقيم الذي يسأل الله الهداية إليه كلما قرأ الفاتحة في الصلاة.

وخط الإنحراف خفي دقيق لا يطلع عليه إلا من قذف الله في قلبه نوره و أراد به خيرا وهيأ أسبابه، والآيات التالية تدل على بعض مواضع الزلل والنقصان التي تزل عندها الأقدام وهي تدور حول الإعجاب بالقول الظاهر المزخرف، والإعجاب بالأموال والأولاد، والركون إلى الطغاة والظالمين، وتلبيس الإيمان بالظلم أو الهوى وغير ذلك من المفاهيم والإشارات.

١. ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام.[2]

---

[1] النساء: ٩٧.

[2] البقرة: ٢٠٤.

www.abulhasanalinadwi.org

٢. وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه هم يستبشرون.[١]

٣. ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا.[٢]

٤. ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار.[٣]

٥. ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون.[٤]

٦. ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم.[٥]

٧. قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة.[٦]

٨. الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.[٧]

٩. أم أنا خير من هذا الذي هو مهين، ولا يكاد يبين.[٨]

إنها وأمثالها من آيات كثيرة يزخر بها القرآن تدلنا على خطوط الإنحراف على النقاط التي ينشأ منها الزيغ، والثغرات التي يتسلل منها الفساد، والمواضع التي تبذر في نفوسنا بذور الإعجاب بالجاهلية، ومفاهيمها وأقدارها، والركون إلى الظالمين أو إلى الحضارة التي تقوم على الظلم، والإنفتاح على الدنيا أكثر من الإنفتاح على الآخرة، والإقبال على الخالق،

---

١ الزمر: ٤٦.
٢ النساء: ١١٦.
٣ هود: ١١٤.
٤ التوبة: ٨٦.
٥ البقرة: ٢٢١.
٦ الأعراف: ١٣٨.
٧ اللأنعام: ٨٣.
٨ الزخرف: ٥٣.

www.abulhasanalinadwi.org

والإتصال بهذا الكون أكثر من الإتصال بفاطر الكون، والإيمان بالمشهود العاجل أكثر من الغائب الآجل، وقلة الخوف من النار وقلة الرغبة في الجنة، والتفكير في تنظيم هذه الحياة وتحسينها وإصلاحها أكثر من التفكير في الدار الآخرة وثوابها وعقابها، والإعتناء بالمجموعة أكثر من وحداتها، والحرص على جمال البناية أكثر من الحرص على صحة لبناءها، والإهتمام الزائد بظاهر السفينة وطلائها أكثر من الإهتمام بألواحها، والتوجه إلى انقاذ البشرية كلها أكثر من انقاذ نفوسنا وأهلنا وعشيرتنا.

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾.[١]

﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون﴾.[٢]

ويظل الإنسان ينحرف أو يبتعد عن هذا الخط النبوي حتى ينسى نفسه، وينسى غاية أعماله في زحمة الأحداث والأشغال، ويؤخذ بالمظاهر ويتلهى بالأشكال، وتراه بعض الأحيان يخالف أبسط قواعد الدين ويخرج على أصالته ويخالف مبادئه ومقوماته باسم مصلحة الدين وحكمة الدين وتحت شعار "العقل العملي" و "إستراتيجية الدعوة" بعض الحين.

ثم تتغير الموازين والمقاييس بصورة تدريجية وبحركة لا إدارية، وتفقد الأمانة والإيمان، والنزاهة والصدق، والإخلاص والنية وسلطانه وحرمته في القلوب، حتى يقال –كما جاء في الحديث– ﴿ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان﴾[٣]

إنها حالة نفسية تنتاب الدعاة المثقفين والعاملين المخلصين في بعض الحالات، فيفسد عليهم إخلاصهم مع الله، وصلتهم بالله و وفاؤهم لهذا

---

[١] التحريم: ٧.

[٢] المائدة: ١٠٦.

[٣] متفق عليه

www.abulhasanalinadwi.org

الدين، وإتباعهم لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعلق قلوبهم بالصلاة والدعاء،[١] وتحرقهم -تحرق المفجوع في وحيده أو في رأس ماله- على مصير الإنسانية الحائرة وعلى مستقبل هذا الدين ومصير الدعوة، واحترافهم وحبهم إجلالهم للصحابة والتابعين حبا وإجلالا يليق بشأنهم، والثقة بفهمهم للدين ونزاهتهم وارتقائهم عن مستوى الشبهات أو مستوى عامة الرجال تمام الثقة، والإعتزاز باقتداء آثارهم كل الإعزاز، والتشبع بحب سيدنا وقائدنا ومعلمنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلم حبا يفوق على حب النفس والمال والأهل والولد مطابقا لما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده و ولده والناس أجمعين»[٢]

فيجب على كل عامل مخلص لهذا الدين أن يتجنب هذه المزالق التي تعترض طريقه في بعض مراحل الدعوة ولا تسمح له أشغاله المتزاحمة ونشاطاته المتلاحقة ورحلاته المتصلة المتوالية بالتأمل فيها والإحتراز منها، وتمييز المفسد من المصلح، والضار من النافع.

---

[١] وقد يبلغ الأمر ببعض هؤلاء وتطغى عليهم الشكليات والمواعيد واللقاءات إلى حد تراهم لا يتحمسون للصلاة تحمس من سمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "جعلت قرة عيني في الصلاة" وقوله "أرحنا يا بلال" وقد تفوقهم الناحية التعبدية وتزكية النفس تماما، وقد روي والدي رحمه الله قصة طريفة تدل على هذا الواقع الأليم، قال أنشئت هناك جمعية لإقامة الصلاة قبل زمن يسير، وكانت مؤلفة من بعض "المثقفين" وعقدت الجمعية حفلتها الأولى بعد صلاة العصر، فلما حانت صلاة المغرب وأذن المؤذن لم يحرك ساكنا حتى لم يتمالك هو نفسه، وكان الوقت قد تأخر وسأل زعيم القوم أن يختموا الحفلة ويتوجهوا للصلاة، فقال مستغربا أو ليست هذه الحفلة في سبيل الصلاة؟ واشتغل القوم بدراسة الصلاة ومعانيها والضرورة إليها وتأثيرها في المجتمع المسلم - وانصرف هو وحده إلى المسجد يشكو بثه وحزنه إلى الله.

[٢] كان شاعر الإسلام الدكتور محمد اقبال موفقا كل التوفيق في فهم هذه النكتة وضرورة الإتصال الوثيق بشخصية النبي إذ قال : إننا نعتقد أن الإسلام دين أوحى الله به ولكن وجود الإسلام كمجتمع أو أمة يتوقف على شخصية محمد صلى الله عليه وسلم.
(أنظر "النبي الخاتم" لسماحة الأستاذ أبي الحسن علي الحسني الندوي)

www.abulhasanalinadwi.org

إن طبيعة هذا الدين غير طبيعة الدعوات الأخرى، ومنهجه غير منهجها، وأسلوبه غير أسلوبها، ولغته غير لغتها، وسحنته غير سحنتها، ونبرات صوته غير نبرات صوتها، وأتقدم خطوة فأقول، إن قسمات وجهه غير قسمات وجهها، وكيف لا يكون ذلك فدعوة الدين هي الدعوة إلى الآخرة ودعوة المذاهب الوضعية هي الدعوة إلى الدنيا، دعوة الدين إلى تحسين الحياة الطويلة الباقية ﴿وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾[١]

ودعوة الحركات السياسية والمذاهب الإقتصادية والسياسية إلى تحسين الحياة القصيرة الفانية ﴿وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾[٢]

فينبغي أن يتجلى هذا الفارق الأساسي والخط الفاصل المميز بين الدعوتين في سائر أجهزة الدين وفروعه وأجنحته ونشاطاته وتصرفاته وفي نظرته العامة إلى الحياة والأحياء، بل إلى جميع الأشياء، حال من جاءه برهان من ربه وذاق حلاوة الإيمان وفتح الله عليه باب المعرفة والإحسان وأوتى نعمة الفرقان بين الحق والباطل، فتكيف سلوكه وخلقه ونشاطه وجهاده بهذا الإيمان، وظهر إيمانه بالغيب على إيمانه بالمشهود، وإقباله على الدار الآخرة على إقباله على الدنيا، وطمعه في النجاة من النار على طمعه في الرقي والإزدهار، والفتح والإنتصار، اذا كان ذلك من غير قلب سليم، ونية صالحة، وعاطفة إيمانية، ودعوة ربانية، وروح نبوية، وفي حدود معلومة واضحة، نطق بها الكتاب والسنة، وحددتها الشريعة السمحة الغراء ودرج عليها الصالحون وأجمع عليها العلماء الربانيون، ولم تدنسها شوائب الحضارة المادية، وسموم الثقافة الغربية والأفكار اللادينية.

إن القرآن حرص دائما على أن يبقى هذا الفرق واضحا لكل ذي عينين وحتى في الأشياء التى تتعلق بالإدارة والبناء والتصميم[١]، والحياة

---

[١] الأنعام: ٣٢.

[٢] الشعراء: ١٢٩.

www.abulhasanalinadwi.org

المنزلية والآداب اليومية والمعيشة العامة لتظل الأمة الإسلامية شامة بين الناس لا في الشارة واللباس والإسم والعنوان، ولغة الحديث والقرآن، بل في الذوق والوجدان، في العقل والقلب، في الضمير ومكنونات الصدر، وفي سلوك الفرد وسلوك الجماعة، وسلوك الدولة، وسلوك الأمة، في سائر مجالات الحياة وفروعها.

وهنا نقطة أخرى لا ينبغي اغفالها وهي أن طبيعة هذا الدين "قوة ذاتية" أو قل -اذاشئت- نورا إلهيا ومسحة من جماله -جل وعلا- وهي غنية بهذه القوة أو بهذا النور عن استيراد أي "طاقة" أو وسيلة معنوية من الخارج لتقريب مفاهيمه ومنهجه وسلوكه إلى أفهام البشر، وذلك ما شعر به واطلع عليه مشركوا مكة، ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾[٢] وكانوا يمنعون أولادهم عن حضور مجالس النبي صلى عليه وسلم وأصحابه حتى لا ينجذبوا إلى هذا الدين، وقصة ايمان سيدنا عمر بن الخطاب وتلاوة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما التي كانت ترق لها القلوب القاسية الجافة، نماذج رائعة لهذه القوة الذاتية في المنهج الإسلامي الأصيل، يدل على ذلك دلالة واضحة ما رواه ابن كثير في تاريخه فقال: ﴿لما قدم عمر الشام عرض له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع موقيه فأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره فقال أبو عبيدة قد صنعت اليوم صنيعا عظيما عند أهل الأرض، صنعت كذا وكذا، قال فصك في صدره وقال لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله﴾.[٣]

---

[١] اقرأ تفسير قوله تعالى في سورة يونس: ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ الآية.

[٢] حم السجدة: ٢٦.

[٣] البداية والنهاية ٧ظ٦٠ ورواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرطهما.

www.abulhasanalinadwi.org

وليس المراد من هذا القول –كما يشعر البعض– جاهلية سافرة أو ألوانها المكشوفة لا بل إنه يعم سائر عروقها وخطوطها وألوانها وبصماتها في الصدور.

هذه القوة الذاتية في الإسلام، ومعرفة طبيعته، والوفاء بمنهجه، والثبات على جادته واستعمال قوته جعلت الصحابة والتابعين، والشهداء والصالحين، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين، في غنى عن كل منهج جاهلي ومظهر جاهلي وخط جاهلي.

إن طبيعة هذا الدين وروحه تقتضي أن نستعمل قوته الذاتية بدلا من الاعتماد على وسائل القوة والتأثير الخارجية اعتمادا زائدا، تاركين هذه القوة الكامنة في الصدور وراء الظهور، وأن نتقدم بحمل لواء هذا الدين ونشر دعوته باختيار المنهج النبوي في الدعوة والهداية والقيادة، وأسلوبه الممتاز في الكفاح لدين الله والجهاد لإعلاء كلمة الله، والمحافظة على أصالته ومعرفة طبيعته، وتذوق حلاوته وصيانة روحه المشرقة وصفحته البيضاء التي تراكم عليها الغبار بتأثير البيئة الفاسدة، والجو الموبوء، و وجودنا بين الجاهليات الحديثة وتياراتها العنيفة التي تلاحقنا من كل جانب.

لقد جاء في الحديث: «يأتي على الناس زمان، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»[1]

وأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة على آخر هذه الأمة إيمانهم بالغيب وثقتهم بوعد الله حينما سأله أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح فقال:

---

[1] رواه الترمذي عن أنس.

www.abulhasanalinadwi.org

يا رسول الله هل أحد خير منا، أسلمنا وجاهدنا معك قال: نعم ! قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني[١].

ومن ثم فإن مشكلاتنا فى هذا الطريق ومحافظتنا على هذا التراث النبوي العظيم من العلوم والأعمال وحرصنا على روح هذا الدين النقي الخالص، والعض على كل ذلك بالنواجذ هو نفسه يدلنا دلالة واضحة على صحة الهدف والإتجاه، وسلامة الأفكار والأرواح، وهو كفيل بالفلاح في الدنيا والنجاة في الآخرة، إن شاء الله.

وقد بشر لسان النبوة هذا الجيل المؤمن بكونه على الحق وسلامته عن الفتن والأخطار، وثباته على الجادة إلى يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم ﴿لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك﴾[٢].

---

[١] المستدرك للصحيحين ص: ٩٦.

[٢] رواه مسلم عن ثوبان.

www.abulhasanalinadwi.org

أهلا بهذه المؤتمرات... ولكن..!

نشأت في العالم الإسلامي في هذا الوقت رغبة مخلصة أكيدة في دراسة الإسلام دراسة وافية في مختلف نواحيه، والدور الذي يمكنه أن يلعب في تثبيت دعائم العالم الإسلامي، واستقراره، وبروزه في الوجود كحقيقة ثابتة و واقع حي، وعقد مؤتمرات وندوات لتحقيق هذه الغاية، وكان مؤتمر "لاهور" الكبير[١] نتيجة من نتائج هذه الرغبة، وأثرا من آثارها.

وأن الغاية من وراء هذه المؤتمرات -كما يبدو منها- هي شرح الفكرة الإسلامية أمام الطبقة المتعلمة في العالم الإسلامي والقائمين بأمره، وايضاح ما تحويها هذه الفكرة من صلاحية مدهشة لحل مشاكل الإنسان، مشاكل السياسة والإقتصاد، والأدب والتاريخ، المدنية والعمران، وتقديم أبحاث مبسوطة متنوعة في كل ناحية من نواحيها، وذلك ما آمنا به جميعا، واتفقنا عليه، ولكن أحرص أن لا تفوتنا -ونحن في مرحلة البناء والتعمير- اللبنة الأساسية، فتأتي عمارة معوجة، مهددة بالأخطار في كل حين.

لذلك أرجو من القائمين بأمر هذه المؤتمرات والعاملين لها أن يكونوا أعمق تفكيرا، وأكثر واقعية، في معالجة هذه الأمور، حتي لا تطغى ناحية على ناحية، وتفوت بعضها على الآخر على الإطلاق.

ما هي أزمة العالم الإسلامي اليوم شعبا وحكومة؟ اذا فكرنا في هذا الأمر عن طريق عملي غير طرقنا وأساليبنا المعروفة رجعنا منه بنتيجة غير

[١] هذا المقال كتب عن مؤتمر لاهور الإسلامي الذي انعقد في يناير ١٩٥٨م لدراسة الشئون الإسلامية.

www.abulhasanalinadwi.org

النتيجة التى رجع بها كثير من الباحثين والعلماء، إن أزمة العالم الإسلامي أنه لا يعمل بعشر ما يعلم و يؤمن به، وأن هناك هوة منفجرة بين الحياة النظرية والحياة العملية في أمتنا المسلمة.

هنا كثير من الناس يعلمون أن الصلاة مفروضة على المسلمين ويعلمون أكثر من ذلك، ولكنهم لا يصلون، أو على الأقل لا ينشطون لها، كما يوجد هنا رجال يكتبون في فلسفة الزكاة ولا يؤتون الزكاة، لا أقول: إن الجميع كذلك، ولكن ذلك يدل على مبلغ التفاوت بين علمنا وعملنا.

إني لا أقلل قيمة هذه الجهود العلمية والإسلامية، ولا أهمل شأنها، فلا شك أن هذا الكفاح العلمي قد أدى دورا كبيرا في منع الشباب المسلم الجامعي من الوقوع في شبكة الشيوعية والانجذاب إلى الحضارة المادية، وله فضل كبير لا ينكر في هذه الناحية، إن الشيئ الذي أريد أن ألفت إليه الأنظار هو أن هناك مسألة أهم وأخطر للعالم الإسلامي، وهي مسألة التوفيق بين عقله وعاطفته، وبين عقيدته وحياته، وبين علمه وعمله، والبحث في امكانيات تنشيط قواه العملية للسير في هذا الطريق "طريق الإيمان الإيجابي" اذا صح هذا التعبير.

إن الكتب والمؤلفات التي نشرت في شرح الفكرة الإسلامية من نواح عديدة، موجودة مطبوعة، ميسرة متوفرة، فهل غيرت هذه الكتب تغييرا ما فى اتجاه العالم الإسلامي دولا أو شعوبا؟

وهل نجحت هذه المؤلفات العلمية والأبحاث المقنعة في إيجاد الإيمان الحي والحياة الإسلامية العلمية في المجتمع الإسلامي؟ الجواب في النفي! لا شك للحظة أننا في حاجة دائما إلى مزيد من التقدم العلمي في هذا المجال، ومزيد من الجهود العلمية نظراً إلى التطورات الحديثة في المجتمع والحياة، ولكن يجب

www.abulhasanalinadwi.org

أن نتأكد أننا لم نعمل بعد على كثير مما عرفناه، وأننا لم نطبق بعد على حياتنا أبسط المبادئ الإسلامي التي نعرفها ويعرفها كل مسلم متعلم.

اذا كانت المسألة مسألة دراسة فقط أو مسألة تقديم بحث أو وضع دستور فحسب لكان ذلك أهون علينا، ولم يكن هناك داع ولا مبرر لارهاق أنفسنا عبثا، والبحث عن أساليب أخرى ولكن القضية أجل منه، إنما هي قضية إيجاد حل لرغبة المجتمع المسلم عن مقومات الحياة الإسلامية ومطالبها، واهماله كثيرا من واجباته الخلقية والدينية رغم هذه المؤلفات والأبحاث والمؤتمرات!

إن التوفيق بين هاتين الناحيتين المهمتين والسير بهما، هو الحل الوحيد لهذه المشكلة الكبرى، بل اسمحوا لي أن أقول: إن الروح المعنوية والقوة العملية في هذه الأمة هي في الواقع أساس كل كفاح، ومنبع كل خير، وباعث كل تغيير في حياتها، فاذا كانت هذه القوة الكبرى نائمة فيها فلا رجاء في رقيها ونهضتها، وبعثها من جديد.

فالواجب علينا أن نثير أولا قلب هذه الأمة ونجذبه عمليا إلى الإسلام مع الاستمرار في جهودنا لاقناعها عقلا ودراسة بتفوق الفكرة الإسلامية من نواح شتى.

وهذا هو الشيئ الذي كان ينقص مؤتمر "لاهور" ويبدو أن المساهمين فيه لم يعيروا هذه المشكلة الكبرى العناية التي تستحقها، ولم يعطوها المكان اللائق بها، وهي مؤاخذتنا عليه ونصحنا له مع إيماننا بضرورة هذه المؤتمرات ونفعها، وتمنياتنا المخلصة لنجاحها وازدهارها.

www.abulhasanalinadwi.org

موقف المسلمين ازاء الحضارة الغربية

كانت نهضة أوربا واستيلاؤها -فكريا وسياسيا واقتصاديا- على العالم المعاصر، حادثا كبيرا بالنسبة للعالم الإسلامي، الذي لم يعد نفسه لمواجهة هذا الواقع المفاجئ، وبات في سبات عميق، لم يحسب لهذه الأخطار المحدقة حسابا، ولم يعر لهذه العاصفة الفكرية الشديدة التي بدأت تهب من الغرب عناية وانتباها، حتى اذا هجمت عليه، وجاست خلال دياره، وتمكنت في عقر داره، وجد نفسه بين موقفين:

الموقف الأول، هو موقف المستسلم الخاضع والمقلد الأعمى والتلميذ البار، والموقف الثاني، وهو موقف المعادي المخاصم، أو موقف المفتوح المقهور الذي لا يريد إلا الثأر، ولا يعرف لذة غير لذة الانتقام، ولا يرى في عدوه أي وجه من وجوه الخير، ولا أي جانب من جوانب الكمال.

وكان لكل موقف أتباع وأنصار عرفوا بميولهم واتجاهاتهم ومناهجهم وأساليبهم، فأصبح الموقف الأول شعار المسلمين الخاضعين، المؤمنين بالغرب أشد الإيمان، والمتغنين بمجده وعظمته في أجمل النغمات والألحان[1]، وأصبح الموقف الثاني شعار القادة السياسيين، والزعماء الوطنيين الحانقين الساخطين، الثائرين الموتورين[2].

---

[1] ترى نموذج هذا الأسلوب الأدبي، والمنهج الفكري في كتابات المرحوم السيد أحمد خان، زعيم حركة التعليم الحديث في الهند وأصحابه وتلاميذه، وفي كتابات رفاعة الطهطاوي بك، وقاسم امين وأضرابهم في مصر.

[2] يمثل ذلك مدرسة السيد جمال الدين الأفغاني، ومقالات "العروة الوثقى".

www.abulhasanalinadwi.org

أما رجال الموقف الأول، فكانوا أصحاب فكر محدود، وعقلية قاصرة لا تتعدى خطها المرسوم وحدها المعلوم، ولا تنظر إلى أفق أوسع أو غاية أسمى، ولا ترى إلى ما فاق فيه الغرب أقرانه من مظاهر القوة، أو أسباب الراحة والترف، وترى أن الإيمان بصلاحية الغرب للحكم والقيادة، وتوجيه ركب الحضارة حقيقة لا ينبغي أن نكابر فيها، أو نتجاهلها، أو أن انتصار الغرب على الشرق حكم القدر، وناموس الكون، وتدرج التاريخ، لا فائدة من مواجهته ومقاومته، أو مقارعته بالحجة والبرهان، أو بالسيف والسنان، ولا بد لنا من الخضوع أمامه، وقبوله على علاته -اذا كانت له علات.

إن رجال هذا الموقف يؤمنون بأن الغرب يفوقنا في كل شيئ، لا في الصناعة والآلة والتنظيم والإدارة فحسب، بل في الثقافة والحضارة كذلك، أنهم آمنوا بغاياته وأهدافه وآدابه ومذاهبه الفكرية، والأدبية والسياسية، الإجتماعية، كما آمنوا بوسائله، وأسبابه، وماكيناته وأدواته، وعلومه التطبيقية والصناعية والآلية، فكانت عاقبة ذلك أنهم لم يرجعوا منه بشيئ وخسروا كل شيئ، خسروا منبع قوتهم، وسر حياتهم، وغاية وجودهم، ولذة كفاحهم الدين، وفاتتهم الصناعة وما يمتاز فيه الغرب من منابع القوة والسيادة، فرجعوا بخفي حنين، لا دين ولا علم ولا وسيلة ولا غاية، بل تقليد ومحاكاة واستسلام وانقياد، وخضوع وخنوع، ورضي بما يلقي إليهم من فتات المائدة ومزدول الطعام.

إنهم ينظرون إلى الغرب كما ينظر تلميذ إلى أستاذه ومعلمه، يتلقى ضربته بصبر وأناة، ويتلقى توجيهاته، ودروسه بجد واجتهاد، ثم يرددها ويستحضرها آناء الليل وأطراف النهار، وهذا موقف لا محل فيه للنقد والتوجيه، والرؤية والتفكير، ولا يجوز فيه المناقشة والجدال، مناقشة الند

www.abulhasanalinadwi.org

للند، وجدال الفريق للفريق، فلا غرابة اذا لم نر من بين هؤلاء من يترفع عن هذا المستوى، ويلقى الغرب وجها لوجه، ويقابله على صعيد العلم والفكر، وعلى صعيد المساواة والشرف، والإعتداد بالنفس، والاعتزاز بما عنده من دين وأخلاق.

أما رجال الموقف الثاني، فبدوا عاطفيين، ثائرين نحو هذه المشكلة – مشكلة الغزو الفكري واستيلائه السياسي– وتكرست جهودهم في غالب الأحوال على محاربته سياسيا أو عسكريا، أنهم لم يحاولوا أن يعرفوا عدوهم، ويطلعوا على دخائله وأسراره، وسيآته وحسناته، وجوانب القوة والضعف فيه، ولم يفرقوا بين ما يفوق فيه علينا من علوم وصناعة وسلاح، فيستفيدوا به، وما يفتقر فيه من أهداف كريمة، وعقائد سليمة، ودوافع نبيلة، ورسالة نقية صافية، حتى يفيضوا عليه شيئا مما آتاهم الله، وكانوا حانقين عليه،كارهين له، بدلا من أن يكونوا حريصين على إنقاذه، متوجعين لمصيره ونهايته المتوقعة الأليمة، ورأوا في الغرب الظافر المنتصر، محتلا لأرضهم، غاصبا لأملاكهم، ناهبا لأموالهم، أكثر من أن يروا فيه محتلا لمعتقداتهم، غاصبا لإيمانهم، ناهبا لتراثهم الإسلامي ودعوتهم العامة الخالدة، الصافية الطاهرة، الحنيفية البيضاء التي لا تعرف التنازل والمساومة والاستسلام، ولا تنسجم مع المفاهيم الجاهلية أيما انسجام.

فكانت النتيجة أن وجد الغرب سبيلة إلى الإحتلال الفكري ورأى نفسه حرا لبث سمومه في الجيل الجديد، والشباب الجامعي المثقف، والبعثات الخارجية، والوفود العلمية، ورجال الصحافة والأدب، من غير أن يدركوا خطره ويفهموا حقيقة معركته ومكان رميته، ونوع سلاحه، فضلا عن أن يقفوا في وجهه وقفة الحر الكريم، والأستاذ الخبير العليم،

www.abulhasanalinadwi.org

ويفكروا في مدير الغوث والنجدة إليه، وانقاذه من الهوة العميقة التي تورط فيها، والمستنقع الذي يغوص فيه إلى أذنه.

فبينما اندمج الأول في هذا الخضم من الأفكار الغربية وتياراتها السياسية والإجتماعية، حاول الثاني أن يعبره من غير أن يتعلم السباحة، ويطلع على العمق والمساحة.

وبجانب هذين الموقفين المتطرفين موقف آخر، هو موقف المتأمل الدارس الذي لا ينكر الغرب برمته، ولا يقبله على علاته ولا يخلط بين ما أنتجه من وسائل لاسعاد هذه الحياة، وما اخترعه من مذاهب باطلة، وثقفات سخيفة، وآداب مبيدة للدين والأخلاق، والمبادئ الإنسانية الكريمة، والصفات النبيلة.

إن أصحاب هذا الموقف لا يعتبرون ما جاء به الغرب شرا محضا، أو خيرا محضا، فلا يستسلمون له، ويندمجون معه، ولا يواجهون ضغطه السياسي، واستعماره الإقتصادي أو غزوه العسكري فحسب، بل إنهم يحاربون أولا تلك الروح المادي، روح الجشع والأنانية وعبادة البطن والمعدة، التي تسربت في كيانه، وتغلغلت في أحشائه وجرى منه مجرى الروح والدم، فيأخذون ما صفا من هذه العلوم، ويدعون ما كدر، يستفيدون من أدواته ومعلوماته وعلومه وصناعاته -التي لا يحتكرها شعب ولا تختص بها أمة- ويتبرؤون من حضاراته وثقفاته وآدابه التي تحدد المفاهيم والأهداف، وتضع القيم والأقدار، وتكيف المجتمع والحياة.

إنهم لا يحسبون -شأن بعض البسطاء في الشرق الإسلامي- إن هذه الروح المادية المتحررة المنطلقة من كل قيد، الخارقة لكل قانون، هي السر وراء هذه النهضة المادية والصناعية التي فاق فيها الغرب على أترابه، بل يعتقدون أن السر وراء هذه النهضة هو التنظيم والارادة، والصناعة

www.abulhasanalinadwi.org

والتجارة والعلوم التطبيقية التي لا صلة لها بمناهج الحياة وأهدافها، ولا دخل لها في وضع صورها وأشكالها، فيشيدون بذلك، ويعترفون به في شجاعة وثقة، ويشيرون على الغرب بالتمسك به والمحافظة عليه، واقتباس الدين والأخلاق، وتعاليم الأنبياء من الشرق، حتى يضم قوة إلى قوة، ويحقق رسالة المدنية والتقدم.

إنهم لا يقفون في وجه الغرب كالعدو اللدود أو كالحاقد الثائر وكالناقد الساخر، ولا كالتلميذ الخاشع والرقيق الخانع ولا يطأطئون له رؤوسهم كالمصابين بمركب النقص والشعور بالهوان، ويقولون آمنا وصدقنا، سمعنا وأطعنا، بل يقولون في صدق وجرأة، وقوة وصرامة، أصبت هنا، وأخطأت هناك، وكان الصواب أهون وأيسر، والخطأ أدهى وأمر، لأن الصواب هو هذه الوسائل والأسباب، والعلوم والصناعات، والادارة والتنظيم، وهي لا تضر الإنسان كثيرا، إذا فاتته، أما الخطأ فهو منهجك في استخدام هذه القوة وهذا العلم، ونظرتك إلى الكون والإنسان، وانحرافك عن جادة النبوة والهداية، وثورتك على الأخلاق والقيم الرفيعة.

www.abulhasanalinadwi.org

لغة شقي بها أهلها

مأساة باكستان قضت على كثير من المغالطات أو التفاؤلات التي عشنا فيها زمنا طويلا،أنها كشفت القناع عن ذلك الوجه القبيح والصورة الكريهة المخيفة من عصبية اللغة، وأثارت عدة أسئلة للضمير الإنساني.

١. هل يحق لأخ أن يقتل أخاه لمجرد أنه يختلف عنه في اللغة والتقاليد الوطنية أو في الزي الوطني، والأكلة الشعبية؟

٢. هل يحق له أن يذبح جاره وصديقه، وأستاذه ومرشده لأنه لم يتكلم بلغته، ولم يتزي بزيه، ولم يتعود بعاداته؟

٣. هل يجوز له أن يحرق أولاده أحياء لأنهم لم يعطوه مثلا –نصيبه من الكامل من المال وقسطه الكافي من المحصول والإنتاج؟

٤. هل يمكن لهذه العوامل مجتمعة أن تكون مبررا كافيا لقتل الأبرياء وسفك الدماء، وخلع الغدار، والفسق والاستهتار؟

٥. كلا! اذا فما الذي حرك نزوات البنغاليين إلى تشويه تاريخهم بهذه الصفحة القاتمة السوداء، و وصم جبينهم بهذا العار؟

إن القصة أعمق جذورا، وأبعد مدى، وأوسع اطارا مما نراه بمنظار السياسة المحدود، فإنها تدل على بذور الحقد والضغينة والكراهية التي غرسها هؤلاء في قلوب الأبناء، و وجدت جوا صالحا وتربة صالحة للظهور والتقدم والنماء، حتى آتت ثمارها الخبيثة ﴿والذي خبث لا يخرج إلا نكدا﴾.

www.abulhasanalinadwi.org

والدرس الأول من هذه القصة الأليمة هو أن عشق اللغة وحبها الزائد وتقديسها، والهيام بها والتغني بالثقافات المزعومة والاغراق فيها هو رأس البلاء والشقاء، وهي فتنة استوردناها من الغرب فى مجموع ما استوردنا من شرور وخبائث وويلات فى صورة أفكار وحضارات وثقافات.

إن اللغة التي تفرق ولا توحد، تعادي ولا تؤاخي، تقسو ولا ترحم، لا ترعى في مؤمن إلا ولا ذمة، وينتهك لها كل كرامة وحرمة، وتريد أن تبقى، وتنتشر وتزدهر، ولو على ضحايا الأبرياء، وعلى الجماجم والأشلاء، هي لعنة على أهلها وعذاب من الله.

هل أن الله خلق هذه اللغات الكريمة البريئة لتكون وسيلة إلى الفساد والدمار والظلم والالحاد، أو لنجعلها وثنا يعبد، وصنما يقدم إليه القرابين؟

إن اللغة اذا علمتنا القتل، وعلمتنا الوحشية، وعلمتنا الجنون، وحولتنا في ساعات وثوان إلى قوم همج لا ضمير لهم ولا عقل، ولا دين عندهم ولا حياء، و زرعت في صدرنا قلب وحش أو سبع أو شيطان (ويا ليت اذا كان من البلاستيك البريئي لا يعرف ظلما ولا رحمة) وأطاحت بتربية مئات السنين في ساعة وحين. فعلى مثل هذه اللغة السلام.

والدرس الثاني هو أن صورة الإسلام والإيمان لا تقدر على مواجهة كيد الشيطان وثورة النفس، ما لم يدخل الإيمان في القلوب وقرارة النفوس، وما لم تستطع مقاومة النفس وتعود الخضوع لأمر الله، والوقوف عند حدود الله، فقد ثبت أن الشارات الخلابة الظاهرة والمظاهر الدينية الجوفاء لم تصمد لساعة واحدة في وجه هذا الطوفان بل انساق أهلها أحيانا كثيرة مع التيار العنيف، و وقفوا إلى جانب الجزارين والسفاحين.

www.abulhasanalinadwi.org

وأمام هاتين الحقيقتين ينبغي لنا أن نقف قليلا ونتأمل، أن الفجرة الهائلة والبون الشاسع الذي نراه بين جناحي باكستان لم يكن وليد سياسة محلية فحسب أو نتيجة تقسيم المنافع والأرباح كما يتصور كثير من الناس، بل إنما كان نتيجة عوامل مختلفة كانت عملها منذ زمن طويل، فقد عاش الجناح الشرقي بعيدا عن جناحه الغربي، يحب لغته، وأزياءه، وتقاليده وأرضه وماءه إلى حد التقديس، ويتفانى في ذلك تفاني المؤمن الصادق في سبيل الله، ويتحمس له تحمس الداعي إلى الله، وأدى هذا الاختلاف في اللغة توسع هذه الفجوة وبعد الشقة، وعاش الفريقان في مكان واحد. بل في مكتب واحد من غير أن يندمجا عاطفيا، ويتجاوبا روحيا ومعنويا، قد جمعتهم الضرورة على رصيف واحد، وفرقتهم العصبية والإقليمية رغم دين واحد.

وكان هذا الجو -بطبيعة الحال- صالحا لكل نوع من الانفجار والدمار، ونذيرا بكل ما حدث من شنائع وفظائع تقشعر منها الجلود، ويتندى لها جبين الحياء.

ولو كان للإسلام الأمر والنهي والتصرف الحر في باكستان وأطلق له العنان لكان شأنها غير هذا الشأن وقضى على العصبيات الباطلة الجائرة في مهدها، وماتت حتف أنفها، وما قامت لها قائمة وما نجمت منها شوكة تؤذي جنب المسلمين.

إن قصص التعذيب والاضطهاد والوحشية والجنون التي سمعناها، والعصبية العمياء الصماء التي رأينا آثارها وضحاياها، دلت بوضوح على أن العصبية البنغالية تخطت كل الحواجز الإنسانية والأقدار الخلقية العامة، بل أنها طغت على العقيدة والإيمان والعلم والتقوى وتملكت زمامها، وتصرفت فيه تمام التصرف، واستخدمته لسائر أغراضها الوحشية،

www.abulhasanalinadwi.org

وكانت كل هذه الوحشية والهمجية التي لا نظير لها، ولا تأويل فيها، باسم تراب الوطن، وقداسة الأرض حتى قال قائلهم وزعيمهم: إني أحب أن تكون آخر كلمتي عند الوفاة "عاش البنغال".

وتلك هي طبيعة كل عصبية اذا اختمرت ونضجت وبلغت أوجها وذروتها، ولا نستغرب اذا هي مثلت دورها في الجناح الغربي وعاثت فيها الفساد، كما هي فعلت في الجناح الشرقي، وأذاقته ألوانا من الخرب والدمار.

إننا نغرس أسواكا وننتظر أزهارا، نغرس في نفوس الناشئة الضغائن والأحقاد ثم نرجو منهم أن يكونوا إخوانا متحابين، نسكرهم بتقديس أرضهم، وعبادة ترابهم، وتمجيد أبطالهم وزعمائهم القوميين، ثم نطلب منهم أن لا يخرجوا من طورهم، ولا يفقدوا رشدهم وصوابهم.

إن للإسلام ثقافة عامة متحدة فوق الثقافات المحلية المخلفة، وإن له لغة فوق اللغات، ولهجة فوق اللهجات، هي لغة القلب والحب، ولهجة الإخوة والوفاء، فلتكن سائر لغاتنا تابعة لهذه اللغة الحبيبة الكريمة، خاضعة لها، وإن له هدفا فوق أهدافنا ومصالحنا الإقتصادية وحاجاتنا القومية، فليجب أن نضع سائر ارتباطاتنا ورغباتنا ومصالحنا تحت هذه المصلحة الكبرى، ونضع سائر زعاماتنا وقياداتنا تحت تصرفه المطلق، فذلك هو الشرط الأول والأساسي للإيمان ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[1]، وهو معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعالما جئت به».

ألا إن الإسلام لم يخسر الجولة في باكستان كما أنه لم يخسرها في فلسطين، إن مأساة باكستان إن دلت على شيئ فإنها تدل على أن

[1] سورة النساء، الآية ٦٥.

www.abulhasanalinadwi.org

الأحداث الدامية، والفوضى السياسية، والقلق النفسي، والصراع الحزبي والتنافس في القيادة والتهالك دونها، لم يكن إلا نتيجة الإعراض عن الإسلام والأخذ بالعصبيات والإقليميات، وضعف الوازع الديني وتزعزع الثقة بمستقبل الإسلام وسحبه عن مسرح النشاط الإجتماعي والسياسي.

إنها دلت على أن العصبية الجاهلية أخفقت اخفاقا كاملا في جمع الكلمة وتوحيد الصف، وأن الإسلام وحده بقي في الميدان يحمل لواء النصر والفتح. وهو يستطيع أن يضمد الجروح ويمسح الدموع، ويواسي المنكوب، ويصلح ما أفسده التعصب الأعمى، والجهل والنكران، أنه لا يزال يقدر على أن يحول هذه الوحوش الآدمية والذئاب البشرية إلى طراز رفيع من أشرف خلق الله رحمة وعدلا، وخيرا وبركة ونورا وضياءا.

إن العصبية الشرقية لا تقاوم بالعصبية الغربية، وبالعكس أنها تداوى —فقط— بالإسلام الذي يبقى دائما فوق العصبيات وحرب الزعامات.

إن هذه المأساة رفعت سائر الشبهات حول الإسلام و وضعته في موضع تهفو إليه القلوب، وتتطلع إليه الأبصار، وحرص عليه كل من سامته هذه العصبية الجاهلية والاستغناء عن دين الله سوء العذاب.

إن سائر الأوضاع تشير إلى أن نلوذ بالإسلام لنتخلص من هذه الأحقاد المكبوتة التي تشتعل تحت الرماد، وتطيح في لمحات وساعات ما بناه الأوائل في عشرات السنوات.

إنها تطلب منا أن لا نترك ديننا عرضة الأهواء الطاغية والرياح العاتية، يستبد به كل شاطر وماكر، ويعبث به كل شاغب وعابث بل يكون —كما وصفها القرآن— ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾[١]

---

[١] سورة إبراهيم، الآية ٢٤.

www.abulhasanalinadwi.org

وبعد فالإسلام لا يسمح بالظلم وبالدعوى الجاهلية أينما كانت، فالظلم ظلم، سواء كان في الهند أو في باكستان وسواء كان في مكة والمدينة، والعصبية عصبية وجاهلية ومنتنة -كما وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم- سواء كانت عربية أو أفغانية، هندية أو باكستانية، تركية أو إيرانية.

ومن هنا يختلف منهجنا عن جميع المناهج الجاهلية والحركات المادية والقومية والعنصرية: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم﴾[1]

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾[2]

إن باكستان تتأرجح الآن بين عصبية جاهلية ظالمة وإسلام سمح عادل، فلتكن هذه المأساة الأليمة داعية لها إلى الرجوع إلى الدين، والاعتصام بحبل الله المتين قبل أن تصل ألسنة هذه النيران إلى جناحها الغربي كما أحرقت جناحها الشرقي.

---

[1] سورة النساء، الآية ١٣٥.

[2] سورة البقرة، الآية ١٤٣.

www.abulhasanalinadwi.org

رسالة الحب

إن الحب "اكسير" يذوب فيه الحقد كما يذوب الملح في الماء وعصا سحرية تسخر القلوب المتحجرة الجافة والطبائع المتمردة العاصية وتسوقها إلى أي جهة تشاء.

إنه يحول الأعداء إلى الأخلاء ويحل محل البغض والشحناء الصداقة والاخاء، ويجعل من الفئتين المنفصلتين المحاربتين قلبا واحدا وجسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو اشتكى سائر الجسد بالسهر والحمى ﴿فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾[١]

فاذا استعرضنا المجتمع الإسلامي في القرن الأول وجدناه مشرقا بنور من الحب والإخوة والسلام، والتاريخ الإسلامي حافل بأمثلة رائعة من هذه الناحية يندر نظيرها في تاريخ الأمم الأخرى واذا فكرنا اليوم في أحوال المسلمين وأمعنا النظر في الأوساط الدينية والهيئات الإسلامية واستعرضنا هذه المشكلات التي تعترض الركب الإسلامي في كل مكان رأينا أن سبب ذلك هو عدم العناية بالحب والاستهانة بأهميته في الدين الإسلامي وضرورته للمجتمع الإنساني.

فليتخذ شبابنا المسلم شعاره الأول "الحب والإخلاص"، ومهمته الأولى اذاعة الحب بين الناس حتى تنجلي تلك الظلمات الكثيفة التي أحاطت بالمسلمين هذه الأيام، فهو حجر زاوية في بناء الإسلام، نادى به

---

[١] سورة حم السجدة، الآية ٣٤-٣٥ .

www.abulhasanalinadwi.org

القرآن العظيم وندب إليه الرسول الكريم وعمل به المسلمون في القرون الأولى.

وقد تتضاعف أهميته اذا رأيناه من ناحية مصلحة الدعوة وحكمة الدعوة.

أنت لا تستطيع أن تحمل الدعوة الإسلامية بين الناس وتدعوهم إلى الدين الحق وقلبك لم يذق حلاوة الحب.

إن المنطق والقانون لا يجذبان القلوب ولا يقنعان الوجدان، أنهما يهزمان الرجل ويصرعانه وربما يحدثان فيه بعض النقمة وبعض الحقد وبعض المقت تجاه هذه الدعوة، انما الشيئ الذي تنجذب إليه القلوب كالمغناطيس وتهوى إليه الأفئدة ويخضع له الجبابرة هو الحب الإخلاص.

اذا تحدثت مع رجل وألقيت عليه ألف دليل وأحرجته بألف سؤال، وشرحت الأمر شرحا بسيطا، وقلبك جاف غليظ، ولسانك قاطع كالسيف، وكلماتك حادة كالسهام المسمومة، أبعدته عن الهدف وملأت قلبه غيظا، ولو لم يستطع أن يرد عليك جوابا.

و اذا لقيت رجلا في الطريق وألقيت عليه كلمة خير واحدة بلا دليل ولا برهان، وبلا مناقشة ولا اسهاب وعلى شفتيك ابتسامة حلوة، وصدرك ممتلئ بالحب وقلبك عامر بالإيمان، كسبت قلبه، وقربته إلى الهدف، ولو أنه لم يبد رضاه في هذا الحين وأنكر هذه الكلمة، فإنه سيؤمن يوما من الأيام لأنك قد غرست في قلبه بذرة ستؤتي أكلها كل حين باذن ربها.

إن المجتمع الحديث في الشرق والغرب قد تنكر لهذا الحب الطاهر ولم يعرف قيمته واستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، إنه لا يعرف حبا أشف وأسمى، وأطهر وأنقى، من هذا الحب المادي ولا يعرف هدفه الصحيح.

www.abulhasanalinadwi.org

فاذا رفعنا هذا اللواء من جديد، وحملنا هذه الدعوة الكريمة إلى الإنسانية أحسنا إليها وأمسكنا بيدها في أشد ساعات الحرج، ومنعناها من التفكك والانهيار.

إن هذه الحياة الميكانيكية الجمادية التي تدور كالرحى في كل مكان، إن إنسان القرن العشرين الذي رضي بأن يكون آلة صماء تدور ليلا ونهارا، يكسب المال لينفقه وينفقه ليكسب أكثر منه، إن الحياة العائلية والإجتماعية التي أصبحت اليوم في الغرب جحيما لا يطاق، أنها كلها تحن إلى قطرة من الحب كما تحن الأرض المجدبة إلى قطرة من الماء.

فانجدوها أيها المسلمون المحبون بهذا الحب الذي آثركم الله به.

www.abulhasanalinadwi.org

بين الدنيا والآخرة(١)

أحب أن أقول قبل كل شيء، إن هذا الموضوع لم يأت عفوا، فجعلته عنوان كلمة وحاولت أن أضعه موضع البحث والنقد، وألبسه ثوب الحقيقة فأخدع الناس أو أخدع نفسي بل انني تعمدت هذا الموضوع، وذلك لما رأيت حوله من مغالطات أليمة قد تبدو خفيفة في الظاهر ولكنها تتصل بالفكرة الإسلامية الأساسية وتمس نظرها الخاصة في الدنيا والآخرة.

ان هذه النقطة كما يعلم الجميع هي النقطة الأساسية التي تعين مكانة الإنسان في الدنيا وغايته في هذه الحياة، وتغير وجهته من الدنيا إلى الآخرة، فلا يمكن لأحد أن يبدأ حياته بدون أن يتخذ موقفا معينا ازاء هذه المسألة في "النفي أو الاثبات" لأن زلة خفيفة فيها والحرافا بسيطا في فهمها قد تغير صورها أو تجرح روحها على أقل تقدير، وتبعدنا آلاف الأميال عن الخط الصحيح.

إن بعض المسلمين قد نشأ فيهم في العصر الأخير أسلوب من التفكير لا يتفق مع روح الإسلام الأصيلة، وذلك أنهم يحاولون أن يجمعوا بين الدنيا والآخرة ويسيروا بهما كتفا بكتف، ويتمتعوا بمنافعهما في ساعة واحدة، إن الجمع بين الدين والدنيا نعمة كبيرة وفضل عظيم، والإسلام لا يؤمن بهذا التقسيم، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾[1]

---

[1] سورة البقرة، الآية ١-٢.

www.abulhasanalinadwi.org

ولكنهم أرادوا شيئا آخر، إنهم أرادوا أن يجعلوا الدين على كفة ميزان والدنيا على كفتها الأخرى، وحاولوا أن لا ترجح كفة ولا تنخفض كفة فالدنيا لا تقل عندهم أبدا من الدين لأن الإسلام ليس فيه رهبانية، ويقولون إن هؤلاء الصوفية الذين يقللون دائما من قيمة الدنيا ويحاولون أن يقلعوا حبها من قلوب الناس هم في ظلام من الإسلام الصحيح، الإسلام الكامل، إن هؤلاء الناقدين لا يؤثرون الآخرة على الدنيا ولا يتحملون في سبيلها مشاق، فاذا وقع عراك مثلا بين مصلحة الدين ومصلحة الدنيا تحيروا ولم يجدوا حلا، وربما أساءوا الظن بالدين بأنه لا يستطيع أن يجاري الدنيا وأنه يحول بين الناس وبين شهواتهم، أقول أنها مغالطة نبعت من عدم الاطلاع على حكم الإسلام في هذه القضية الكبرى أنهم لم يعلموا بدقة وضبط كيف يعاملون الدنيا وكيف يعاملون الآخرة؟ وكيف يعملون للدنيا وكيف يعملون للآخرة وما هي مكانة الدنيا في نظر الإسلام؟ وكيف نجمع بينهما؟ وماذا يعني الإسلام بالجمع؟ إنهم لم يتفكروا في هذا الأمر ولم يرجعوا إلى مصادر الدين الصحيحة حتى تهديهم إلى الصواب وترشدهم إلى الحق المبين.

ماذا يريد القوم بذلك؟ هل هم يحبون أن يتمتعوا بالحياة ويتعمقوا فيها، بل يتمرغوا فيها كما يفعل الناس في هذا العصر، وبجانب آخر يتمكنون من الوصول إلى آخر درجة من الزهد والتقوى، والطهر والعفاف، والصدق والأمانة، والطاعة والعبادة، إلى آخر ما يقتضي الدين، ويتمتعون بثمراتها فى الحياة الآخرة كما استمتعوا بطيباتها في حياتهم الدنيا، فاني أشير عليهم أن يسألوا القرآن ماذا يقول في هذا اشأن؟

إن الإسلام لا يقر التقسيم الذي آمنت به المسيحية "أعطوا لقيصر ما لقيصر وأعطوا لله ما لله" إنه يقضي على الرهبانية ويقول: "لا رهبانية في

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام" انه لا يحسب هذه الحياة سلاسل وأغلالا من الحديد والنار يجب أن نتحرر منها في أقرب فرصة، ولا يحسبها قفصا من الذهب قد حال بيننا وبين الطيران في أجواء الروح الفسيحة.

وفي ناحية أخرى أنه لا يرضى أن يرى الحياة مباحة مشاعة مطلقة من سائر الحدود والقيود ويرى الدنيا غابة مظلمة تتحكم فيها السباع والذئاب والأسود ولا يعتبرها "فرصة ثمينة" لا رضاء الشهوات وتحقيق الآمال وجمع الأموال.

إنه يعطي الشعوب نظرة خاصة وفكرة متوازنة تسيغها فطرة الإنسان ويقتضيها العقل البشري، إنه يعد هذه الحياة مزرعة للآخرة، وهذا هو السر عنده في أهميتها، إنه يراها جسرا لا بد لنا أن نعبره في سبيل الوصول إلى الهدف، أنها أداة محترمة في سبيل الوصول إلى الغايات الرشيدة، ولكنها على كل حال أداة لا ينبغي أن نتخذها غاية رغبتنا وأكبر همنا ومبلغ علمنا، كما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم[1]، إنه لا ينكرها ويكرهها كبعض الديانات السابقة المعاكسة للفطرة الإنسانية، ولا يقدسها ويعبدها ويعكف عليها كديانة المادية الحديثة، إنه يرسم حدود "الدنيا والآخرة" بعلامات وفواصل يجب أن نعرفها ونقف عندها، الآخرة عنده دائما في الدرجة الأولى لأنها حياة غير فانية فاذا أضعنا تلك الحياة الخالدة من أجل هذه الفترة القصيرة من العمر فهذا خطأ منا في المقارنة بين الربح والخسران، وسوء تقدير للميزان، الآخرة دائما في الدرجة الأولى عذابها خالد ونعمتها خالدة، وإنه من فتور العقل أن نؤثر النعمة التي تفنى على التي تبقى، ونرجح الذي يزول على الذي لا يزول.

---

[1] كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ﴿اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا غاية رغبتنا﴾.

www.abulhasanalinadwi.org

فليست المسألة اذا مسألة جمع بين الدين والدنيا، إنما هي مسألة إيثار وترجيح، إن الإسلام لا يدع الدنيا قائمة بذاتها، إنه يحللها في نفسه ويجعلها عبادة ويتحكم فيها ويستخدمها حسب ارادته وقوته.

إنه لا يؤيد هذا النوع من الجمع الذي يسيطر فيه المال على القلب والروح والأعصاب، ويحتل المركز الأول في الحياة ويشغل الدين ركنا ضئيلا في غضون الرأس، إنه يسمح للمال أن نضعه على راحة يد أو في داخل جيب، أما داخل القلب فلا.

أما اذا أردنا أن نساوي بين الدين والدنيا في الأهمية فلا نحتمل نقصانا في الدنيا لحساب الدين، ولا نرضى بترك الدنيا لأجل الدين. أما اذا أردنا أن نصلي للدين ساعة ونصلي للدنيا ساعات، ونعبد الله مرة ونعبد المال مرات، فاذا طالبنا الإسلام أن نتحمل خسارة مالية في سبيله أو نكبح جماح شهواتنا ونخفض مستوى حياتنا لأجله شق ذلك على النفس، ورأيناه رهبانية وتقشفا، فانها مغالطة يجب أن نصححها في أول فرصة.

وكيف يمكن أن تتساوى الدنيا والآخرة وعمر الفرد على هذا الكوكب الأرضي محدود، فلا يتجاوز ١٠٠ سنة على الأكثر، وحياته في الآخرة خالدة غير محدودة غارقة في الأبد.

آمال الفرد في هذه الحياة طامحة و رغباته متوفرة وتمنياته متنوعة، إنه يحب أن يمس كل جميل ويذوق كل لذيذ ويتمتع بكل نوع من أنواع الراحة والهناء ويفعل ما يشاء فخلقت له "الآخرة" وأخفي له فيها كل ما تقر به العين ويلذ به النظر ويطرب له القلب.

اذا تمتعت مائة سنة في هذه الدنيا من نعيمها الذي تخلطه الكلفة، وابتساماتها التي تعقبها الدمعة، وحرمت ذلك النعيم الأبدي الشامل الذي

www.abulhasanalinadwi.org

يمتد إلى ملايين الملايين من العصور والأحقاب، فهل تجدك سعيدا بهذا يا ترى؟

هذه هي وجهة نظر الإسلام في هذه المسألة، واضحة لا غموض فيها ولا التواء، صافية مشرقة ليس عليها غبار حقيقة إنسانية يسيغها كل عقل ولا يختلف فيها اثنان.

إنه ينبغي أن لا ننسى أن قيمة هذه الحياة وقيمة هذا الكون هي نسبية (RELATIVE) إننا لا نحب هذه الحياة لأننا نعيش عليها ونتمتع بها، إننا لا نحب المال لأن المال شيئ يستحق أن نحبه ونعشقه ونعبده، إننا لا نحب هذا الكون لأنه فائض بالقوة والجمال، زاخر بمعاني الحسن والإحسان، متقن غاية الاتقان، إنما الشيئ الذي يهب هذه الحياة وهذا الكون قوة ومكانة، أنها نعمة من الله سبحانه و وسيلة إلى الوصول إليه: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله﴾[1] ﴿أنفقوا مما رزقناكم﴾[2]

هذه الفكرة حول الكون والحياة والإنسان تطلب من الناس أن يتمتعوا بهذا العالم بالمعروف ويكون أكبر همهم وأنبل أهدافهم الدعوة إلى الله والرجوع إليه وانشاء المجتمع الإنساني كله على هذه الأسس الصحيحة المتينة.

الدين عندهم دائما في النقطة الأولى، فاذا وقع هناك اصطدام بين شهوة النفس ومصلحة الدين آثروا الدين ولم يترددوا ولم يرتابوا، لأنهم خلقوا لهدف آخر أسمى من هذه الأهداف المادية الضئيلة والمآرب التافهة، انهم يرجحون دائما كفة الآخرة لأنها الخالدة الباقية وهي دار القرار، وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون، هذه الفكرة تسيطر على جميع

[1] البقرة: ١٧٢.
[2] البقرة: ٢٥٤.

www.abulhasanalinadwi.org

مشاعرهم وعواطفهم، وتدفعهم إلى أن يبذلوا لها كل جهد ولا يدخروا لها وسعا ويحنوا إليها كأنهم منها على موعد وكأنهم في انتظار، وهذا هو الفرق الأساسي بين أسلوب التفكير والميل الطبعي الذي نراه بين هذه الطبقة التي أشرت إليها وبين هذه الطبقة التي درست القرآن كما يجب أن يدرس، وفقهت السنة كما يجب أن تفقه، واستمدت منهما النور في تفكيرها وسلوكها، ومنهج حياتها كلها، وأختم هذا المقال بكلام الإمام أبي حامد الغزالي، فقد أجاد في وصف هذه الناحية الهامة بقلمه البليغ القوي فمما قال في الأحياء:

إن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها، وعظم الآخرة ودوامها، وصفاء نعيمها وجلالة ملكها، ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، وإنهما ككفتي الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى، وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر، وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ، فبقدر ما تصب منه في الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر، فإنْ من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بألمها، ثم انصرام ما يصفو منها، فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك.

ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وأن الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم بل كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخره، فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم يؤثر الدنيا على الآخرة فهو أسير الشيطان، قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته، فكيف يعد من حزب العلماء".

www.abulhasanalinadwi.org

بين الدنيا والآخرة(٢)

تحدثت في مقالي السابق عن نوع من التفكير جديد ان رضيه التفكير المادي فإن التفكير النبوي لا يرضاه ولا يسغيه، للأنه تفكير سقيم لم يقم على دراسة القرآن الصحيحة ودراسة المجتمع الإنساني في القرن الأول، ولأنه تفكير ناقص (ONE SIDED) يأخذ نصيبه من الدنيا وينسى نصيبه من الآخرة، إنه يعني بهذه الناحية من الكتاب والسنة التى تحث على الكسب وطلب الرزق، أما الناحية التى تتصل بالحنين إلى الآخرة والشوق إلى الجنة والاقبال إلى الله وابتغاء مرضاته والجهاد في سبيله، وتقلل من قيمة الدنيا والمال، ويطارد حبه من القلوب، ويصف الحياة الآخرة كأنها هي الحقيقة الوحيدة في هذا الكون، فإنها لا تنال أهمية لائقة من هذا التفكير مع أن هذه الناحية هي الناحية المفضلة في القرآن، والسمة البارزة في المجتمع الإسلامي الأول.

غاية أو وسيلة!

والشيئ الآخر الذي أضل الفكر وأظلم الطريق هو النظر إلى الآخرة كمن ينظر إلى وسيلة وأداة لإنشاء حكومة أفضل وجيل أمثل، إن هذا النوع من الناس يحسبون الآخرة طريقا من طرق الإصلاح و وسيلة من الوسائل الأدبية لتربية الفرد والأمة، وأداة قوية لبناء مجموعة بشرية صالحة، لأنه لا بد للإنسان من حارس ومراقب يحثه على الخير ويمنعه عن الشر، وهذا الحارس هو "اليوم الآخر"، وأن مجرد قانون العقوبات لا يقدر

www.abulhasanalinadwi.org

أبدا أن يوجد في الناس عواطف الرحمة والبر والشفقة والحنان ويحثهم على الحياة النظيفة الطاهرة، وأن القتل والنهب والإرتشاء والسوق السوداء، والاحتكار واختلاس الأموال موجود في كل حكومة وفي كل مكان بجنب البوليس وقانون العقوبات، ونقف هنا قليلا فنقول: إن فكرة اليوم الآخر هي الحارسة لأعمال الإنسان، ولاشك، وهي تستطيع أن تدفع عنه السيئات وتحثه على الحسنات، ولكن يجب علينا أن لا ننسى أنها فائدة من فوائد الآخرة، أما غايتها الأصيلة فانها لا تتقيد في حدود هذه الدنيا المحدودة القصيرة، ولا نصل إليها إلا حين تقوم القيامة، ويقال: ﴿لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار﴾[1].

هنالك اهتدى هؤلاء الناس إلى الآخرة كوسيلة من أعظم الوسائل لإقامة النظام في العالم، وآمنوا بها كضرورة خلقية Ethical Necessity لايستغنى عنها فرد أو أمة، أما كوصفها غاية هذا الكون وهذه الحياة والهدف الأول لكل إنسان في هذه الأرض، ومنتهى جهوده وتضحياته ومقياس نجاحه وخسرانه، فهذا لا يعنيهم كثيرا، فتراهم يتحدثون عنها كأنما يتحدثون عن شيئ ليس له نصيب كبير من الواقع أو كأنما يتحدثون عن بعيد أو محال، أو حلم وخيال، فإذا مروا بآية ترغيب أو ترهيب في القرآن، مروا غير عابئين بها مهما كثر فيه ذكرها، وتتابعت آياتها، واذا مروا على آية واحدة تتصل بالمعيشة والكسب والعدة والإعداد أفاضوا فيها وأرسلوا النفس على سجيتها، وانساقوا مع الحديث كل الانسياق.

بين التفكير النبوي والتفكير البشري:

وههنا الفرق بين التفكير النبوي والتفكير البشري، إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعدون الآخرة أعظم غاية في هذه الحياة وهي عندهم

[1] سورة غافر، الآية ١٦.

www.abulhasanalinadwi.org

واقع مشهود وحقيقة ثابتة، وكأنهم ينظرونها ويتنشقون في جوها، ولا فرق عندهم بين المادة التي نلمسها والغيب الذي لا نراه، إنهم يؤمنون بأن الآخرة هي الغاية الوحيدة التي يجب أن يتنافس فيها المتنافسون ويعمل لها العاملون بكل ما أوتوا من الصحة والقوة والمال، لا يدخرون لها وسعا، ولا يبغون عنها بديلا ولا يرضون دونها زهيدا ولا يسلكون سواها طريقا ﴿ومن زحزح عن النار وأدخل الجنة، فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[1] وكل شيئ يمكن أن يكون وسيلة إلا الآخرة، ورضا الله جل وعلا ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ أليست هذه الحياة قصيرة العمر، قليلة المتاع، مدبرة ذاهبة، خادعة مضلة ﴿كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا حتى اذا جاءه لم يجده شيئا، ووجدالله عنده فوفاه حسابه﴾[2] ؟ أليست هي الفانية والأخرى باقية؟ ﴿كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد، ومغرفة من الله ورضوان﴾[3] ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة﴾ وقال ﴿من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقي على الذي يفنى﴾ وقال له ابن مسعود رضي الله عنه يوما: لوأمرتنا أن نبسط لك وتعمل. فقال: ﴿ما لي وللدنيا، وما أنا والدنيا، ما أنا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها﴾ وقال مرة: ﴿كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل﴾ وقال: ﴿الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر﴾ ويقول القرآن ﴿إن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾[4] أما هنا فقد انعكست الآية، فاذا الغاية تصبح وسيلة،

---

[1] سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

[2] سورة النور، الآية ٣٩.

[3] سورة الحديد، الآية ٢٠.

[4] سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

www.abulhasanalinadwi.org

والوسيلة تتحول غاية، وذلك بدون أن يشعر أحد أي انحراف وقع في اتجاه الحياة، وأي جرح أصاب الروح الإسلامية والفكر الإسلامي.

إنني أعجب من هؤلاء الذين لا يلمسون هذا البون الشاسع بين الفكرتين، ويحبون -بإخلاص- أن لا يبدو للناس الجانب الروحي من الإسلام. فينتقص من قيمته وكرامته ومكانته السامية بين الحركات العصرية[1].

مهما يكن من أمر فان كل دارس للكتاب والسنة وأحوال الصحابة يعرف جيدا أن هذه الفكرة لم تقم أبدا على أسس إسلامية صحيحة، وإنما نجمت في رجال أخذوا بالحضارة العصرية -التي هي مادية بحتة- من غير أن يشعروا، ولم تنشرح صدورهم للإسلام، وإن آمنوا بسبقه في حقل السياسة والإقتصاد والتشريع، فهم يخجلون من أن يعرضوا الإسلام في صورته الصحيحة ويتظاهروا بجانبه الروحي العظيم في حياتهم من زهد وقناعة و ورع وتقوى وخشية وإنابة وتضرع وابتهال ودعاء ومناجاة وحنين إلى الجنة وشوق زائد إلى لقاء ربهم وحرص شديد على مغفرته ورضوانه، ذلك لأن هذه الفكرة التي اختاروها ليس بوسعها أن تنشئ فيهم هذه الروح الدينية الأصيلة وكيف تفعل وقد قامت من أول يوم منكرة لها، أو كانت في عمى من قوتها وتأثيرها وأهميتها وأصالتها.

إن الأنبياء عليهم السلام يعيشون كما يعيش الناس ويأكلون ويشربون ويتزوجون ويحبون الأولاد، ولكن لا تذهلهم هذه الزخارف -لدقيقة واحدة- عن إيمانهم بأنهم ذاهبون إلى الآخرة، فالدنيا عندهم طريق للوصول إلى المقصود و وسيلة تفضي إلى الغاية، أو قاعة امتحان للناس

---

[1] وياليتهم يعلمون أن إسلام محمد عليه صلوات الله وسلامه وإسلام صحابته رضي الله عنه (في صورته وروحه الأولى) أصلح لهذا العصر الذي اتخم بالمادية وهو مع فكرته الأصيلة التي تستحيون من ذكرها دين كل زمان ومكان. وسفينة نوح في كل طوفان.

www.abulhasanalinadwi.org

فمنهم من نجح ومنهم من رسب، أو (مخيم) تقوم فيه بالإعداد جسديا و روحيا حتى تفوز برضا الله عز وجل.

ويسرى ذلك الإيمان في أصحابهم مسرى الروح في الجسم والكهرباء في الأسلاك، ويتحكم في ميولهم ونزعاقم، وأهوائهم وشهواقم، ويخلق منهم إنسانا آخر حتى يصبح كل فرد منهم إماما وقدوة، يقلده العالم وتتبعه الأمم، فلا ترى فيهم إلا شوقا إلى الجنة وحنينا إلى الآخرة وسعيا إلى الجهاد وتسابقا في الخيرات، مثلهم مثل جائع عطشان، قد سدت في وجهه أبواب الرزق وقد رأى الماء وراء جبل فهو يسعى إليه بكل ما أوتي من قوة، ولا يكل ولا يمل، ولا يؤثر فيه استخفاف الناس لأنه قد رأى الماء بعينيه، وهو يعلم أنه لو لم يصل إلى هذا المكان لمات شر ميتة.

إنها السمة البارزة والوصف الأول للمجتمع الإسلامي الصحيح، في عصر الصحابة والتابعين، وهو المقياس النبوي الخالد الذي يقاس به الناس في كل عصر ومصر مهما تغيرت الظروف والأوضاع، ومهما تقدمت المدنية وتعقدت الحضارة، واختلطت الوسيلة والغاية.

بينما نرى الطائفة الأخرى تستهين بهذه الناحية الجليلة وتهمل شأنها، وقد رأينا كثيرا من الكتاب والمفكرين يحبون أن يعرضوا الإسلام في العالم كحركة تقدمية شعبية أو نظام اقتصادي أو سياسي، يهدف إلى ترفيه الشعب واقامة حكم صالح نظيف، يسود فيه الهناء والسعادة، ويحكم فيها بالسوية، ويطمئن كل فيها إلى نفسه وعرضه وماله، فلا قتل ولا سرقة، ولا غش ولا خيانة، ولا غلاء ولا بلاء، ولا الارتشاء ولا السوق السوداء، وتكون جنة في الأرض.

www.abulhasanalinadwi.org

أما الغرض الأساسي من الإسلام الذي يقول فيه القرآن: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾[١] وهدفه الأول وهو النجاة في الآخرة والوقاية من النار، فإنهم لا يذكرونها في كتاباتهم إلا مرغمين، مقهورين، كارهين، خوفا من أن يتهمهم البعض بأنهم رجعيون، يحلمون بالفردوس في دنيا العمل والحياة، ويخشون الناس والله أحق أن يخشوه.

الروح أولا:

الإسلام في نظرهم مجرد حركة ونظام كالحركات السياسية والمادية الأخرى: الإشتراكية والشيوعية مثلا، إلا أنه قد فاق أقرانه في مواهبه المدهشة لحل مشاكل العالم، وصلاحيته للبقاء والاستمرار، وانكاره لفروق اللون والجنس، وهذا صحيح ولا شك! ولكن هل بعث محمد عليه الصلاة والسلام لينشئ حكومة شعبية راقية يعيش في ظلها الإنسان بسلام ويموت بسلام وهو لا يدري غايته و واجبه في هذه الحياة ولا يعرف ربه، وان عرفه، فلا يحبه ولا يخشاه ولا يتشوق إلى الجنة ولا يخشى من النار؟؟

وتطغي عليهم هذه الفكرة وتسول لهم أن يهملوا عالم القلب والروح، ويسخروا منه بعض الأحيان ويحتقروا العاطفة وفعلها السحري في النفوس، وينكروا أهمية الفرد في المجتمع وتربيته الروحية وعلاقته مع الله ومشكلته الذاتية، حتى يواجه الموت ويضمه القبر ولا يغني عنه حينئذ أدب أو علم أو سلطان ﴿يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولا ناصر﴾[٢].

وربما يقول البعض إننا نقدم الإسلام كحركة عصرية تقدمية لئلا ينفر منه العقل الحديث وكذلك نقدم الآخرة كضرورة خلقية لأنها تسوغ إنسان القرن العشرين الذي لا يؤمن إلا بالنفعية والمادية ولا يفهم إلا هذه

---

[١] سورة التحريم، الآية ٦.

[٢] سورة الطارق، الآية ٩-١٠.

www.abulhasanalinadwi.org

اللغة وهذا الأسلوب وهذا حق! لكن يجب علينا أن لا ننسى أن اثمه أكبر من نفعه، إننا بذلك نبني صرحنا الإسلامي على أشلاء الفكرة الإسلامية نفسها، ونغذي نزعته المادية التي حاربها الإسلام.

إن الإسلام روح وتشريع، وعبادة وثقافة، ودين ودولة، إنه ينشئ في أهله أولا هذه الروح التي لا يحتاجون بعدها إلى رقابة، وحراسة بوليس، ويمدهم ثانيا بقانونه الإلهي الشامل،﴿نور على نور، يهدى الله لنوره من يشاء﴾[1].

نزلت آية منع الخمر فسالت الخمر في أزقة المدينة، وكسرت دنانها، وقد كان الرجل منهم لم تفارق الخمر شفتيه، والآخر كان يرفع الكأس إلى فمه، فيسمعان بمنع الخمر ويتوبان عن شربها حالا، ولا يغيبن عن بالك أنه لم يكن هناك جبر ولا إكراه، ولا سينما ولا دعاية، ولا حراسة ولا رقابة، وبعد ثلاثة عشر قرنا على هذا الحادث الفذ العجيب تصدر الحكومة الأميركية قانون منع الخمر، وتنفق أموالا باهظة على الدعاية، وتستخدم أحدث الوسائل في بيان مضار الخمر عن طريق السينما والنشرات والإذاعة، ولكن رغبة الشعب في الخمر اشتدت بالعكس، وقوي عناده، حتى اضطرت الحكومة أخيرا إلى سحب القرار و إباحة الخمر قانونيا، وتمنع روسيا الخمر في حدود دولتها في ابان عهدها، فلا تلبث أن ترغمها الظروف على إباحته.

إن الأنبياء عليهم السلام لم يكونوا واضعي قانون فحسب، بل إنهم كانوا مبشرين ومنذرين، ولما أن الإسلام كل لا يتجزأ، فإنه لن يكمل اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في التشريع والأحكام، فحسب، بل يجب علينا أن نتبعه في سيرته وسلوكه، وعبادته وزهده أيضا، ونتلقى منه قسطا

[1] سورة الطارق، الآية ٩-١٠.

www.abulhasanalinadwi.org

كبيرا من سمو الروح وتزكية النفس، أما اذا أخذنا بمجرد التشريع وفاتتنا ناحية الروح التي هي كل شيئ، فقد فاتنا الهدف، ولم يكمل لنا الإيمان، وحرمنا اللذة الحقيقية وتركنا اللباب.

ما هو الغرض من التشريع؟ إن الغرض من التشريع كما هو المعلوم هو رفع المجتمع إلى مستوى خلقي عال، حتى لا ينحرف عن الطريق ولا يهبط إلى الحضيض وحمايته من التدهور الخلقي والفساد، فكيف لو جعلناه غاية وحسبنا غايته وسيلة، كما فعلنا أمس بالآخرة حتى استغللناها كوسيلة لإقامة السلام في العالم، وحماية المجتمع من الأدواء الخلقية النفسية والانحلال العائلي والإجتماعي، ونسينا أن الإصلاح الخلقي، ونظافة الأسرة والمجتمع، والتحرز من الحرام، والارتزاق بالحلال وأعمال البر والخير ليست غايات بنفسها، إنما هي وسائل للنجاح في الآخرة و الإعداد الروحي والنفسي لكسب المغفرة والرضوان من الله ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾[١].

الإسلام دين القوة، ودين الحياة، ودين الكفاح والجهاد، ودين التمكين والعزة، ودين النظافة والطهارة، ودين الرحمة والاخاء، ودين الهناء والرخاء.

ولكن هي كلها منافع وثمرات يعطيها الله عباده المؤمنين، ونعمة ينعمها على أهل الإيمان، وهي كلها وسائل نبتغي بها رضى الله في الدنيا والآخرة، ونتقي بها النار ونكسب بها الجنة ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾[٢] ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾[٣].

---

[١] سورة الشعراء، الآية ٨٨–٨٩.

[٢] سورة التوبة، الآية ١١١.

[٣] سورة المائدة، الآية ٣٥.

www.abulhasanalinadwi.org

وإنه من الجفاء كل الجفاء وظلم لا يعدله ظلم أن نخلط بين الوسيلة والغاية، ونقلب الحقائق ظهرا لبطن، ثم نزهو بهذه الخدمة الجليلة التي نقوم بها باسم العلم والدين، والإسلام والمسلمين، من غير أن نشعر أي نقص وقع في جهازنا الفكري وما سيكون له من نتائج سيئة وعواقب وخيمة في الحياة الدنيا ويوم يقوم الحساب ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾[١].

[١] سورة ق، الآية ٣٧.

www.abulhasanalinadwi.org

القلب الصناعي والقمر الصناعي

إنها حضارة بلا قلب، أو هي حضارة ذات قلب صناعي، والفرق بين هذا القلب وذاك كالفرق بين القمر الطبيعي الذي خلقه الله والقمر الصناعي الذي صنعه الإنسان، غير أن هذين القلبين يتشابهان في الصورة والشكل والحجم، ولا يبدو بينهما فرق في النظر المادي.

إن قلب الحضارة العصرية قلب صناعي أو في تعبير آخر هو قلب حيواني شهواني، ليس للفضيلة والخير والأخلاق، عنده معنى، ولا للعاطفة النبيلة مكان.

إن "دارون" و "ميكافيلي" و "فرويد" و "ماركس" هم من الذين ساهموا في صنع هذا القلب بنصيب أوفر، ليزرعوه مكان القلب الإنساني الذي كان ينبض –حينا– بالرحمة والحنان، ويتدفق بالحب والإيمان، ويفيض برا ومؤاساة لخلق الله، ويحترق كالشمعة لخير البشرية وصالح الإنسانية.

إن هذا القلب لم يصنع في يوم واحد، ولم يصنعه رجل واحد، إنه كان نتيجة عمليات مختلفة النوع والصورة تمت على أرض أوربا، وخلاصة صراعا . ثقافية ودينية وسياسية وقعت بين الكنيسة والبلاط، إنه نتيجة ملاحم دموية كثيرة، واضطهاد رهيب وقع داخل محاكم التفتيش وخارجها، والتي نقرأ أخبارها في التاريخ الأوربي القديم، ونشاهد آثارها ونتائجها في التاريخ الأوربي الحديث.

www.abulhasanalinadwi.org

إن جميع هذه العوامل والأسباب والمؤثرات والتيارات الفكرية ساهمت في تكوين هذا القلب وصناعته، ولكن الجيل الجديد من بعد قد وضع النقط على الحروف، ونقض آخر خيط كان يربط القلب بالمعاني الإنسانية الكريمة والأقدار الخلقية المعروفة في كل بلد وقطر، المحترمة في كل أمة وشعب، فجاء "دارون" ليقطع صلة الإنسان عن أعظم تراثه الإنساني، ذلك التراث والتاريخ اللذين استحق بهما الإنسان أن يكون شيئا آخر أعز وأسمى من الحيوان والجماد، وشيئا آخر أعز وأسمى من تطورات المادة والطبيعة، و ألاعيب الزمان والمكان، وجاء "فريد" لينفي قيمة العواطف النبيلة والسمو الإنساني ويهبط بالإنسان في مستنقع آسن متعفن من الجنسية والشهوة، يتمرغ فيه كالحشرات، وجاء "ميكافيلي" فبث في الناس أن كل كذب وتضليل واستعباد واضطهاد جائز في سبيل المصلحة السياسية، فلا حرج في القيام بأفظع الجرائم وأشنع المنكرات لاشباع رغبة قومية وتحقيق مصلحة سياسية، وجاء "ماركس" فقال: إن البطن هو المحور الحقيقي للنشاط الإنساني الذي تم في التاريخ والذي سيتم في المستقبل.

نجحت كل هذه الجهود والمحاولات أو المؤثرات، وجدت الإنسانية قلبا جديدا، ولكنه كان قلبا صناعيا، لم يترك فيه الصناعون ناحية واحدة للمشاعر الإنسانية.

ترى ماذا يحدث اذا وضعنا قلب حيوان في أحشاء إنسان أو بالعكس؟ ماذا يمكن أن يكون هذا الإنسان بعد هذه العملية الخرقاء وبماذا نسميه اذا؟ ولكن ذلك حدث فعلا، فكان من نتيجة ذلك أن نشأت حضارة غير منسقة، فاقدة الاتزان، فتضخمت نواح تافهة، لم يكن لها كبير قيمة على حساب نواح أولية، كانت في الدرجة الأولى من الأهمية،

www.abulhasanalinadwi.org

وهذا هو الشيئ الذي التوى فهمه على كثير من مفكري الغرب، فقالوا أن حضارتنا قامت من غير تصميم سابق، كلا بل إنها قامت على تصميم سابق، لكنه تصميم زائغ، إن هذا القلب الصناعي الذي تحملونه بين جنبيكم لا يسمح لكم أن تروا الأمور على حقيقتها، إنه -كالمنظار الأسود- يغير لكم لون الأشياء، ويؤثر في تفكيركم وحكمكم فيها من غير أن تشعروا بهذا التغيير، بينكم من يقوم بنقد شديد لاذع لحضارتكم، ولكن لا يمكنهم مع ذلك أن يقطعوا صلتهم عن هذا القلب الذي صنعه فلاسفتهم وعلماؤهم في عصر النهضة الأوربية.

إن حادث القلب الصناعي الذي تم اعداده على مرأى من الناس ومسمع، لم يحرك فيكم ساكنا بينما هذا القمر الصناعي الذي أطلقته روسيا أخيرا أدهشكم جميعا، ونال اعجابكم جميعا، إنه القلب الصناعي الذي يخفي لكم كثيرا من الأشياء، ويكشف أخرى، وينقص من أهمية شيئ، ويزيد من أهمية شيئ آخر.

"لقد تكلم "اينشتين" بنظريته المشهورة "نسبية الزمان والمكان، والمادة "قائلا إن كل شيئ نسبي لنا، وقال بعض فلاسفتكم: إن يوما واحدا في عالم ما بعد انقضاء يساوي قرنا أو أكثر منه في هذه الكرة الأرضية، فالرجل الذي يسافر إلى المريخ سيعود منه في يوم واحد، لكنه لا يجد أحدا ممن تركهم، لأنه يكون قد مضى زمن طويل على هذه الأرض.

آمنتم بهذه النظرية، وتناقلتها صحفكم وأقلامكم ولم تفطنوا حتى الآن إلى أن نظرتكم إلى الكون والحياة والإنسان، نظرة نسبية على الإطلاق، ورأيكم في القيم الخلقية والإنسانية رأى نسبي كذلك، لأنه صدر عن قلب صناعي، وهذا القلب لا يستطيع أن يحكم في الأشياء إلا من وجهة نظر مادي بحت، ويجهل كل شيئ، لا يدخل في حيز وظيفة،

www.abulhasanalinadwi.org

ولكنكم لم تلقوا أي اعتبار لهذه النسبية القلبية التي بليتم بها الإنسانية، وصفقتم للنسبية الكونية والزمنية التي لا صلة لها بالإنسان، إلا من بعيد.

أما أصبحت الخلاعة والمجون أدبا والظلم قوة والمكر والخديعة كياسة ولباقة، إنها نسبية "القلب الصناعي" ولغته التي لا تفهمونها أنها أقوى من نسبية "ايشتين" لو كنتم تعلمون.

أليس من العجيب أن الإنسان الذي يحاول أن يطير فوق آفاق أخرى، ويصل إلى كواكب بعيدة جدا من الأرض، هو في الوقت ذاته يخالف أبسط قواعد الأخلاق والرحمة والإنسانية، بل المدنية العامة ويهبط إلى مستوى أسفل من الحيوانية.

أو ليس أعجب من ذلك أن كثيرا من الناس في الغرب يعرفون جيدا أنهم سائرون في سبيل الدمار العالمي، وأن هذه المسابقة الرهيبة في حقل المادة والقوة سيؤدي بهم حتما إلى الفناء، فبدلا من أن يخففوا شيئا –بحكم المنطق– في هذا الهوس المادي نراهم قد غلوا في هذا الهوس وأكثروا منه وأصبحوا أكثر نشاطا وقوة وجنونا من ذي قبل.

إنه "القلب الصناعي" مصيبة القرن العشرين، القلب الذى ربيناه على آخر أنواع علمها البشر من الإثم، وآخر درجات وصل إليها الإنسان من البغي والطغيان، إنه القلب الذي علمناه أن لا يرحم أحدا ولا ينصر مظلوما ولا يرعى إلا ولا ذمة.

إن القمر الصناعي يفضينا إلى سر خطير من أسرار التاريخ، ويكشف عن لغز كبير من ألغاز الحياة، أنه يلفت أنظارنا إلى "القلب الصناعي" ذلك الداء الذي تحمله البشرية بين جنبيها، وهي لا تدري أين الداء؟ وتبحث عبثا عن الدواء.

www.abulhasanalinadwi.org

إن القمر الصناعي إشارة صوتية من الفضاء لنعلم أن الشيئ الذي نتعاقبه في الجو، ونبحث عنه في مظاهر الطبيعة الكونية يكمن في قلب الإنسان نفسه، وهو ينتظر من يكون القادم الأول لهذا الكشف الإنساني العظيم.

إن القمر الصناعي تحذير للذي لا يبصرون أكثر من المادة والمعدة، أنهم قد أخطأوا في اختيار الجهة، واختاروا طريقا موحشا مضلا لا يضمن الوصول إلى السعادة الحقيقية للإنسان، بل إنه نذير خطر جديد، خطر نكوص البشرية على عقبيها عدة قرون، اذا أصروا على صحة الجهة، وسلامة الوصول، ومن يدري إلى متى تظل البشرية هكذا، حائرة تائهة في غياهب القرون والأجيال.

www.abulhasanalinadwi.org

إنها الحضارة الإلهية!

إن الإسلام "حضارة إلهية" إذا صح هذا التعبير، فهو ليس كأصنام ينحتها البشر بأيديهم ثم يعبدونها، أو يحطمونها، إذا غضبوا عليها، ويضعون محلها صنما آخر، هو ليس كالمذاهب الفكرية والحركات الاجتماعية التي اخترعها الإنسان في مختلف أدوار التاريخ، ثم فرضها على نفسه من غير سلطان بين، وأحاطها بهالة من التقديس والإجلال، حتى إذا وجد أن هذه الحركات لا توافقه نسيها أو تناساها، و وضع محلها مذهبا آخر، وهو مغرور بنفسه وبعقله، لا يدري أين يسير به هذا الدوران، وما هي نهاية المطاف؟

إن موقف الإسلام من هذه الأصنام المادية والمذاهب الإنسانية موقف صريح وموقف بين، إنه لا يفرق بين الأصنام القديمة والحديثة، فكلاهما في نظره سواء، لأنهما من صنع البشر.

أما هو – أي الإسلام– فهو "شريعة ومنهاج" من عند الله، أنزله على البشر ليسير على هداه، وبما أنه من عند الله فهو محفوظ عن الخطأ والانحراف، والزيغ والضلال، لا حاجة فيه إلى تعديل أو تغيير، ولا حاجة فيه إلى إدخال تحسينات وإصلاحات شأن المذاهب الإنسانية والحركات الاجتماعية والسياسية كلها، وإلى ذلك أشار القرآن حين قال:﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾[١] وقال: ﴿لا مبدل لكلمات الله.. وهو السميع العليم﴾[٢].

---

[١] سورة الملك، الآية ١٤.

[٢] سورة الأنعام، الآية ١١٦.

www.abulhasanalinadwi.org

إذا فهو "حضارة إلهية"فما أسس هذه الحضارة ومبادئها؟ وما هي روحها وغايتها؟ وكيف تكيف المجتمع تكييفا كليا، وتخلقه خلقا جديدا؟

المبدأ الأول: إذا دققنا النظر وتعمقنا في دراسة هذه الحضارة وجدنا أن هنا شيئا واحدا يهيمن على الجهاز كله، ويسيطر عليه سيطرة كاملة، وهو أن الوصول إلى الله ونيل رضاه هو في الحقيقة وظيفة الإنسان الأولى والأخيرة في هذه الحياة، ولا وظيفة له غير ذلك مطلقا، فيجب عليه أن لا يسعى لشيء، مثل ما يسعى لهذه الغاية، ولا يحب شيئا مثل ما يحبها. ﴿قل: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾[1] ﴿واذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا﴾[2]. إن هذه العقيدة وهذه العاطفة هو الينبوع الذي تتفجر منه الأنهار والشلالات فيظن الجاهل أن هذه الأنهار أو هذه الشلالات هي غايته القصوى وأنها هي المقصودة، ولا يفهم أنها مظاهر هذه العقيدة، أو أجزاء هذا الكل، وقد يندهش الباحث إذ يرى– وهو يدرس هذه الحضارة– أن خيطا من النور يربط مظاهر هذه الحضارة وأجزائها برباط متين وثيق، فمن إماطة الأذى عن الطريق إلى آخر درجات الجهاد وأفضل أنواع السعي الديني روح واحدة لا يتخللها شيء، روح التقرب إلى الله والسعي إليه، إن هذا التناسق وهذا الانسجام بين مبادئ هذه الحضارة وأعمالها ومظاهرها شيء يدهش له الإنسان ولا يجد له تأويلا، وكلما يخوض في الدراسة يزداد حيرة وإعجابا، ويزداد إيمانا وتصديقا، ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾[3].

بخلاف "الحضارة الإنسانية" فإنه يرى أن الغايات هنا متعددة، والأهداف هنا متنوعة، والآلهة هنا كثيرة، أو ليست هناك غاية ولا هدف،

---

[1] سورة الأنعام: الآية ١٦٣.
[2] البقرة: الآية ٢٠٠.
[3] سورة النساء، الآية ٨٢.

www.abulhasanalinadwi.org

ولا إله على الإطلاق، كما أنه لا يجد تناسقا في الأفعال، ولا اتحادا في الغايات، فما لقيصر لقيصر، وما لله لله، بل ما لله لقيصر – إذا نظرنا إلى الحالة السائدة اليوم.

أما في الحضارة الإلهية فالحياة كلها عبادة، والأرض كلها مسجد، فلا ترى إنسانا في هذه الحضارة إلا و هو في سعي دائب متواصل، وحنين دائم مستمر لأن يكون أحسن عملا من جميع الناس، وأن يكون ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا﴾[1].

وهذا هو المبدأ الأول الذي يقوم عليه صرح حضارتنا الإلهية، وهو ينفخ في نفوس أبنائها روحا تحترق كالشمعة، وقلبا سليما لا يقر له قرار، ولا يهدأ له بال، وعاطفة مؤمنة جياشة لا يغرها الجمال الكاذب والمتاع الذاهب، وتسيطر هذه الروح على جميع مرافق هذه الحضارة فمن النظام الفردي إلى النظام العائلي إلى النظاسم الأسرى، إلى النظام الاجتماعي، إلى النظام الدولي مظاهر متعددة لشيئ واحد، وصور شتى لحقيقة واحدة:

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

إنما حضارة متسقة متزنة، قد يختلفا فيها الاثنان في مناهجهما وسلوكهما وقد يختلفان في وظائفهما وأعمالهما، فهذا تاجر وذلك عامل، وهذا موظف وذلك فلاح، وهذا حاكم وذلك محكوم، وكل له حقل خاص، و وظيفة خاصة، ولكن الشيئ الذي لن يختلف فيه اثنان في هذه الحضارة هو النية من وراء هذه الوظائف والأعمال، والروح التي تحدوها فإن هذا الشيئ لا تتعدد فيه مسالكهما ولا تتفرق فيه سبلهما أبدا.

المجتمع الرباني: إذا قلنا إن مجتمع الحضارة الإلهية مجتمع تعاوني اشتراكي، لعدلنا كثيرا عن الصواب، إن هذا المجتمع أكثر من اشتراكي

[1] سورة النساء، الآية ٦٩.

www.abulhasanalinadwi.org

وتعاوني وأفضل منه، وهذا المعنى لا يكفي لتصوير روحه كاملا، إن المجتمع الاشتراكي يقوم على أساس تبادل المنفعة، بل إن كل مجتمع إنساني يقوم على أساس التعاون والاشتراك في العمل، ولا يستطيع أن يعيش يوما واحدا بغيره، فإن الإنسان خلق ضعيفا، ولا بد لهذا الإنسان الضعيف أن يكون له أعوان وأنصار وأصدقاء، ولكن المجتمع الرباني له لون خاص ومكانة فريدة بين الحضارات، إنه لا يعتبر الإنسان – شأن الحضارات الإنسانية الأخرى– سلعة للبيع مهما كانت ثمينة أو غالية، ولا يحب له أن يعيش على أساس تبادل المنفعة فحسب، بل إنه يهديه إلى طريق أفضل، وهو أن يعيش الإنسان في هذا العالم لتعيش رسالته ودعوته التي بعث من أجلها، وأن يخدم الآخرين ويساعدهم غير طامع في أجر، ولا حريص على مكافأة ﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجرا، إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون﴾[١] وأن لا يعلق قلبه بمباهج الحياة وزخارفها، فإن أصابته سراء حمد الله، وإن أصابته ضراء استغفر الله، وأن يؤمن بأن القدر خيره وشره من الله تعالى، فلا حاجة إلى الاستعانة بمخلوق والإقبال عليه في أمر من الأمور، بل ينبغي للجميع أن يتوجهوا إلى الله ويثوبوا إليه، وأن لا يقصروا في أداء ما عليهم من حقوق و واجبات وأمانات فرضها الله عليهم، غير طامعين فيما عند الناس فإن ما عند الله هو خير وأبقى، وكان هذا شعار الأنبياء دائما، وشعار أصحابهم من بعدهم.

إن الفرد في هذا المجتمع لا يبر أخاه، ولا يساعده، ولا يعينه كواجب خلقي محض، يجب على الجميع أن يؤدوه كاملا وفق ما تفرض عليهم اشتراكية المجتمع، بل إنه يقوم بهذا العمل حرصا على الثواب، وطلبا للمغفرة، وطمعا في رضى الله سبحانه، وفي هذا المعنى يقول الحديث

---

[١] سورة هود، الآية ٥١.

www.abulhasanalinadwi.org

الشريف: «الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» بخلاف الفلسفة المادية التي تقول: «إن العبد في عون العبد ما داما متعاونين» وشتان بينهما، فالنتيجة أن كل فرد في هذا المجتمع يبقى في محاولة مستمرة، ليسبق أخاه في الخيرات والحسنات، حتى يستحق ثواب الله ورضاه، ويستحق جنته التي وعدها الله عباده بالغيب.

اليد العليا خير من اليد السفلى:

لعل هذه الجملة هي خير ما تمثل المجتمع الرباني، فهي تربي المجتمع على أجمل معاني التضحية والإيثار، وهو مظهر رائع من مظاهر الحضارة الإلهية والمجتمع الرباني.

ومعنى اليد العليا أن يؤدي الإنسان واجبه ولا يطلب حقه، و أن يعطي ولا يأخذ، وأن يعين ولا يستعين، و أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فإذا استقرت هذه المعاني في مجتمع، رفعت منه الثورات والضغائن، وذابت فيه الأحقاد، وقضي على النفعية والانتهازية وحب الذات إلى الأبد، وهذا هو الشيئ الذي لم يوفق إليه المجتمع المادي، فكله الآن صراع مستمر من أجل الحقوق، العمال يحبون أن يعملوا قليلا ويربحوا كثيرا، وأصحاب المعامل لا يريدون ذلك، إنهم يحبون أن يكدح العمال والفلاحون ليل نهار مقابل راتب ضئيل لا يكفي لمطالب حاجاتهم، وهنا ينشأ الصراع، ثم ينتهي هذا الصراع إلى إضرابات، وتؤدي هذه الإضرابات إلى معارك دموية، تزهق فيها الأرواح، وتسفك فيها الدماء.

أما في المجتمع الرباني فالحالة هنا مختلفة تماما، لأن كل فرد فيه حريص على الإنفاق، حريص على الخير، حريص على السماح والعفو، فلا داعي للصراع بين الطبقات، ولا مبرر للحقد والبغضاء في النفوس.

www.abulhasanalinadwi.org

﴿عن أبي ذر قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يشترط على أن لا تسأل الناس شيئا، قلت: نعم. قال: و لا سوطك إن سقط منك حتى تنـــزل إليه وتأخذه﴾ و هذا الحديث وحده يعيننا في فهم هذا المجتمع ودراسته وتحليله.

وفي حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نقرأ عنه من أنه كان يزاول جميع أعماله بيده المباركة أكبر دليل على ذلك. والتاريخ الإسلامي حافل بهذه الأمثلة والقصص فنرى أن كل من تذوق حلاوة الإيمان، ودخلت بشاشته في قلبه أفنى نفسه وماله ابتغاءا لوجه الله، وطمعا في رضاه، وبالغ في خدمة الناس وإيصال النفع إليهم ومعاونتهم بينما لم يرض لنفسه أن يمن عليه أحد ولم يطلب حقه من أحد، وتمنى لو جمع بين حسنات الجميع ورجع بثواب الجميع.

تضحية وإيثار:

إن التعاون واجب وطبيعي ولازم للبشرية، ولكن دراسة الإسلام ودراسة حضارته الإلهية تقنع الباحث الحر أن هنا فرقا عظيما بين المجتمعين: الرباني والاشتراكي، وأن هذا المجتمع لا يشبه المجتمعات القديمة والحديثة أدنى شبه، و أن له آفاقا لا تشاركه فيها المجتمعات الأخرى.

ففي الأول تضحية وإيثار وعفو وسماحة، سماحة قلب وسماحة يد، وسباق إلى الخير ومكارم الأخلاق، وذلك كله إيمانا واحتسابا.

وفي الثاني سوق للتجارة وتبادل منافع ومصالح، وتقسيم أرباح، فإذا قصر أحد في واجبه حدث صراع بين الأفراد، وعمت الفوضى، فلا يلبث هذا التعاون أن يتحول إلى تطاحن وعراك، يكدران صفو الحياة.

في الأول: الناس يستقبلون تكاليف الحياة ومطالبها باسمين و إن لم يجدوا جزاءها في هذه الدنيا، لأنهم واثقون بأنهم سينالون جزاءها موفورا

www.abulhasanalinadwi.org

في الدار الآخرة ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾[1]. وفي الثاني: الناس لا يستطيعون أن يتحملوا تكاليف الحياة ومطالبها إلا إذا كانت لهم في ذلك فائدة ملموسة و نفع ظاهر في هذه الحياة، ولا يحبون أن يحسنوا إلى أحد إلا إذا أحسن هو إليهم، ولا يؤثرون على أنفسهم ولو كانوا أغنياء، وذلك لأن حب الذات قد طغى عليهم إلى حد جعلهم لا يفرقون بين الشر والخير، ولا يميزون بين الخبيث والطيب ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾[2].

فإذا وصف أحد المجتمع الإسلامي بأنه مجتمع اشتراكي أو تعاوني، فقد أخطأ وأساء إلى روح هذا المجتمع وشبهه بشيئ لا يرفع قيمته بل ينقصه، وإنه بذلك أدخله في صف المجتمعات المادية قديما وحديثا، التي لا ندري أن واحدا منها حقق عشر ما حققه المجتمع الإسلامي، أو أتى بثمرة واحدة من الثمار الطيبة التي يتوفر بها هذا المجتمع.

إلى الله:

وإذا كنا أكثر صراحة وبساطة وأكثر دقة و وضوحا قلنا: إن هذه الكلمة الخفيفة على اللسان، الثقيلة على الميزان هي في الحقيقة محور نشاط هذا المجتمع، وكعبة آماله وأحلامه، وهي التي تنفخ فيه الروح وتبعث فيه النشاط، وهي حادي الشوق الذي يحدو هذا المجتمع إلى غايته ومقصوده، ويحبب إليه متاعب السفر، وآلام الطريق، ويجعله ينشد بلسان حاله:

فليتك تحلو و الحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ... و بيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

---

[1] سورة الحشر، الآية ٩.
[2] سورة الكهف، الآية ١٧.

www.abulhasanalinadwi.org

إن المثل الفريد لكل فرد في هذا المجتمع أن يكون من عباده الذين ذكرهم الله في كتابه المجيد، بقوله: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾[١] فهو يبذل ماله ونفسه بلا تردد ولا حساب، ليجمع أكبر مقدار ممكن من الحسنات، و الحسنات لا حد لها ولا نهاية، وكلما يزداد حسنة يزداد شكرا وحمدا، وتوبة واستغفارا، وخشوعا وابتهالا، ولا يزال يقطع مسافة بعد عقبة، إلا ويتكرر في أسماعه قول الله تبارك وتعالى ﴿هو الذي خلق الموت والحياة، ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾[٢] ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾[٣] و ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه﴾[٤]فتجيش العاطفة في صدره مرة ثانية، ويواصل رحلته الروحية بنشاط مزيد وأمل جديد، حتى يسمع هذه البشرى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا﴾[٥] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾[٦] ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾[٧].

إن هذه العقيدة الدافئة، وهذا اليقين الراسخ، والحب الصادق، هو أكبر قوة موجهة و أكبر معجزة عرفتها البشرية في عمرها الطويل، وبهذه القوة الخارقة والمعجزة الكبرى كان وجود حضارتنا الإسلامية وحياتها، وبذلك كان بقاؤها واستمرارها، وبذلك كان نموها وازدهارها، وبذلك كان إبداعها وإعجازها، الحضارة التي أدهشت عقول الفلاسفة والمفكرين، وحيرت العلماء والمؤرخين في التاريخ، ولا غرابة فإنها شيئ أعز وأثمن من التاريخ، إنها من الله وإليه.. إنها "الحضارة الإلهية".

---

[١] سورة البينة: ٨.
[٢] سورة الملك: ٢.
[٣] سورة الحجر: ٩٩.
[٤] سورة الانشقاق: ٦.
[٥] سورة الأحزاب: ٢٣.
[٦] سورة التوبة: ١١١.
[٧] سورة الفجر: ٣٠.

www.abulhasanalinadwi.org

الغرب في ضوء التحليل النفسي

إن دراسة الحياة الغربية بما فيها من متع و زخارف، وآلام ومخاوف وتحليلها تحليلا نفسيا توصلنا إلى نتائج مهمة، لها صلة كبيرة بالوضع الإنساني الحاضر والعالم المعاصر، كما أن فيها دروسا عظيمة للعالم الإسلامي الذي يتهيأ اليوم للوثوب والانطلاق للتعويض عما فاته عبر القرون الماضية المتلاحقة، وأخذ يبصر نهاره الساطع وراء السحب الداكنة والدخان المتصاعد من الفتن والثورات والتطورات و إن لم تتبين معالمه وتباشيره بوضوح.

إن الحياة الغربية ليست وليدة المصادفة، ولا مفقودة النسب بل إنها قامت على تقاليد وأصول ومبادئ وتاريخ، وانتمت إلى الحضارة الرومية و ورثتها خلقيا وفكريا، ولها مقومات ونظريات خاصة، لا يمكن إهمالها والإعراض عنها، ونحن في موقف الدراسة النـزيهة، والتحليل النفسي الخالص.

إن الصراع الطويل بين العلم والدين وبين الكنيسة والبلاط دفع أوربا دفعا قويا إلى الأخذ بالأساليب المادية في حياتها بل التفاني فيها، وظلت هذه النـزعة تقوى على مر الأيام، حتى آل بها الأمر إلى ما نراها عليه الآن، وكان كل ذلك طبيعيا و واقعا لا محالة، ولكنها كانت النكبة الأولى والمأساة الأولى، والنكبة الثانية بدأت الآن — بعد أن بلغت أوربا أوج قوتها المادية— وتجلت معالم هذه النكبة بوضوح في الحياة الأوربية اليوم.

كانت النكبة الأولى نكبة لذيذة إذا صح هذا التعبير، نكبة شاب فج متهور لا يبالي بالأخطار، لقد كان فيها الحرارة والنشاط، والتحمس

www.abulhasanalinadwi.org

والاندفاع، والآمال والأحلام، كان فيها شوق رجل يريد أن يرتقي إلى قمة عالية من الجبل، وهو يتوهم أن فيها معين الحياة الخالدة التي طالما تغني بها الشعراء في الشرق والغرب فهو في حنين دائم مستمر لا يعرف للسهر والتعب معنى، ولا يحسب لهما حسابا، ويندفع إليها اندفاع الهائم أو المفتون، وهذه كانت حالة أوربا تماما طوال هذه الحقبة من الدهر.

ولكنها الآن – وقد بلغت هذه القمة، وجدتها خرابا بلقعا– تواجه أزمة عاطفية حادة، لا تستطيع أن تعرف كنهها، ولا تقدر على التخفيف منها، إنه الشعور بالفراغ الروحي، إنه الملل النفسي أو السآمة النفسية التي اعترتها وطغت على سائر بيئاتها، فلم تخل منها مدرسة ولا بيت، وكان كل ذلك طبيعيا و واقعا، فإن الإنسان مفطور على الحنين والتطلع إلى الهدف أيا ما كان ذلك الهدف، و هو يحب أن يكون له هدف يجري نحوه جريا، ويتلذذ بهذا الجري المتواصل، وإذا نال هذا الهدف أحب أن يكون له هدف آخر يستهلك قواه ومواهبه و طاقاته و أشواقه.

إن الحياة الغربية اليوم حياة مريحة "مكيفة" و الإنسان الغربي نال كل ما تمنى من قوة مادية، وعزة قومية، ومع ذلك فإن هنالك آلاما و أوجاعا، تعانيها كل أسرة وكل بيت في الغرب سواء في أميركا أو في انجلترا، أو في أي قطر من الأقطار الأوربية.

إنهم يبدون لك كأنهم فقدوا شيئا، ولا يعلمون ما هذا الشيئ؟ ولكنه شيئ خطير، أعقب كل ذلك الخلل و الاضطراب، والقلق والإرهاق، والملل والسآمة، و الفراغ الروحي الرهيب المبيد في الحياة الغربية، وملأها مخاوف وهواجس من مصيرها، ولكن هل هي تعرف مصيرها، كلا! إنها إذا حيرة، حيرة صامتة، استبدت بالحياة الأوربية، أو مست كل فرد من أفرادها، من غير أن يعرف من أمرها شيئا.

www.abulhasanalinadwi.org

فما هي آثار هذه الحيرة وتلك السآمة في حياهّا؟

لئن كانت آثار هذه الحيرة والسآمة غامضة نوعا ما قبل أعوام، فإلها أصبحت الآن واضحة جلية، في جميع مرافق الحياة الأوربية، نلمسها في كل شارع، وفي كل بيت، و نقرأ أخبارها كل يوم في الصحف، والجرائد وإن نمر بها مرا سريعا، من غير أن نفهم دلالتها ومغزاها العميق.

أفاد الأنباء منذ أيام "أن رجلا في "استراليا" ابتلع ثمانية فيران، نظير ١٧ فلسا تقريبا، فقبض عليه البوليس بتهمتين: تهمة محاولة الانتحار، وتهمة القسوة بالحيوان، وأجريت عملية جراحية في بطنه، فخرجت منه الفيران الميتة".

لئن كان ذلك حادثا واحدا ما استرعى اهتمامنا، و لم نقف عنده موقف المتامل الباحث، ولكن توالى هذه الحوادث وتتابعها بصورة عامة دائمة، حتى أصبحت ظاهرة قوية من الحياة الأوربية، وجزءها الذي لا ينفك عنها، دفعنا على أن نحاول فهم دلالتها المعنوية والوصول إلى كنه الحياة الأوربية التي تعاني آلامها و أمراضا اجتماعية وخلقية كثيرة من غير سبب ظاهر.

وإليك مثالا آخر قد يكون أكثر دلالة وأكثر وضوحا، قام أساتذة جامعة أوربية و علماؤها بتجربة مثيرة، فقد خرجت جماعة مؤلفة من كبار أساتذة الجامعة، و دخلوا في حديقة وانطلقوا يأكلون الأعشاب والبقول على هيئة الدواب والأنعام، وقال العلماء: إلهم وجدوا لذة كثيرة في هذه الطريقة الجديدة.

وقرأنا في الجرائد منذ زمن أن رجالا قاموا بمباراة الكلام الفارغ فأخذوا يتكلمون ثلاثة أيام ليلا وهارا بدون انقطاع حتى تورمت ألسنتهم، وأشرفوا على الهلاك، و آخرون قاموا بمسابقة المشي، فربطوا

www.abulhasanalinadwi.org

بأرجلهم دواليب تنـــزلق بهم، فلم يقفوا للحظة واحدة مدة يومين أو ثلاثة، وذلك رجل دعا الصحفيين إلى حجرته في إحدى المطاعم الأوربية الفاخرة، لمشاهدة حادث انتحاره، وقال: إنه دعاهم ليشاهدوه منتحرا، ثم يسجلوا هذا الحادث الفظيع في صحفهم بعناوين بارزة.

وهذا يقفز من الطائرة ويقتل نفسه، ليجرب هذا النوع الفريد من الانتحار الذي لم يوفق إليه أحد من الناس حتى الآن، وذلك ثري يقف كل ثروته وممتلكاته لكلبه الحبيب الوفي بعد وفاته، وهذا أرستقراطي كبير ذو مكانة مرموقة في المجتمع يبني بناية شامخة مكيفة لكلابه المدللة.

إن مثل هذه الظواهر والحوادث تجلت في كل ناحية من نواحي الحياة الأوربية، وتسربت في أجزائها، ولو استقصينا ما وقع بالأمس القريب، ويقع اليوم، وما يجري في هوليوود ومن مهازل لرجعنا بحكايات مضحكة طريفة، قد لا تصدق، ولكنه واقع لا ينكر، وهو طابع الحياة الأوربية الأصيل في الوقت الحاضر.

إذا درسنا تلك الحوادث والظواهر التي ذكرناها آنفا وحللناها رجعنا منها بنتيجة واحدة، وهي:

إن جميع هذه الحوادث تدل على قلق نفسي شديد وفراغ روحي رهيب، أغلق على الغربي منافذ فكره، و أظلم دروب حياته فظل يروح نفسه بأشياء تافهة، عساها تجد فيها نعتها، أو يبلغ بغيتها، أو يروي غلتها، أصحاب هذه الظواهر يبدون في الظاهر أنهم أثرياء مترفون متنعمون، ولكنهم في الحقيقة أشقياء غير مسرورين، مصابون بآلام وأسقام وأوجاع نفسية وعصبية و روحية، جعلت حياتهم جحيما لا يطاق.

إنهم جعلوا المجد والشهرة والقوة السياسية والمادية نصب أعينهم، فبلغوها وجنوا ثمراتها، وهنالك بدأ ذلك الصراع النفسي، فماذا بعد هذه الحرية العامة والانطلاق التام من قيود الخلق و الروح، إلا الحيرة والجنون والضلال.

www.abulhasanalinadwi.org

ونسوق إليك مثالا آخر، و هو يؤيد قولنا أنه لم يبق جزء من الحياة الأوربية، إلا و قد تأثر بهذه الظاهرة، و اصطبغ بلونها، و إن هذه الحوادث ليست حوادث فجائية، أتت عفوا، ومن غير قصد، بل إنها نتيجة تطور داخلي هائل وداء أصيل كامن في النفس، له جذور عميقة، في قرارة الحياة الغربية.

خذ مسألة الطعام، إن طريقة المآدب الأوربية المفضلة اليوم أن يأكل فيها الناس قياما، فعليهم أن يتجولوا في صالة الطعام ويأخذوا لقمة من هنا و لقمة من هناك، مشيا على الأقدام.

كل ما في الأمر أن هذا شيئ جديد، وإن خالف العقل والصواب، وإن خالف مصلحة الإنسان، ومنفعته أيضا.

إن الدوافع الأساسية على مثل هذه الأعمال والظواهر دوافع متشابهة. فالذي ابتلع الفيران لم يكن في حاجة إلى هذه الفلوس القليلة، بل إنما قام بهذا العمل العجيب الكريه ليواجه – ولو من غير نتيجة– ذلك الفراغ الذي حطم كيانه، ولما أنه لم يكن يملك أعصابا قوية تدفعه على عمل مثل الانتحار، رضي لنفسه بمثل هذه التفاهة والعبث الفارغ.

والذين قلدوا الدواب والأنعام في أكل الأعشاب و البقول لم يقوموا بها بدافع الفضول أو على سبيل النكتة والسخرية، إنهم أرادوا عزا علميا ومكانة اجتماعية، فنالوها و أرادوا الدنيا فتهالكت عليهم، فاستمتعوا بها، ولكنهم أحسوا سريعا أنها أخفقت في إعطائهم طمأنينتهم المفقودة، و سر حياتهم الضائع، ولما لم يكن أمامهم طريق غير هذا الطريق المادي، ولا هدف غير هذا الهدف المادي، أرادوا أن يجربوا حياة الدواب ويعيشوا في هذا الجو حينا من الدهر، علهم يجدون ما يبتغون.

www.abulhasanalinadwi.org

إنها سآمة ولا شيء، سآمة خفية كامنة في الدم، غارقة في اللحم والعظم، سآمة في كل حركة ونشاط، وفي كل ما يقومون به من أعمال.

الحياة الغربية حياة ربطت ناصيتها بالآلة الصماء، فإنها — مهما ابتليت بها على يديها و ذاقت منها ألوانا من العذاب— مربوطة بها بالسوق والأعناق، لا ترى إلى المناص سبيلا، ولا تجد إلى الخلاص حيلة، إذا أخفقت في نوع جربت نوعا آخر من نفس الشيء إلى ثالث و رابع و خامس، دوران لا ينتهي و لا أمل في انتهائه ما دامت لا تعدو أرضا واحدة، هي أرض المادة والقوة القومية.

www.abulhasanalinadwi.org

مقياس الحضارة في المجتمع الإسلامي

هذه الناطحات للسحاب، وتلك المباريات للريح، و هذه الخافقات في السماء، والسابحات في الماء، وهذه الأنوار المتلألئة البديعة و الألوان الرائعة البهيجة، و هذه الأصوات المحمولة على جناح الأثير، و الصور الحية المتحركة على الشاشة، وهذا المقعد المريح، والفراش الوثير، و الطعام اللذيذ، و الزي الأنيق، وهذه الابتسامة المتكلفة، و المشية المتبخترة، وهذه الأجساد العارية الكاسية، و النـــزوات الثائرة العاتية، وهذه الحرية الكاملة في طريق الشهوات الفتية الجامحة، ليست "حضارة" إنما هي مظهر طبعي، ومظهر برئ، ومظهر صادق، للروح المستورة وراء هذه المظاهر، و الصور و الأشكال.

إنها ليست حضارة أبدا، وإنها ليست نهضة أبدا.

فالعبرة دائما – وفي جميع الأحوال والملابسات– باليد العاملة من وراء ستار، وبالروح الآمرة الناهية المتصرفة في خفاء و من وراء جدار.

عندنا في الشرق – وفي الشرق الإسلامي بوجه أخص– خلط والتباس عجيب في مفهوم الحضارة "والنهضة" إن مداركنا لهذه "الحضارة" لا تختلف كثيرا عن مدارك الرجل الغربي للحضارة، إننا لم نستطع أن نفرق بين اللب والقشر، وبين الوجه المستور و الوجه المكشوف، و بين الصورة والحقيقة، وبين القيم الراسخة في النفس، الغارقة في الأعماق، وبين هذه المظاهر المبعثرة على وجه الأرض، المنتشرة في الآفاق.

الحضارة ليست ذلك الكرسي الذي نجلس عليه و القلم الذي نكتب به، و الإناء الذي نشرب منه الماء، إنما هو "الشخص" الذي يستعمل هذا

www.abulhasanalinadwi.org

و ذاك لغرض خاص وعاطفة خاصة، و روح لا تنفك عنه لأي لحظة من اللحظات، فإذا كانت هذه الروح روحا قدسية و روحا طيبة و روحا نظيفة جلس يذكر الله، و راعي أثناء الشرب أن لا يكون حراما، وحمده على هذه النعمة، و شكره على هذا الخير.

وإذا كانت هذه الروح روحا سافلة، روحا خبيثة ملتصقة بالأرض، متمرغة في الوحل، وحل الشهوات و النـــزوات، جلس لنفسه أو لشيطانه، و كتب في تشويه الحق وتقوية الضلال، وشرب من آنية حرام وماء حرام، وعاد إلى إجرامه في محاربة دين الله.

فالحضارة إذاً ليست هذه "الأدوات البريئة" التي خلقها الله في خدمة الإنسان، بل إنما هي روح تهيمن على هذه التصرفات، والنية التي تنبعث منها هذه الأعمال.

"و إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى".

إن مقياس الحضارة في المجتمع الإسلامي، غير مقياسها في المجتمع الجاهلي بجميع صوره وألوانه، وهذه هي نقطة الفصل، ونقطة الالتباس أيضا، الأصل – في المجتمع الإسلامي– هو العبودية لله، والخضوع أمام شريعته والاتصال به اتصال القلب و الروح و التفكير و الوجدان، و الجهاد في سبيله بأعز ما يملكه الإنسان، أما هذه الوسائل و الأ دوات فهو لا يأخذ منها إلا بقدر ما يكفي لتحقيق مهمته في هذه الحياة، وإعلاء كلمة الله في الأرض، ولا يأخذ منها إلا في حدود معلومة واضحة أذن بها الله.

أما مقياس الحضارة في الغرب فهو أن يأخذ الإنسان كل ما تهوى نفسه من مال ومتاع ونساء بالوجه الشرعي أو غير الشرعي سواء بسواء، إن هذا المقياس يعتبر السابق في هذا المجال والفائز في هذه المسابقة أسعد إنسان على ظهر الأرض، و بين المقياس بون شاسع وفرق هائل.

www.abulhasanalinadwi.org

ولكنه فرق طبيعي بين الإسلام والجاهلية، في ظاهر نشاطاهما وأدوارهما منذ زمن قديم جدا، إن روح الغرب مادية بحتة، مظلمة كالحة، و هي لا تستطيع أن تنتج غير هذه المظاهرة المادية، إنها عقيمة عن كل نوع من الأهداف السامية، و الأغراض النبيلة، إنها عاجزة عن أن تنجب الإيثار، و الحب، و الحنان، و الإيمان، و الإنابة، و التوكل، و الشكر، و القناعة، و الصبر، و التماسك، و العفاف، و الطهارة، والإخلاص، و الوفاء، و الطاعة، و الولاء، و لا أي معنى نبيل كريم عظيم ترتفع به هامة الإنسان في غابة الحيوانات، و يسمو به على غيره من المخلوقات.

هذه الروح المادية المظلمة هي مقياس "الحضارة" في الغرب، وأساسها وجوهرها، ولحمتها وسداها، وطابعها الدائم الأصيل، فإذا هي ركزت كل قواها على المادة، فانها بذلك لم تأت بدعا، بل إنما عملت عملها الطبيعي، وقامت بدورها المنتظر، وآتت ثمرها المرتقب.

أما نحن – تلك الأمة التي بعثها الله لتغيير الموازين والمقاييس وتغيير وجه الأرض واتجاه الانسانية – فلا يجوز لنا ولا يجدر بنا أن نقع فريسة هذا الخلط العجيب بين المقياسين، وبالتالي بين الحضارتين.

إن استيلاء الغرب العلمي والسياسي أقام ستارا كثيفا دون رؤية الحقائق، وذر الرماد في عيوننا، وفرض علينا مفهومه الخاص عن الحضارة الذي لا يقبله الوحي والشريعة، والدين الالهي،في أي حال من الأحوال.

فحينما يقولون – في جميع البقاع والأصقاع – عن مجتمع أنه متحضر،أو عن شعب أنه شعب متحضر، فانهم لايرسدون بذلك تلك الصفات الإنسانية النبيلة، والأهداف السامية، بل انهم يريدون تضخمه المادي، ورخاءه الاقتصادي، وتفوقه العلمي فحسب، ولو كان ذلك على حساب ضمير المجتمع وقلبه وانسانيته، فأصبح المسلمون أيضا منذ

www.abulhasanalinadwi.org

زمن طويل منذ استيلاء الغرب وفوزه بعرش القيادة، لا يفهمون من "الحضارة" إلا ذلك المعنى الغربي ، وظلوا طوال عشرات السنين يدافعون عن الإسلام دفاع المعتذر الخائف، ويحاولون أن يبعدوا عنه هذه التهمة المزعومة التي التصقت به، فانطلقوا بنفس النغمة الغربية، وعرضوا الإسلام كحضارة من هذه الحضارات المادية، الأرضية، السافلة، وقالوا: إن حضارتنا سبقت الغرب في هذه الأنواع، وأنها أيضا أقامت الحمامات الضخمة، والينابيع العظيمة المدهشة، والمباني الهائلة الرائعة، وشجعت الفنون الجميلة والصورة والرسم والموسيقي، وقدموا الآثار التاريخية، أمثال قصر الحمراء في الاندلس، والتاج محل في الهند، كنموذج لهذه الحضارة الرائقة الزاهية.

هنالك طبقة من المثقفين وأنصاف المثقفين في ربوع العالم الإسلامي كله لا تزال تحتضن هذه الفكرة منذ زمان، وترى فيها السلامة والأمان، ولكن هذه الفكرة – في الأصل – فكرة غربية تماما، تولدت من سوء فهم لمعنى الحضارة، وسوء تقدير للمنهج الإسلامي، المستقل الأصيل.

اذا كانت هذه الأشياء "حضارة" فمعنى ذلك أن الصحابة والتابعين كانوا غير متحضرين، وكانوا جهالا قرويين، – ونعوذ بالله – أمام بطارقة الفرس والروم، وملوكهما وأمرائهما، ويحلو لي أن أقدم هنا منظر دخول ربعي بن عامر، بلاط رستم قبل وقعة القادسية، فإن فيه تفسيرا لما نقول، وتصويرا للموقف الإسلامي ازاء الحضارات المادية قديمها وحديثها.

"أرسل سعد بن أبي وقاص قبل القادسية ربعي بن عامر رسولا إلى رستم، قائد الجيوش الفارسية وأميرهم، فدخل عليه، وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابي والحرير، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة وترس وفرس قصيرة،

www.abulhasanalinadwi.org

ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل وعليه سلاحه وبيضته علي رأسهو، قالوا له: ضع سلاحك، فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حينما دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت، فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها فقال له رستم: ما جاء بكم؟ فقال" الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام."

هنالك نرى الحضارة الإسلامية واضحة جلية في موقف ربعي بن عامر في هذا البلاط وحديثه مع الملك، ودعوته إلى الدين الحق، وهو يدلنا أن حضارة "النمارق والزرابي" ليست إلا بداوة وتأخرا وانحطاطا اذا خلت عن نور الوحي الالهي والهدي السماوي، وان المظاهر لا اعتبار لها، بل إن الإعتبار للروح التي تحدوها.

وقد تسربت موجة من هذه المظاهر على مر الزمن في المجتمع الإسلامي أيضا فحاربها عمر بن عبد العزيز في عهده، وأصلح ما فسد، وأقام ما أعوج، وسد هذه الثغرات في حصن المجتمع الإسلامي ومعقله المنيع.

الإسلام لا يعادي نعمة الرخاء والهناء، وقد قال القرآن:

﴿قل: من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾[١]

ويقول:

﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك﴾[١].

وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم دائما طلب العفو والعافية واليسر والمعافاة في الدنيا والآخرة.

[١] سورة الأعراف، الآية ٣٢

www.abulhasanalinadwi.org

ولكنها ليست – عنده – حضارة في ذلك المعنى الخاص الذي يراد به في الغرب والشرق اليوم، إنه لا يعتبر الفقر في المكاسب والمغانم والوسائل والأدوات تأخرا وانحطاطا، ولا يعتبر الرخاء المادي "حضارة ومدنية" بل إنما العبرة عنده بالروح التي تستر وراء هذا وذاك وتسوقه هنا وهناك.

وشعاره الوحيد، أنه لا قديم ولا جديد، ولاحضارة ولا بداوة، ولا تأخر ولا نهضة، ولا رجعية ولا تقدمية، بل جاهلية إسلام، ونور وظلام.

﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾[٢]!

فالمسلم الفقير، الجاهل، المجرد من كل شارة ولافتة، العطل من كل زينة ورخاء، ورواء وبهاء، متحضر، ومثقف، وراق، إذا حمل في صدره نعمة الإيمان ولوعة الحب، وتربى على تلك المكارم والفضائل التي دعا إليها الإسلام.

فأصبح الشيئ الفاصل بين "متحضر" و "متخلف" هو الإيمان ومدى تسربه في القلب، وسيطرته على النشاط الفكري والعضوي، وأصبح مقياس "الحضارة" تلك الفضائل الإسلامية والأهداف السامية التي رأينا مثلها الشاخص الحي في المجتمع الإسلامي في القرن الأول، و وجدنا نظائره وأشباهه، وبعض ملامحه وصوره في الأوفياء لدين الله في هذا العصر، القابضين عليه بين جواذب الحياة واغراءات المجتمع وسوط التعذيب كالقابض على الجمر.

مقياس الحضارة في الإسلام روح وقلب، ومقياس الحضارة في الغرب حديد وصلب.

مقياسها في الإسلام مدى إيمان الفرد والجماعة وكيفية جهادها للرسالة التي تحملها، والدعوة التي تحتضنها، ومقياسها في الغرب وفي

---

[١] سورة القصص، الآية ٧٧

[٢] سورة يونس: ٣٢.

www.abulhasanalinadwi.org

تلاميذ الغرب مدى مادية الفرد والجماعة، ومستوى غناها وثروتها ومنطقة نفوذها وسيطرتها، وصلاحية احتلالها واستغلالها.

مقياسها في الإسلام الايثار وانكار الذات، ومقياسها في الغرب الاثرة وتعبد الذات، مقياسها في الإسلام البر والمؤاساة، ومقياسها في الغرب الأنانية واللامبالاة.

مقياسها في الإسلام قدسية الأهداف، ونبل الغايات، ومقياسها في الغرب مادية الأهداف ونفعية الغايات.

مقياسها في الإسلام العلم النافع، والقلب الخاشع، ومقياسها في الغرب تضخم المعلومات و وفرة الذخائر، وتحجر القلب وقسوة الفؤاد.

مقياسها في الإسلام تحقيق خلافة الله في الأرض، واجراء أحكامه وشرائعه في البشر، والسير بالإنسانية على خط مستقيم نحو هدفها الحقيقي ومأمنها الأبدي وعيشها السرمدي، ومقياسها في الغرب تحقيق نزوات الجسد، والحكم بالطاغوت، والسير بالإنسانية على خطوط متفرقة نحو أهداف رخيصة ومتعة عاجلة ونعيم زائل، وسراب خادع، وسخط الله وعذابه في الأخير.

مقياسها في الغرب، الأبيض والأسود، والأحمر والأصفر، والقاصي والداني، والقريب والبعيد، والقوي والضعيف، والمالك والمملوك، الغني والصعلوك، ومقياسها في الإسلام ﴿كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة، لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيئ، ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدى الله لنوره من يشاء﴾[1] مقياسها في الإسلام ﴿وجعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[2] و ﴿لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى﴾، مقياسها في

[1] النور ، الآية ٣٥.

[2] الحجرات ، الآية ١٣.

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام سلمان "الفارسي" و بلال "الحبشي" وصهيب "الرومي" مع أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، رضي الله عنهم أجمعين.

مقياسها في الغرب حلة فاخرة ونفس فاجرة، ومقياسها في الإسلام نفس مطمئنة هادئة، ومظهر نظيف متواضع، ومقياسها في الغرب البحار والجبال والأنهار والجداول الصغار ومقياسها في الإسلام جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، و رضوان من الله وما عند الله خير للأبرار.

إنه مقياس وهو مقياس، فلنقس هذا الإنحطاط والتأخر في الغرب الذي يسمونه"حضارة" وهذا الجهل عن الحقائق والأهداف والعمي عن الدار الآخرة والحياة الخالدة، الذي يسمونه "ثقافة" بهذا المقياس الخالد العادل الصريح الذي وضعه الإسلام في أيدي المسلمين لئلا يؤخذوا بالمظاهر الكاذبة والشعارات الزائفة، واللافتات المزورة، ويكونوا دائما على ثقة واعتزاز بدين الله ومكانتهم في خلق الله.

﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله، أولئك في ضلال مبين﴾[١]

---

[١] الزمر، الآية ٢٢.

www.abulhasanalinadwi.org

ألا إن سلعة الله غالية
ألا إن سلعة الله الجنة

إن شهادة الكاتب الإسلامي الكبير والمجاهد العظيم سيد قطب ابراهيم شهادة ذات عدة جوانب، إن فيها خسارة العلم والدعوة، وخسارة الفكر، وخسارة الأدب، وخسارة المعارف، ولكنها - فوق كل هذا- خسارة ذلك القلم الثائر القوي، كالينبوع الهاطل، كالشلال الساخر، بالآلهة الباطلة، العامر بالإيمان، القلم الذي زمجر كالعاصفة، والتهب كالشعلة، وتحرق كالشمعة، وأشرق كالسيف، وأتت كل هذه الجوانب في وقتها المناسب، ذلك القلم الذي أمسك به العالم العربي يدافع به عن إسلامه، ويهجم به على أعدائه، ويتشرف به بين أقلام أدبائه.

إن قلما هذا شأنه لم يتحطم ولن يتحطم، كما أن صوت حسن البنا لم يخمد ولن يخمد، وسيبقى كلاهما على خط النار، رغم التهديد والإنذار، يحرسان الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية، ويحافظان على خصائصهما عن طريق شعلة الإيمان التي استضاءت بها صدور المؤمنين المعذبين.

و والله لوكانت الدعوة الإسلامية لا تحتمل الشدائد و الأزمات و لا تصبر على التعذيب و الإضطهاد، لقضي عليها في أول يومها و في مهدها، يوم عذب بلال بن رباح، وعمار بن ياسر وخباب بن الأرت، وخبيب رضي الله عنهم أجمعين، وقضي عليها حين ألهب الجلاد ظهر أحمد بن حنبل بسوطه حتى أغمي عليه، أو قضي عليها أثر شهادة حسن البنا، وعبد

www.abulhasanalinadwi.org

القادر عودة، أنه عدد قليل من أولئك الآلاف المؤلفة من المجاهدين، الصابرين المعذبين، الذين يتجمل بهم التاريخ، وتتجلى بهم كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي عربا وعجما، شرقا وغربا.

إن هذا التعذيب والاعدام وعملية التطهير، وما يطلقون عليها من أسماء، سنة الأنبياء في كل زمان ومكان، وإن هذه الدماء الزكية القانية روت أرض الكنانة كلما أصابها الجدب، وحافظت على غرس الإسلام كلما أصابه اعصار، أو أصابته نار.

إنها نفخت في قافلة الأحرار و الأبطال روحا جديدة، وعزما أكيدا، كلما غلب عليها النعاس ودب فيها اليأس.

إن هذه الدماء، دماء الشهداء أكدت أننا ما زلنا على العهد، و أنها ﴿لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة﴾ ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم، فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين﴾[١].

فاذا استشهد هذا القلم وتحطم في سبيل الله فانه أنشأ فوجا من حملة الأقلام يدافعون عن دين الله ولا يخافون في سبيل الله لومة لائم.

إنه فتح للشباب طريقا معلوما واضح المعالم، مشرق السماوات والقسمات، يتابعونه ويسيرون على نهجه في الإصلاح والكفاح، والصبر والجهاد، والثبات على المبدأ والثقة بالله و بنصره المبين في الدنيا والدين.

إن هذا القلم أعلن أن الشهادة مرحلة حاسمة لازمة أمام مد الإسلام، وأن المؤمنين يواجهون في سيرهم كل نوع من الصعوبات والعقوبات والإهانات، والتنكيل، والتشريد، والتعذيب الوحشي الذي تقشعر منه الجلود، فعلى كل من يريد أن يقوم للدعوة أن يهب نفسه لله، ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾[٢].

---

[١] سورة العنكبوت، ٢-٣

[٢] سورة التوبة ، الآية: ١١١

www.abulhasanalinadwi.org

ألا إن سلعة الله غالية   ألا إن سلعة الله الجنة !

إن شهادة سيد قطب تحمل وجهين، فلو كان لمصر لسان أو قلم لافتخرت بهما بابنها البار الشهيد، واعتبرت هذه الشهادة مكرمة لها وجزءا من تاريخها وبطولة رائعة من بطولاتها – ولا أنكر ما لمصر الحديثة من فضل في هذا المجال وفي ساحة القتال، ومن يستطيع أن ينسى ذلك الشباب الطاهر النقي الأبي الذي ذهب ضحية أصدقائه في الزنزانات والمعتقلات أو أراق دمه سخيا قانيا في أرض البطولات.

فهنيئا لك يا مصر العزيزة الحبيبة هذه المأثرة الجديدة، وهنيئا لك هؤلاء الأبطال الذين رفعوا رأس المسلمين بهذا المثل الرائع للتضحية والفداء والثبات على جادة الحق، والجهاد الدائم المرير للعقيدة والمبدأ.

هنيئا لك يا مصر هذا الدم الجديد في موكب الشهداء، وأعتقد أنك تعتزين بهذه الشهادة رغم ما تتجرعين من مرارة الخسارة وتتكرمين بهذه التضحية والبطولة، رغم ألم الندامة، فإننا نعرف حرد موقفك ودقة مسئوليتك.

هنيئا لك يا مصر أحرارك وأبطالك الذين دامت محنتهم، وطال ليلهم، وانتقلوا من اضطهاد إلى اضطهاد، ومن شوك إلى قتاد، واعتادوا التعذيب والاهانات، حتى صار لديهم شيئا عاديا مألوفا.

هنيئا لك هذه الخمسون ألفا في الزنزانات لم يتزعزع واحد منهم رغم الاغراء والتهديد، ورغم الهمجية التي تقشعر منها الجلود ويتندى لها جبين الحياء، ولم يطلب أي واحد منهم عفوا ولم ينقض ميثاقا ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا﴾[1].

فلئن انتقدوك وعابوا عليك هذه القسوة النادرة، والمذابح البشرية الهائلة، أثنوا عليك وحيوا فيك قوة احتمالك وصلابة عودك، وثقتك

[1] الأحزاب ٢٣.

www.abulhasanalinadwi.org

وإيمانك، ولئن أخذوا عليك رضاك بالذل وقبولك الضيم وخضوعك للعدوان، واستلامك لكل سلطان، على اختلاف الأزياء والألوان أعجبوا بك ورحبوا فيك هذه البطولات الرائعة النادرة، وهذه المواقف التاريخية تحت القنابل والرصاصات، وأنواع غريبة من التعذيب الجسدي والروحي، الذي يخرج به الإنسان من طوره ويفقد رشده وصوابه.

إنك يا مصر تجتازين الآن مرحلة ذكرها القرآن في قصة موسى عليه السلام، فقال: ﴿فلما تراءى الجمعان، قال أصحاب موسى إنا لمدركون، قال: كلا إن معي ربي سيهدين﴾[١]، فلا تخافي من كثرة الجنود ومتابعة رجال المخابرات، وقسوة رجال الإضطهاد، ومهازل محكمة الأمن العليا، ودعاية الصحافة الرخيصة الفاجرة المحترفة التي هتكت كل القيم والمبادئ الإنسانية، وتعرت عن سائر اعتباراتها الخلقية ومسئولياتها الصحفية، فكل ذلك تفسير ﴿إنا لمدركون﴾ وتصوير دقيق معجز لتلك الحوادث التي وقعت على أرضك وتحت سمعك وبصرك، فاستمدى لمواجهة هذا الوقت العصيب بنور النبوة وفراستها الصادقة، وثقتها بالله، ثقة لا تقاس ولا توزن بالعقل المادي المحدود، وذلك ما تجلى في قول موسى عليه السلام، اذ قال: ﴿كلا، إن معي ربي سيهدين﴾.

وبعد، فما كتبت شيئا عن سيد قطب وان كان سيد قطب هو الذي أفاض علينا بهذه السطور، ودفعنا على تسجيل بعض ما تجيش به الصدور من مقت وتذمر، وحب وتقدير، ويأس قاتل مرير، وأمل مشرق منير، فإذا صرفنا وجوهنا تلقاء جنود فرعون ورأينا طغيانه وعدوانه، وجولته وصولته، وذخائره وأسلحته، قلنا: ﴿إنا لمدركون﴾ واذ صرفنا وجوهنا إلى قدرة الله وآياته في الأرض والسماء و وعده لعباده، المؤمنين الصابرين، المخلصين المجاهدين، تمثلنا بقول موسى عليه السلام: ﴿كلا إن معي ربي سيهدين﴾.

---

[١] الشعراء، الآية ٦١-٦٢

www.abulhasanalinadwi.org

نجم تألق ثم هوى
الدكتور مصطفى السباعي....!

ذلك الإسم العذب الجميل الذي كان يحلو لنا أن نسمعه ونتحدث عنه في مختلف أجزاء وطننا الإسلامي الكبير، الإسم الذي كنا نعتبر به، لا في سوريا فحسب، بل في العالم العربي والإسلامي كله، الإسم الذي كان يهابه المستشرقون والمستعمرون على السواء لعلمه الغزير وجرأته الأدبية.

الإسم الذي كان يحتل مكانا رفيعا عاليا حبيبا في النفوس بعد الإمام الشهيد حسن البنا، هذا الإسم الذي تألق في سماء العالم الإسلامي برهة سعيدة من الزمن، ثم محي من صفحة الوجود، وسجل في عالم الخلود، لقد سقط الجندي الثائر في المعركة، وهو يقاتل في سبيل الله ويدافع عن دين الله، سقط وعلى هامته وسام العز، وعلى جبينه ضياء الإيمان، وعلى شفته بسمة الرضا، وفي عينه بريق الأمل، أمل الغد المرتقب واليوم المشهود.

الدكتور مصطفى السباعي كان – بلا نزاع– من أساتذة الحركة الإسلامية العالمية، ومن صفوة الدعاة والمرشدين والعلماء من الطراز الأول، وهو الذي جمع بين الإيمان العميق بالمبدأ، والفهم العميق بروحه، والعلم العميق بدقائقه وأسراره، والقلم السلسال اللبق، واللسان العذب الذلق للتعبير عنه على صفحات المجلة ومنبر المسجد ومنصة الجامعة ومسرح السياسة على السواء، من غير تهريج أو دعاية، ومن غير إشفاق أو وجل، وهي ميزات ومواهب قلما تجتمع في رجل واحد، إلا ما شاء ربك.

www.abulhasanalinadwi.org

الدكتور مصطفى السباعي إسم معروف في الأوساط العلمية والدينية في الهند وباكستان، وإسم محبوب في الحركات الإسلامية هناك، وذلك للمقالات القوية الممتعة التي كانت تنشر له في الصحف الإسلامية مترجمة، أو لمؤلفاته التي نقلت بعضها إلى اللغة الأردية، وكان لمقالاته "عن السنة ومكانتها في التشريع" تأثير قوي ودور فعال في دحض الموجات الفكرية الهدامة التي كانت تهدد باكستان وتتحدى العنصر الإسلامي فى هذه البلاد، وذلك عدا مقالاته الأخرى في مختلف الموضوعات الإسلامية التي كانت تنشرها الصحف الإسلامية السيارة في البلدين.

أما دوره ككاتب، ومؤلف، وباحث، وخطيب، فحدث عن البحر ولا حرج.

فالبيت يعرفه والحل والحرام

إن أيما رجل تتنوع قواه ومواهبه في مختلف المجالات الفكرية والعلمية، أو يشتغل بتنظيم جماعة وإدارة مؤسسة، أو يشتغل بالدعوة والخطابة، لا يستطيع أن يركز همه في التأليف والبحث والدراسة، أو يأتي فيه بشيئ جديد رائع، ويقوم في هذا المجال بدور يذكر، وخدمة تشكر، أو يسد فراغا، ويملأ مكانا شاغرا، ولكن الدكتور مصطفى السباعي كذب هذا الخيال، ومؤلفاته كلها تشهد بذلك وتدل على دراسة وسعة، وتفكير طويل، وإستنباط رائع، وإجتهاد سليم، ورزانة علمية، لا تخلو منها حتى مقالاته.

وشرح "قانون الأحوال الشخصية" و "إشتراكية الإسلام" و "المرأة بين الفقه والقانون" و "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" برهان ساطع على روحه العلمية، ونظرته العميقة، ودراسته الواسعة، رغم حياته المليئة بالصخب والضجيج، والسرعة المذهلة، والإشتغال المتلاحقة، والمواعيد المتلاصقة، وزيارات وإجتماعات، وأحاديث ورحلات، في داخل البلاد وخارجها، وإشراف على تنظيم الإخوان وسيره على الوضع المقبول.

www.abulhasanalinadwi.org

أما كتاب "إشتراكية الإسلام" فهو من روائع الكتب الإسلامية التي ألفت في الموضوع في العصر الحديث، ونال عليه المؤلف الجائزة التشجيعية، وقالت فيه اللجنة المؤلفة من كبار فقهاء الشريعة في القاهرة ودمشق"إنه يتميز بتأصيل التفكيري الإشتراكي من الناحية الفقهية وإختيار النصوص الصريحة من الكتاب والسنة وآراء الفقهاء وتفسيرها تفسيرا علميا من غير تكلف ولا تعسف في التأويل.

كما ان شرح قانون الأحوال الشخصية يعتبر موسوعة علمية في موضوعه، ومرجعا ومادة للتدريس والبحث والكتابة؛ عدا مؤلفاته الأخرى الممتعة الشيقة، وكل من ينظر في كتبه يظن أن مؤلفها باحث بحت لا شأن له بأي شيئ آخر، وقد وضع فيها عصارة أفكاره، وركز فيها كل مواهبه وجهوده، وأذكر أنني قرأت كتابه "إشتراكية الإسلام" و"من روائع حضارتنا" فوجدت في هذين الكتابين لذة البحث العلمي، والحصافة الفكرية وإشراق الروح المؤمنة، فتركت في نفسي أثرا ناعما جميلا ألمسه كلما أذكر السباعي وأذكر جهوده في سبيل العلم والدين.

أما حذقه الكتابة الصحفية وتناوله الموضوعات الإجتماعية والسياسية فاسأل عن ذلك مجلة"حضارة الإسلام" الغراء، فهي من أروع المجلات الإسلامية في هذا الزمن الذي تضاءلت فيه المجلات الإسلامية، واستمع إلى أحاديثه في الإذاعة، أو اقرأه في كتاب "من أخلاقنا الإجتماعية" فبذلك تطلع على أسلوبه الصحفي والإذاعي، وكلها تنم عن لباقة الحديث، وعمق الموضوع وموضوعية البحث.

وانظر كذلك إلى بحوثه في "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" وقد نال الكتاب إعجاب الباحثين في الهند وفي باكستان، وترجم إلى اللغة الأردية، والتقى الدكتور مصطفى السباعي بأعلام المستشرقين، واختلط

www.abulhasanalinadwi.org

معهم في زيارته لأوربا عام ١٩٥٦م، وكانت له معهم جولات ومواقف ومناقشات برز فيه كعملاق بين الأقزام، أو مدرس بين الطلبة الصغار، وهو ليس تهويلا مني أو مبالغة، فقد ظل المستشرقون يخافون منه، لأنه فضحهم في الطريق، وأمام الناس عدة مرات، تعمد السباعي في هذه الرحلة مطاردة هؤلاء فقابل أكثرهم، أمثال " الدرسون" و آربري" والمستشرق اليهودي المعروف "شاخت" بـــ"ليدن" (هولندا) وكثيرا غيرهم، وزار الجامعات العلمية الكبرى، وقابل رؤساء الأقسام العربية والإسلامية، وكان له بـــ"شاخت" المذكور آنفا قصة طريفة حكاها في مجلة "حضارة الإسلام" .

قال:"في جامعة "ليدن" بـــ"هولندا" اجتمعت بالمستشرق الألماني اليهودي "شاخت" —وهو الذي يحمل في عصرنا هذا رسالة "جولد تسيهر" في الدرس على الإسلام، والكيد له، وتشويه حقائقه— وباحثته طويلا في أخطاء "جولد تسيهر" وتعمده تحريف النصوص التي ينقلها عن كتبنا، فأنكر ذلك أول الأمر، فضربت له مثلا واحدا مما كتبه "جولد تسيهر" في تاريخ السنة، فاستغرب ذلك، ثم راجع كتاب "جولد تسيهر" وكنا نجلس في مكتبته الخاصة، فقال: معك الحق، إن "جولد تسيهر" أخطأ هنا. قلت له: هل هو مجرد خطأ؟ فاحتد وقال: لماذا تسيؤن به الظن؟ فانتقلت إلى بحث تحليله لموقف الزهري من عبد الملك بن مروان، وذكرت له من الحقائق التاريخية ما ينفي ما زعمه "جولد تسيهر" وبعد مناقشته في هذا الموضوع قال: وهذا خطأ أيضا من "جولد تسيهر" ألا يخطئ العلماء؟ قلت له: إن "جولد تسيهر" هو مؤسس المدرسة الإستشراقية التي تبنى حكمها في التشريع الإسلامي على وقائع التاريخ نفسه، فماذا لم يستعمل مبدأه هنا حين تكلم عن الزهري؟ وكيف جاز له أن يحكم على الزهري بأنه وضع

www.abulhasanalinadwi.org

حديث فضل المسجد الأقصى ارضاء لعبد الملك ضد ابن الزبير، مع أن الزهري لم يلق عبد الملك إلا بعد سبع سنوات من مقتل أبي الزبير؟ وهنا اصفر وجه "شاخت" وأخذ يفرك يدا بيد، وبدا عليه الغضب والإضطراب، فأنهيت الحديث معه بأن قلت له: لقد كانت مثل هذه الأخطاء كما تسميها أنت تشتهر في القرن الماضي، ويتناقلها مستشرق منكم عن الآخرة على أنها حقائق علمية، قبل أن نقرأ -نحن المسلمين- تلك المؤلفات إلا بعد موت مؤلفيها، أما الآن فأرجو أن تسمعوا منا ملاحظتنا على "أخطائكم" لتصححوها في حياتكم قبل أن تتقرر كحقائق علمية".

وبالجملة فكل ما كتب عن المستشرقين ومكائدهم شيء هام خطير، وجدير بالبحث والدراسة والمتابعة والإطلاع، أما عن خطابته فقد كان خطيبا بالطبع وبالسليقة ومن أفذاذ الخطباء في العالم العربي، وقد سمى "خطيبا هائلا" في سوريا عن جدارة وحق، فهو يملك عنان الجمهور، ويستولى على مشاعر الناس وأحاسيسهم بصوته الرخيم القوي وحديثه الحماسي المتزن في وقت واحد، ويبرز على أقرانه في المجالس والنوادي والحفلات. ودور السباعي في إنشاء كلية الشريعة عام ١٩٥٤م وجهوده في هذا المضمار تضيف إلى مآثر وحسناته، وقد كرس عليها جهوده أخيرا، وبقي عميد هذه الكلية الأولى من نوعها في الشرق الأوسط مدة أربع سنوات، وكانت مدة حافلة بالأعمال والخدمات، وبقي رئيس قسم الفقه الإسلامي فيها إلى آخر عهده.

وثم ناحية أخرى تسمو بمكان مصطفى السباعي على كثير من العلماء والخطباء والدعاة، وتدخله في صف المجاهدين الأبطال، وهو جهاده الرائع في معركة فلسطين مع الإخوان المسلمين، وقد سبق في هذا الأمر على كثير من إخوانه وأقرانه، وكانت بداية ذلك في أواسط الحرب العالمية الثانية عام

www.abulhasanalinadwi.org

١٩٤٢م أو ١٩٤٣م، اذ عاهد مع نمر الخطيب أن يعلن صوت النذير والإيقاظ ويبدأ بالجهاد، وألقى أول محاضرة عن فلسطين في مقر الإخوان، وقام بجولة للمدن السورية كلها يشرح للجماهير خطورة الوضع، وخاض في المعركة أخيرا فدافع عن المسجد الأقصى، وكان له سهم كبير في سائر المعارك التي خاضتها كتائب الإخوان، ويذكر منها معركة الحي اليهودي، ومعركة القدس الكبرى، وقد أظهر فيها المجاهدون من بطولات ما يعجز منه الوصف، فقد كانوا يتقدمون لنسف الحي اليهودي بيتا بيتا بأيديهم الرشاشات، والقنابل كان يقذفها اليهود عليهم من نوافذ البيوت.

وقد أثبت السباعي بذلك أنه يملك السيف والقلم، وله في كل منهما جولة وصولة، ومواقف وبطولات، ودرس عبرة لمن يأتي بعده من الدعاة والعاملين.

إن الدكتور مصطفى السباعي قدم لنا مثلا رائعا للكاتب الإسلامي والداعية الإسلامي والمجاهد الإسلامي، وعرض علينا -عمليا- كيف أحاط بالجهات المختلفة، وكيف حافظ على الإتزان بينهما، وكيف استقام على الطريقة، وصمد في وجه الأعاصير والزلازل الفكرية والسياسية، التي اشتدت في عهده، والتي لا تزال في أوجها وقوتها، والتي سوف تحتاج في المستقبل إلى كثير من أمثال مصطفى السباعي في مختلف الظروف والمناسبات.

وبعد فهذه سطور عاجلة لا تصور واقعة الغنى ولا تمثل حياته العامرة الخصبة، وإنما هي كلمة أملاها الحب، والإخلاص، والوفاء للراحل الكريم، والفقيد العظيم.

رحم الله مصطفى السباعي وجزاه عن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، أحسن ما يجزي عباده المخلصين والصادقين.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

www.abulhasanalinadwi.org

الشعوب تعيش بالرسالة لا بالمال

إن الشعوب –دائما– في حاجة إلى دعوة ورسالة تتبناها وتتحمس لها وتتفانى في سبيلها، وهي في ابان نهضتها وفي صعودها أحوج إلى مثل هذه الدعوة، التي تعمل –بخفاء– وراء كل هذه المواهب والطاقات والمؤهلات، والعجائب والمعجزات التي تصنعها أمة يقوم بها شعب، انما تملي ارادتها على المال وعلى رجال الأموال، وعلى الجبال الراسيات.

ان أي شعب من شعوب العالم لا يخلو من رسالة أو هدف، وقد يكون هذا الهدف هدف الاستعلاء على الأرض، وقد يكون هدف القومية، وهدف الاشتراكية والشيوعية، والاستعمار والاحتلال، والعبث بالشعوب الفقيرة المستضعفة، ولكنه على كل حال هدف واضح محدد، مشرق السمات والمعالم، لاغموض فيه ولا التواء، هدف يثير قوي هذه الشعوب ويستغل طاقاتها، ويستنفد مواهبها، وكل ذلك دليل على أن هذه الشعوب لا تستطيع أن تعيش –طويلا– من غير رسالة، ولا تستطيع أن تصمد أمام العواصف والتيارات، وتواجه الأحداث والتقلبات إلا بالدعوات والرسالات.

هذا هو شأن الأمم والشعوب التي ليس لها نصيب في الدنيا والآخرة، والتي أذلت نفسها، وأضاعت جوهرها، وفقدت قلادتها ووسام عزها وشرفها بين متاع الدنيا العاجل، وحطامها الفاني، أما الأمة الإسلامية التي ابتعثها الله لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن

www.abulhasanalinadwi.org

عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، فهي أولى بأن تحمل رسالة وتتقلد دعوة وترفع راية.

إن الدور الذي تمر به الشعوب الإسلامية والشعوب العربية الإسلامية بوجه خاص يحتم علينا أن نفهم قيمة الرسالة وأهميتها في حياة الشعوب، لا سيما في حياة هذه الأمة، وذلك لأن عدم معرفتها أو الحط من شأنها تجعل هذه الشعوب فريسة المال، وإلى ذلك أشار النبي الكريم صلى الله عليه وسلم حين قال: لا أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتهلككم كما أهلكتهم أو كما قال عليه السلام.

إن المال مهما تضخم وتكدس، ومهما شاع وانتشر لا يغني عن ذلك الفراغ المعنوي الروحي الفكري، الذي يقع بفقدان الدعوة، إنه لا يغني عن القلب وآفاقه، والفكر وفسحاته، والضمير وتأملاته، والحب وبطولاته، إنه لا يغني عما وراء المشاهد المحسوس، والواقع الملموس، إنه لا يستطيع أن ينظر ما وراء المعدة والشهوة، أو القوة والسيطرة.

إنه لا يستطيع أبدا، أن يحل محل الفكر الدقيق الحصيف ويعوض عن الرأي السديد، والجرأة والشجاعة، والبطولة والإقدام، إنه يبني صرحه الشامخ الجميل على الرمل يخاف عليه في كل لحظة، وقدمه كل هزة.

المال لا يجبر كل كسر، ولا يسد كل عوز، ولا يملأ كل فراغ، إنه يجول ويصول في مجال ضيق محدود، هو مجال أسباب الرخاء والراحة والهناء، والغذاء والكساء، والعلاج والدواء، أما مجال القيادة الفكرية والسياسية، أما مكان العزة تحت الشمس، أما مكان التوجيه والإرشاد، ومكان التكوين والإصلاح والبناء، فهو غير مجال المال، فهنالك لا تنفع إلا العاطفة والقلب، والدعوة والرسالة، والهدف والغاية، والفكر والتأمل، والتصميم والعمل.

www.abulhasanalinadwi.org

المال أساسه الدعوة، وقوته الرسالة، وهو يستطيع أن يفعل الكثير ويأتي بالمدهش العجيب، إذا عجن بالدعوة، ومزج بالرسالة، وزكى بالأهداف الصالحة، والدوافع الخيرة ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون [١].

هذا هو المال المزكي، المال المطهر، المال المقبول عند الله، إن هذا النوع من المال –وحده– يقدر على إنشاء جيل جديد قوي متماسك، يملك بجميع أسباب القوة، ويستطيع أن يصمد بفضل هذه الدعوة والرسالة أمام الحوادث، إن هذا المال لا يلهو به اللاهون، ولا يعبث به العابثون، لأنه أمانة الله في أعناقهم، إن كل ما يبينه هذا المال يدوم أساسه، ويطول عمره، ويصلب عوده، وتحلو ثماره، لأنه قام على أساس متين من الإيمان والعقيدة، وعاش تحت ظلال الإيمان والقرآن ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ [٢] ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ [٣].

هذه الدعوة والرسالة هي حلم الأمة العربية المنشود، وهي الماء الزلال الذي اشتدت إليه حاجتها وبه يشفي غليلها.

إن شعوبنا العربية وأخص منها المملكة السعودية وأمارات الخليج العربي لا تفتقد شيئا، ولا تحتاج إلى شيئ بمثل ما تحتاج إلى دعوة مؤمنة صافية، حية نامية، تبطل ما صنعوا، وما زايفوا، وما أتوا به من شعارات كاذبة باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، إن الدعوة التي تتحكم في المال وتتصرف في الأسباب، والدعوة التي تتحكم في العقول والنفوس، وتغزو القلوب وتسرى في الشباب والنشء الجديد، كما يسري الكهرباء في الأسلاك، أو الصهباء في العروق، الدعوة الإسلامية الكريمة، الخالدة

---

[١] سورة المطففين ٢٧–٢٨.

[٢] النور ٣٣.

[٣] الحديد– ٧.

www.abulhasanalinadwi.org

المنقذة التي تفدي بالمهج والأرواح والدموع والدماء، الدعوة التي يطير بها الإنسان شوقا، ويهتز بها طربا ويتفانى في سبيلها إيمانا وحنانا وحبا وهياما، الدعوة التي يعيش فيها الإنسان، في غدوه ورواحه، وليله ونهاره، فلا يتحرر عنها في لحظة من لحظاته، أو يقدم لها –على أقل تقدير– شيئا من التضحية والفداء كما ضحى الناس براحتهم وهنائهم من أجل أهداف مادية حقيرة تافهة لا خلاق لها في الدنيا والآخرة.

هذه الدعوة هي طريق الخلاص الوحيد من عذاب العبودية والذل والهوان، والفرقة والانقسام، الذي تعانيه هذه الشعوب العظيمة المؤمنة منذ زمن طويل.

فهل من مجيب؟

www.abulhasanalinadwi.org

أرادوها جنة فانقلبت جحيما

إنها قصة أمريكا، أمريكا التعسة البائسة المنكوبة، التي يعتبرها البسطاء وأهل الهوى في شرقنا الإسلامي جنة في أرض الله.

والأرض تأبى أن تقبل هذه الشجرة الخبيثة، وترضى بهذه النذالة والاسفاف، والهبوط والتمرغ في وحل الشهوات وحمأة الرذيلة على ظهرها لو لا حكمة الله ومشيئته البالغة ﴿إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا﴾[1].

إنها أمريكا السآمة والقلق، أمريكا الجشع والطمع والأنانية والأثرة، أمريكا الجنون والانتحار، والخمر والقمار، أمريكا التي لا مكان فيها لصلة القرابة والرحم، وشائج اللحم والدم، ولا اعتبار فيها لتلك النـــزعة الإنسانية، والحب الطاهر المستور في الصدور الذي يخفف آلام الحياة ويهون متاعبها وهمومها ومشكلاتها، ويمسح ثقلها وكآبتها.

أمريكا، التي لا كرامة فيها للعجائز والأمهات، والآباء والأجداد، والفقراء والضعفاء، لأنهم تجردوا عن "القوة والمال" اللذين لا إله لها غيرهما.

إن القوة وحدها هي القوة الجسمية، وقوة الشهوة، وقوة القتل والنهب، وقوة الإبادة والتدمير، هي الإله الأكبر الوحيد، الذي يخضع له رأس كل أمريكي –ولو ادعى بالمسيحية– تقديسا وإجلالا، فإذا تجرد إنسان –لسبب طبيعي أو عضوي– عن هذه القوة لم يبق إنسانا في نظر

---

[1] الطلاق، الآية–٣.

www.abulhasanalinadwi.org

الأمريكي، وأصبح وزرا وعبأ ثقيلا على عائلته، ومجتمعه، وشعبه، يحاول أن يتخلص منه في أقرب فرصة، الدولة تهمله، والشعب ينبذه، والعائلة تقسو عليه، حتى أن أولاده وأفلاذ كبده يتبرمون منه، ويثورون عليه، ويتمنون موته بل يقتلونه بعض الأحيان.

لماذا؟

لأنه أصبح هرما، أو أصبح فقيرا، أو صار مريضا، لا يقدر على الكسب والانتاج.

حتى أن هؤلاء الذين يضحون بالأنفس والأرواح في سبيل الوطن ويفقدون أعضائهم أو يصيبهم أذى جسدي لا يحتملهم الأزواج والأبناء، ولا تقبلهم العائلات الأمريكية، لأنهم ينغصون عليها صفو العيش، ويشاركونها في الحياة غير سهمهم في الكسب والانتاج.

الحياة في أمريكا –يا أهل الشرق–ليست كما نتصورها في بلادنا الفقيرة الضعيفة، إنها لا تمت إلى السعادة بصلة، ولم تذق طعمها يوما من الأيام، لقد أرادوها جنة فانقلبت جحيما، وعذابا أليما، أرادواها حرية كاملة وانطلاقة واسعة، فراحت عبودية خانعة ورقّا مطلقا دائما.

إن قصة أمريكا، قصة ذات فنون وشجون، وسوف لا أطيل عليكم بذكر مشاكلها حول تلك الحياة الحرة المنطلقة عن كل قيد، أو تلك الجمادات الحية التي يسمونها الآدميين، وتلك المستشفيات الغاصة بالمجانين، أو نوادي العراة المتفننين، ولا أحدثكم عن متاعبها في "فيتنام" أو عن سباقها الرهيب في مجال الأقمار والصواريخ، ولا أذكر عبثها بالمرأة وتجريدها عن كل معنى إنساني نبيل، ولكن أحدثكم عن مكانة العجائز والشيوخ في المجتمع الأمريكي، ففي ذلك كفاية.

www.abulhasanalinadwi.org

إن من عذاب الله لأهل أمريكا، ومن نقمته وسخطه عليهم، أنه نزع ما في صدورهم من حب الآباء للأبناء، أو حب الأبناء للآباء، وحب البنات للأمهات وبالعكس، ونظرة عابرة طائرة على هذه البلاد تهزنا لهول المنظر وبشاعة الوضع، والوقاحة البشرية، التي أصبحت في أمريكا عادة شائعة متبعة، وتقليدا يتوارثه الأجيال، ولا نملك في هذا المكان إلا أن نقف خاضعين خاشعين أمام الجلال الإلهي، وقدرته البالغة وعلمه المحيط:

﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾[١]

العجائز والشيوخ في المجتمع الأمريكي هم أحط قدرا وأصغر شأنا من أي مخلوق آخر حتى القطط والكلاب، فلا تستطيع عائلة أمريكية أن تتحمل هذا العذاب الأليم وتشاركهم في حياتهم العادية والروتين اليومي فضلا عن إكرامهم وإسداء الخير إليهم.

إن ما ينفقه الأمريكيون على دواجنهم وعلى كلابهم (بوجه خاص) قد يكفي -بعضه- للعناية بعجائزهم وشيوخهم والبر بهم، ولكن المشكلة ليست مشكلة المال إنما هي مشكلة الدافع، مشكلة القلب، القلب المادي النفعي، المتحجر، القاسي، القلب الصناعي، الذي سدت عليه منافذ العاطفة النبيلة، والدوافع الصالحة، والأهدف الكريمة، والمثل العليا، القلب الذي نشأ في "مجتمع الخنـــزير والكلب" فشبت على حبهما، وقامت بينهما ألفة ومودة ورحمة، وتخطت حدود القياس والعقل السليم، إنهم يوصون لكلابهم بمبالغ باهظة، بينما لا يرضون لهؤلاء العجائز والشيوخ عيشا هادئا في منازلهم، ولا ذنب لهم إلا أنهم عجزوا عن العمل والانتاج، وفقدوا الصحة والشباب، وأصبحوا عالة على أبنائهم "الأشراف".

---

[١] السجدة، الآية ٢١.

www.abulhasanalinadwi.org

إن هذا الجانب أظلم الجوانب وأبشعها في هذا المجتمع السافل الساقط الذي يسمونه عندنا في الشرق المغلوب على أمره "مجتمع الحرية والتقدم والانطلاق والعالم الحر" ويتمنون رؤيته والتمتع بمباهجه ولو مرة في العمر.

وإليك ماحدثت به جريدة لائف (Life) الذائعة الصيت، وكفى شهادة واعترافا بالأمر الواقع:

إنها كتبت تحت عنوان "مشكلة الشيخوخة عند العجائز" أن أمريكا تعاني اليوم مشكلة دقيقة استعصت عليها معالجتها، إنها مشكلة الشيوخ والعجائز، فقد زاد عددهم في هذه العقود الأخيرة إلى ١٢ مليون نسمة، إنهم نيفوا على ٦٥ عاما ويملكون حق التصويت، واقترح البعض أن تقدم إليهم الدولة المعونة الطبية مجانا، ولكن اتحاد الأطباء عارض هذا الاقتراح أشد المعارضة، إنها مشكلة تعاني منها إنجلترا والنرويج، والسويد، والدنمارك، وألمانيا، واليابان أيضا، إنها دعت هذه المشكلة بـــ "Old Age Problem" وتريد حلها بإنشاء دور الرعايا (Nursing Homes) وتدابير أخرى.

ونشرت الجريدة بعض صور تدل على الوضع القاسي الشديد الذي يعيش فيه هؤلاء البؤساء "الأموات الأحياء" فيها صورة لاحدى المستشفيات العقلية (Mental Institutions) جلست فيها عدد من المريضات الناعسات وقد وضعن رؤوسهن على ركبهن، ونثرن شعورهن على كواهلن، تذمرا وأسى، وبمقربة منهن نساء يزاولن حركة رياضية بذراعهن في حركة يومية معهودة.

وصورة لعجوز في المستشفى ارتمت على فراش تحملق في الجو في صمت مطبق وليس عندها أحد.

www.abulhasanalinadwi.org

وهنالك صورة أخرى لعجوز نيفت على السبعين، إنها فقدت اتزانها من شدة الوحدة ووحشتها والعزلة التي لم تطقها، جلس بجوارها عالم من علماء النفس يدلي إليها ببعض الأسئلة في هذا الشأن، وفي صورة أخرى نراها جالسة في حجرة للبحث عن وظيفة في دار من دور الإقامة وقد وضعت يمينها على يسارها، وعلى وجهها سحابة من حسرة وأسى.

وصورة لدور العجائز (Old Age Homes) اجتمع عدد كبير من الشيوخ المعمرين، يشتغلون بأمور مختلفة، أو بالأصح ينتظرون منيتهم، وهم يتقطعون حسرة وأسى وغما وألما.

إنها صورة حية لهذه المستنقعات البشرية، والأوحال الإنسانية التي لا تحيا فيها إلا الشهوات الرخيصة، واللذة الجسدية الفانية، والنـــزعات الجنسية الهابطة الساقطة.

هل إنها حضارة؟ هل إنها معرفة؟ هل إنها طبيعة قاهرة لا دخل لنا فيها؟ كلا! بل إنها عذاب في الدنيا قبل العذاب في الآخرة.

إنها تفسير ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾[1].

إنها سآمة وخواء، وكبت وتذمر ومقت، سميناها في الشرق: الحرية، والعالم الحر، والمجتمع الحر، والطبيعة والفن.

إنه يأس مرير، وفراغ هائل، وتخبط وفوضى، وانهيار وحيرة وضلال، سميناها في الشرق "وجودية وثورة وانطلاقا" إلى قائمة طويلة من الأسماء والشعارات ألقت بها أمريكا وفرنسا، وتلهف عليها أدباؤنا الشباب وتساقطوا عليها كأنها "وحي من الله" أو مائدة من السماء".

إن الله لا يعذب عباده اللذين بغوا في الأرض بسيول عارمة وعواصف قاصمة فحسب بل إنه يعذبهم أحيانا في راحتهم وهنائهم.

---

[1] الحشر، الآية ١٩.

www.abulhasanalinadwi.org

ويشقيهم في أموالهم، وبين أزواجهم في أبنائهم ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون، وأملي لهم إن كيدي متين﴾[1].

وانظر إلى هذا الجانب المشرق الذي يقوم عليه المجتمع الإسلامي المثالي ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا، ربكم أعلم بما في نفوسكم، إن تكونوا صالحين، فإنه كان للأوابين غفورا﴾[2].

صدق الله العظيم

[1] سورة القلم، الآية ٤٤–٤٥.

[2] سورة بني إسرائيل ٢٣–٢٤–٢٥.

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام أوسع من الاصطلاحات

الاصطلاحات -في كل مجتمع وفي كل بلد- لها جو خاص وطابع ممتاز، وهي وليدة تجارب يمر بها شعب أو مجتمع، وعصارة أفكاره وعقول، ونزعات وميول، وتقاليد وعادات ومرافق، فإذا أخذناها برمتها واستوردناها مع أجوائها وظلالها وتاريخها، وسائر مقوماتها الداخلية وعواملها النفسية.

إن معظم هذه المصطلحات تدور حول الأدب والفلسفة والاقتصاد والسياسة، وتعبر -دائما- عن وضع خاص، وتشير إلى منهج خاص في هذه العلوم والآداب، ومن هذه المصطلحات المشهورة التي استوردناها، الديمقراطية والرأسمالية، والشيوعية، والاشتراكية، والثيوقراطية، الخ...

فما كان الداعي إلى قبول هذه الاصطلاحات؟ إننا رأينا في المصطلحات بعض ما يلائمنا، أو يعجبنا، أو يتفق -في خط من الخطوط- مع أهدافنا، فأحببنا أن نستعين بها في تعريف الإسلام وعرضه على الجيل المثقف الجديد، الذي افتتن بهذه المصطلحات وآمن بها كإيمانه بالله ورسوله.

وكان المجال الأول والمجال القريب هو الحكم الإسلامي، الذي صار موضوع النقاش والجدال منذ أعوام طوال، وقد ظهرت هذه المحاولات في العالم الإسلامي -خاصة في مصر وباكستان في صورة مؤلفات ودراسات تنظر إلى الحكم الإسلامي بهذا المنظار الغربي الجديد- منظار المصطلحات المحدود- فإذا رأوا فيه حرية شخصية قالوا: إنه ديمقراطي

www.abulhasanalinadwi.org

ورأسمالي، وإذا رأوا فيه مساواة قالوا: إنه اشتراكي، وإذا رأوا فيه خليفة يأمر وينهى، قالوا: إنه ديكتاتوري، وإذا رأوا فيه أحكاما الهية لا دخل فيها لبشر قالوا: إنه ثيوقراطي، وإذا رأوا فيه بيعة عامة وخليفة كأبي بكر رضي الله عنه – يقول في أول خطبته حين بايعه الناس " أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم" قالوا: إنه شعبي، الحكم الأخير فيه للشعب!

فما هي طبيعة الحكم الإسلامي ومنهاجه الأصيل، المبتكر المجرد عن الملابسات والمصطلحات والشكليات، أليس للإسلام فكرة مستقلة خاصة، ونظام متكامل، متكافل، متناسق، غني عن الأخذ والاقتباس والاستيراد؟ أليس له دعوة ومنهاج وحكم؟ ثم أليس له مصطلحات وأسماء وشعائر أو شارات نعرفه بها، ثم ندعو الناس إليها؟

لا بل إن له منهجا مستقلا كاملا!

فلنلق نظرة سريعة عابرة على ما يستقل به الحكم الإسلامي، أو ما يتميز به دون غيره من المناهج السياسية والاقتصادية المعروفة، ولنر كيف يسمو عليها بنظامه الرباني العميق الدقيق، وما هو الفارق بين المصطلحات الجاهلية والمصطلحات الإسلامية، وهل تسعه هذه المصطلحات أم لا؟

الإسلام دين كامل أتم الله به نعمته على البشر، فقال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[1] فهو إذا نظام رباني أنزله الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأتمه في ثلاث وعشرين سنة، ولم يدعه عرضة للأوضاع المتغيرة، والملابسات الخارجية، والمشكلات المتجددة والعصر المتطور، شأن المذاهب السياسية الأخرى التي لا تزال في دور التجربة والتكوين والبناء، فجاء شاملا لسائر

---

[1] المائدة، الآية ٣.

www.abulhasanalinadwi.org

النواحي والوجهات بل الدقائق والخلجات التي لا تدركها الأبصار، ولا يترقى إليها عقل البشرية القاصر المحدود.

﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾[١].

﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾[٢] ﴿وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون﴾[٣].

﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم، فلا تزكوا أنفسكم، هو أعلم بمن اتقى﴾[٤].

والآيات في هذا الباب كثيرة معلومة.

هذه هي المبادئ الأولية للحكم الإسلامي وأبعاده، وسوف نتقدم الآن ببعض التفصيل، ولنتذكر –ونحن في بداية السفر– تلك الحقيقة الكبرى: أن الإسلام دين سماوي منـــزل من الله، وأنه دين كامل لا يوذيه التطور، ولا تنال منه الأحداث، أما المذاهب الأخرى – والمذهب أيضا اصطلاح لا يعبر عن النظام الإسلامي مطلقا– فناقصة محدودة لا تزال في دور التجربة أو في دور الطفولة، وقفت في سيرها أو بحثها عن الحق على بعض محاسن ووجوه من الحق والجمال، والبر والمعروف، فحسبتها نهاية المطاف وآخر الشوط، وظنت أنها ظفرت بالغاية المنشودة، وسمتها باسم خاص، ووضعت لها مصطلحات، مع أنها كانت جانبا ضئيلا لا يصح الوقوف عنده أو التمسك به، ولا يصح اعتباره كاملا، يتوقف عليه مستقبل البشرية إذا قيس بالجوانب الضخمة الأخرى، التي لا تكتمل بدونها الصورة، ولا يستقر بغيرها الوضع.

---

[١] الملك، ١٤.
[٢] المائدة، ٥٠.
[٣] آل عمران، ٨٣.
[٤] سورة النجم.

www.abulhasanalinadwi.org

ونقدم الآن بعض جوانب الحكم الإسلامي على سبيل المثال:

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾[١].

﴿وشاورهم في الأمر﴾[٢].

وفي المستدرك (عن أبي هريرة رضي الله عنه: ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٣].

إنها ناحية مهمة من نواحي الحكم الإسلامي حسبوها ديمقراطية يخضع فيها الرئيس لرأي الأكثرية، ولو كان هذا الرأي غير صالح أو غير نافع، وهو تجن على الإسلام ودليل على سوء فهمه.

ويأتي مبدأ ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[٤].

وهو جانب خطير أيضا، فقد نهى الجمهور عن معارضة الخليفة والأمير والحاكم (ما أقاموا فيكم الصلاة) ونهى عن الخروج عليهم (ما لم يظهروا كفرا بواحا) وهذا إقرار لقيمة الحكم الإسلامي وأهميته، وسموها على الخلافات الصغيرة، وفيه تدعيم لأركانه، وتشييد لبنيانه، وهنالك تلتقي الصورة أحيانا ببعض صور الحكم في التاريخ القديم والحديث، ولكنها لا تمتزج فيها أبدا، وقد تجلى ذلك واضحا صريحا في موقف عمر رضي الله عنه، حين قال:

"أصابت امرأة وأخطأ عمر".

إنه وضعت له حدود ومعالم وإطار واضح، وهو "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" وروى الشيخان " على المرأ المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره، إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة" إنه ليس الحكم

---

[١] الشورى الآية: ٣٨.

[٢] آل عمران الآية: ١٥٩.

[٣] زاد المعاد ج ٢ص ٦٤.

[٤] النساء: ٥٩.

www.abulhasanalinadwi.org

المطلق ولا الطاعة الدائمة، بل شيئ بين هذا وذاك، هو أقرب إلى الفطرة وأقرب إلى روح الإسلام، وأما أمر البيعة فهو أشبه بنظام الانتخاب والتصويت في العصر الحديث ولكنه يفترق عنه كما افترق أو لا في سائر المبادئ والوجهات في عد الأصوات، بل إنه بيعة عامة يستقل بها الخليفة وأمير المسلمين، لم يدير دفة الأمور بمشورة من أصحابه.

هذا هو الإطار العام الوجيز السريع للحكم الإسلامي وهو نظام مستقل بطبيعة الحال، غني عن الاصطلاحات، بعيد عن الشكليات، بل إن الاصطلاحات تجنى عليه وتحول بينه وبين فهمه على حقيقته ونمطه في الشئون الاقتصادية مثل نمطه في الشئون السياسية.

وموقفه في السلطة الشخصية، وفي مسألة الأحزاب الفردية، وفي التأميم وعلاقات العمال ورجال الأموال، وفي المساواة الطوعية والإجبارية، ونحو ذلك من المشكلات الفنية موقف مستقل بذاته، ذو طابع خاص وسمات واضحة مشرقة، وحدود معلومة، لا تستطيع هذه المصطلحات السياسية (التي حملها إلينا الغرب) أن تعبر عنه بدقة، أو تصوره تصويرا صحيحا.

إنها لا تقدم إلا صورة مشوهة، محدودة، شاحبة لهذه النواحي الهامة، ولا تستطيع أن تدرك غايتها أو تمس مستواها، وتفهم روحها وأسلوبها ومنهاجها المستقل الأصيل، المتفرد، المبتكر.

إن جوانب الحكم الإسلامي أعلى من أن نعبر عنها بهذه الاصطلاحات المكدودة، فلنرجع إلى المآخذ الأولى و الشعائر الأولى، أو نضع لها اصطلاحات إسلامية خاصة ليس لها صلة بالغرب ونفسيته نقية من شوائبه وعلائقه وأكداره.

www.abulhasanalinadwi.org

جان بول سارتر والأدب الوجودي(١)

الوجودية (Existentialism) من التيارات الفكرية والأدبية المعاصرة التي صادفت هوى في نفس الأدباء، وتجاوبت مع أفكار كثير من الشباب المثقف الحر المنطلق في فرنسا وبالتالي في سائر أوربا

وكان نصيب واحد من زعماء هذه الحركة الأدبية والفلسفية "جان بول سارتر" (Jean Paul Sartre) أكثر من زعيمها الآخر "مارسيل" (Marcel) شهرة وقبولا، مع أن مارسيل يعتبر من أقطاب الوجودية وهو مؤسس مدرسة فكرية مستقلة في المذهب الوجودي.

ونرجع قليلا إلى الوراء فنلتقي "باندرية جيد" الذي نال إعجاب الجمهور المثقف وتخطت شهرته البلاد والأمصار، وبرز على مسرح الأدب والقصصي العالمي كقائد وزعيم.

فما ذا كان السبب في نجاحهما وشيوع أفكارهما في أوربا، بينما فشل الآخرون؟ وما هو السر في هذه الشهرة السائرة الذائعة الصيت؟ وما الذي حمل بعض أقطاب السياسة في العالم العربي على تكريم واحد منهم، والترحيب به على الصعيد الرسمي؟

ذلك ما نحاول عنه الإجابة في السطور الآتية:

أما السر في نجاحهما وشيوع أفكارهما فهو نقدهما اللاذع على التقاليد والأخلاق، والمبادئ "المزعومة"، فهو نفس الشيئ الذي نجده في "داروين" و "فرويد" و "أدلر" وأمثالهم.

www.abulhasanalinadwi.org

وقد يلتقي "سارتر" مع "فرويد" في كثير من الخطوط، وربما استقى منه جزءا كبيرا من نظريته الشاذة عن الحياة، والوجود، والعدم، كما يلتقي أحيانا مع "أندرية جيد" الذي سبقه في دعوته إلى الانطلاق العام عن المبادئ الخلقية التي يفرضها المجتمع، فجمع بين سوآتهما، وأضاف إليها ما أملى عليه فكره ونفسه من نظريات وآراء أكثرها غامضة مبهمة تنم عن ذهن مائع لا يستقر في مكان، ولا يطمئن إلى نتيجة وفكرة، إنه يؤمن – كـ "فرويد" – أن Mature Sex Impulse هو نتيجة تطورات طويلة، وأنه أصل عميق في الكيان البشري منذ طفولته، ويسرى في العلاقات الإنسانية كلها، ولكنه يضيف إليه أن الدافع إلى الجنس ليس القوة الجنسية وأسباها فحسب. بل إن نزعة الوجودية الكامنة في الإنسان تدفعه على ذلك[١].

أما "أندرية جيد" فقد اعترف الأدباء أن "سارتر" شديد التأثر بهذا الكاتب الفرنسي، وقد أخذ منه مفهومه عن الخير والشر والأقدار الخلقية. وأكمل منه ما نقص وزاد فيه زيادات، وهو يؤمن كأندرية جيد أن هذه الأقدار أو خالقها بلا استثناء[٢] كما أنه تأثر إلى حد كبير بالفلسفي...... الوجودي الألماني "هيد جر" (Heidegger) الذي مزج الباطنية بالإلحاد وعرف به، ولكن يبدو من دراسته أنه تلمذ على "فرويد" – فكريا– أكثر من أي شخص آخر، وقد شهد بذلك (Hazelebarnes) الذي نقل كتابه الهام – أو المبهم في عبارة أصح– إلى اللغة الإنجليزية، وهو شديد الإعجاب به، كثير الاستيحاء منه.

فالسر الوحيد في بروزه وشهرته أنه برر للشباب طريق الهوى، وزينه بالعلم والفلسفة والأدب والرواية، بالعكس من "مارسيل" مؤسس مدرسة فكرية خاصة في المذهب الوجودي الذي نتحدث عنه قريبا.

---

[١] اقرأ: Beingand Nothingness (Introduction) By: "J.P. SATRE"

[٢] "الأدب الفرنسي" لدكتور "يوسف حسين" ص: ٤٥–٥٠.

www.abulhasanalinadwi.org

ونستعرض الآن بعض نظراته الأساسية التي قامت عليها الوجودية:

إن الإيمان بالله هوالعائق الوحيد عند الوجوديين، لأن الإنسان إذا آمن بقدرة تسيره، وحكمة تدبر أمره، وقوة تسيطر عليه، ورقابة لا تنفك عنه، فهو لا يستطيع أبدا أن يستقل بوجوده ولا أن يتحمل المسئولية دون غيره، أو دون الله، فوجود الإنسان نفسه وحبه للحرية والانطلاق وتحمل المسؤليات على حسابه وعدم التقيد في تقاليده وأوضاعه، ينفي وجود الخالق المدبر، وقد أشار إليه الأستاذ "Hazelebarnes" في مقدمته لكتاب سارتر "Being and Nothingness" بشيئ من التفصيل.

وقد رد "سارتر" على تصور Leibniz للحرية، الذي يقول: بأن الله أودع في كل إنسان جوهرا خاصا Essence، ثم تركه وأعطاه الحرية الكاملة أن يتصرف في حياته وفق ما يقتضي منها هذا الجوهر – وهي نظرية تشبه نظرية القدرية التي كانت تؤمن بالتعطل وتجرد الخالق عن قدرته و صفاته، وكان جوابه عليه أن هذه الحرية ليست حرية في أي حال من الأحوال، لأننا إذا فرضنا أن الله خلق فينا جوهرا خاصا فمعنى ذلك أنه يكيف الحياة تكييفا خاصا وتتسم حياة الإنسان إذاً– بطابع محدودخاص[١].

وذلك يشير بصراحة ويؤيد قولنا بأنه يعتبر الإيمان بالله عائقا كبيرا في حرية الإنسان، ولا يجب أن يرى في الإنسان أثرا ما للتعاليم الإلهية وأوامرها، لأنها – عنده– تفسد عليه حريته أو بالأصح –تضيع فرصته– فرصة التمتع بالأهواء والتمرغ في الشهوات.

الوجودي لا يؤمن بوجود الله ولا يؤمن بنظام خلقي يسود على الإنسانية، الإنسان عنده حر ومسئول في ذات الوقت، لكنه مسئول أمام نفسه، لا أمام الله، إنه لا يعتمد على عقله ولا يعتمد على الروح ولا يؤمن

---

[١] Being and Nothingness (Introduction) by Translator.

www.abulhasanalinadwi.org

بالله ولا بنفسه، هو يقول: إن الإنسان مجموعة أعماله، وهذه الأعمال ظل ما يملي عليه وجوده..... أنه يعارض أي نظام وتنسيق للحياة البشرية – لأنه ينافي الحرية المطلقة عند القوم– ويقضي حياته بتوجيه من عمله ووجدانه فحسب، أيا كان نوعه، ومهما جر من ويلات على البشرية[١].

وننتقل إلى ناحية أخرى لها أهمية كبرى في تكييف حياة الوجوديين، وهي تلقي الضوء على نظرة "سارتر" إلى الأقدار الخلقية والخير والشر، وعلاقة الإنسان بالإنسان.

ونستطيع أن نلخص فكرته في جملة واحدة، وهي أن هبوطنا وسقوطنا وأخطاءنا لا وجود لها بنفسها، بل إن لها مبررا من وجود الآخرين الذين نعيش فيهم، فلولا "هؤلاء" أو لولا "الخارج" ما كان لهذه الأخطاء معنى، ويشرح هذه النظرية بقوله: "It is before the others that I am Guilty" ويقول في صدد الكلام: "إنني مجرم إذا رأيت إلى الآخرين[٢].

ويقول: إننا تعساء مساكين في هذا العالم، لأن وجود كل واحد منا هو يتداخل في وجود الآخر بطبيعة الحال من غير أن نحب أو لا نحب، فاحترام بعضنا لبعض واستيحاء بعضنا من بعض ومفاهيمنا الأخرى لا حاجة إليها، لأنه انتهاك مكشوف Violator لهذه الحرية التي نحترمها[٣].

ويضرب لذلك مثلا في التعليم، فيقول: إن هناك منهاجا للتربية يرغم الأولاد على اعتناق ما ينبغي من قيم وأقدار، ويسوقهم إلى أهدافه الخاصة التي يريدها، وهناك منهج آخر أكثر توسعا ومرونة، فهو لا يستخدم هذه الخشونة أو الضغط، ولكنه يريد أن يوجه الأولاد إلى أغراض معينة، مع أن ترغيب الأولاد (إذا فرضت عليهم قيم معينة) ليس أقل خطرا من

---

[١] الأدب الفرنسي، ص: ٤١٤.

[٢] Being and nothingness P. 409-410.

[٣] نفس المصدر: P. 409.

www.abulhasanalinadwi.org

الترحيب، وهكذا الاحترام لحرية الآخرين فهو أيضا كلام فارغ، لأنه تجريح لحريتنا التي ننشدها[1].

هذه خلاصة لبعض أفكار هذا الوجودي ومقوماته الأساسية التي تدل على فلسفته الحائرة التي يسميها L'Etretneant أو Being and nothingness بالانجليزية، وقد تدور معظم أبحاثه بين الوجود بنفسه Being for itself والوجود لغيره Being for Others.

ولكن الطابع الذي تتسم به أبحاثه من غير استثناء هو طابع اليأس والألم، والمقت، والتذمر، والقلق، والتشاؤم، والشعور بأنه لا يستطيع أن يعبر عن وجوده وذاتيته على الوجه الذي يريده، فالحرية المطلقة مهددة دائما بالآخرين الذين يعيش بينهم حتى يموت، والشعور بهذا العبء الثقيل، عبء المسئولية الكبرى التي حملها على عاتقه وحده تكميلا لحريته المفقودة المنشودة، والشعور بالخواء الروحي العظيم الذي نشأ من أجل الإلحاد، ونبذ القيم الخلقية، واعتبار المجتمع والدولة والأسرة والعائلة متداخلة في شئون الفرد، منغصا حريته، ولكنه يحاول أن يكسو هذا الشعور بالقاتل بالعزلة والوحدة والخيبة واليأس ثوب الفلسفة والأدب، فيأتي أدب غامض مبهم، وفلسفة مليئة بالمتناقضات والأضداد والأسئلة الحائرة التي لا تجد جوابا، وغموض لا يقبله العقل السليم، وشذوذ لا تستسيغه الفطرة السليمة، وتستعصي عليه هذه الأسئلة وتزعجه حتى يضطر إلى أن يؤخر الرد والبحث فيها لعمل قادم Future Work وقد أعلن بذلك في آخر كتابه.

إنه يدعو إلى الحرية المطلقة الدائمة البريئة عن كل قيد، ثم يقيدها بوجود بالآخرين، فيتركهم ليعيشوا أشقياء أبدا، تعساء دائما، يحلمون بها، فلا يجدونها، وينشأ بين وجود ووجود، أو بين Being for others وبين Being for itself لون من العداء، أو نوع من الجفاء.

[1] نفس المصدر: P. 409.

www.abulhasanalinadwi.org

جون بول سارتر والأدب الوجودي (٢)

الاتجاه الفكري الذي يتزعمه "سارتر" في المذهب الوجودي هو –في الواقع–ظل هذه الحروب العالمية التي رزئت بها الإنسانية، إن هذا القلق، والسآمة، والفوضى، والميوعة الفكرية التي طفت وسادت على التفكير الإنساني ونشاطه في هذه العقود من السنين، هي المسئولة عن هذا المذهب الإباحي الغامض، ولا عجب في ذلك فقد اكتوى الرجل بنار هذه الحرب وعاش بين شظاها، حين قبض عليه في الحرب العالمية الثانية، ولبث في السجن عاما كاملا، ثم تسلل من هذا السجن، ولاذ بأذيال الفرار، وانضم إلى حركة معادية لألمانيا وعاد أخيرا بأدب جديد يرخي العنان للإنسان ويبرر كل صنيعة أو شنيعة يأتي بها، ويحاول أن يقضي على همومه ومتاعبه وآلامه عن طريق هذه الحرية التي لا حدود لها ولاقيود، ولا رقيب لها ولا حارس.

إن "سارتر" يعترف – بنفسه– أن هذا الخواء، والوحدة والعزلة أصيلة راسخة في كيان الإنسان ولكنه يرجو أن يستولي عليه الإنسان، أو يتناساه – في تعبير أصح– بهذا الشذوذ الفكري والاباحية العقلية، والتصرف الحر، ويضع عنه "أغلاله" و "أثقاله" من الإيمان والأخلاق، والمثل العليا، ويحطم كل مقياس أو ميزان للخير والشر، والخبيث والطيب، والمنكر والمعروف، أما إذا تدخل في هذه الحرية وجود إنسان آخر، فذلك قسر طبيعي، لا نملك إلا أن نواجهه بضغط نفسي شديد وكبت، أو ننتصر عليه باستعمال حريتنا في نطاق أوسع أو باللامبالاة إلى آخر الحدود.

www.abulhasanalinadwi.org

وقد تجلى ذلك في روايات "سبل الحرية Les Chemins Liberate" وموته الروح Lamortdans I'me. و"عصر العقل" L'agederasion التي صور فيها تلك الأوضاع الاجتماعية والظروف التي تحيط بالإنسان المتمثل في شخص "بطل القصة" الأوضاع التي تتدخل في حريته الفردية وانطلاقاته الواسعة فيواجهها بعنف أحيانا، وبلا مبالاة بعض الحين.

وهو في هذه الناحية - ناحية اليأس والتشاؤم- لا يقل في أي حال من شهور بنهور (Schopenhauer)- زعيم المتشائمين- الذي قال:

Life swings like a pendulum from pain to ennui, and from ennui to pain.

أي إن الحياة تتدلى كالبندول من الألم إلى السآمة، ومن السآمة إلى الألم"[١] هذه السآمة والقلق هي الطابع العام البارز، لجميع هؤلاء الكتاب والفلاسفة والأدباء، السآمة والشعور بالفراغ، ثم ملء هذا الفراغ بالتدهور إلى درجة الوحوش والسباع، وممارسة ألوان مضحكة للتسلية والترفية، وإرواء هذا الظمأ النفسي الشديد بسخافات لا يصدقها العقل السليم ولا تقبلها الكرامة البشرية [٢].

فالسبب الرئيسي لانتصار هذا المذهب وانتشاره في الشباب والأدباء، والكتاب أنه هيأ سندا كبيرا وركنا شديدا للمستهترين والعابثين وفتح لهم الأبواب على مصراعيها لتحقق نزوات الجسد، وشهوات النفس، بمرأى من العالم ومسمع، وذلك تحت ستار "الفلسفة" و "الأدب" والأدب كما قال "أندرية جيد": لا ينبغي أن يصبو إلى غاية

---

[١] الأدب الفرنسي، ص ٥٥١.

[٢] وما هذه الرقصات المجنونة الثائرة أمثال الجاز والروك أندرول أو رقصة الحمير والبغال، وهي آخر الموضات، أو ظهور عصابات لمغنيين والمغنيات أمثال **Elwis presley' bingcras by,** Franksintara أو Beatles إلا محاولات يائسة لتخص من هذا القلق النفسي والحرمان واليأس الذي يئن الغرب كله تحت وطأته الشديدة.

www.abulhasanalinadwi.org

ويفضي إلى نتيجة حتى يبقى هذا الحد الفاصل، أي النتيجة والغاية بينه وبين الدين دائما[1].

ونعود الآن إلى "مارسيل" (Marcel) الذي يعتبر من أقطاب المفكرين في فرنسا (١٨٨٩م) وهو زعيم مدرسة خاصة في المذهب الوجودي ونرجع منه بصورة نقابلها بصورة "سارتر" فإذا هي تختلف عنها اختلافا هائلا، سواء في الأبعاد والحجم، أو في القسمات والملامح، أو في الطابع واللون، مع أنهما زميلان في المذهب الوجودي رغم اختلاف المنهج الفكري (School of Thought) والاتجاه الأدبي.

الفرق الرئيسي والفرق الأصيل بين الأدبين أن الأول يمثل الجناح الملحد الاباحي، الكافر بسائر القيم الخلقية في هذا المذهب أو هذه الحركة الفلسفية الأدبية، والثاني يمثل الجناح المؤمن بالله المعترف بالقيم الخلقية، الداعي إلى التفاهم مع المسيحية.

إن "مارسيل" يؤمن بالروح، ويعتقد أن الإنسان لا يحظى بالحرية الصحيحة والحرية الكاملة إلا إذا اتصل بقوة أكبر منها، وهي الذات الالهية، وكل اعتباره وقيمته أنه اختار الله ورضي به غاية وهدفا، إنه يرى أن الاستقرار في النشاط الفردي والكفاح الاجتماعي لا يتأتى بدون هذا الإيمان، وهنالك يلتقي "مارسيل" بالمسيحية في أوسع نطاق وأفسح مجال[2].

إنه يقول: إن الحس الخلقي والإرادة الشخصية هما يفيضان على الحياة معنى وغاية، إنه لا يعتبر الحياة ضائعة مهملة لا معنى لها ولاقيمة شأن "سارتر" و "كامو" (Camus) بل إنه يؤمن –بالعكس– بأن الأمل والرجاء أصيل متسرب في الروح البشري متغلغل في كيانه، ونحن لا

---

[1] الأدب الفرنسي ص: ٥٥١.

[2] الأدب الفرنسي ص ٥٤٨.

www.abulhasanalinadwi.org

نستطيع أن نفوز بذواتنا إلا في حالة الأمل والرجاء، لا في حالة اليأس والشقاء، فإن الأمل للحياة الروحية، بمثابة النفس، للحالة الطبيعية[١].

إنه يؤمن بالحب والوفاء والرجاء وسائر المعاني النبيلة الكريمة التي أودعها الله في الإنسان ليستعين بها في مشاق سفره، ويتزود بها في رحلته الطويلة فتخفف ما به من آلام ومتاعب وصعوبات، ومشكلات وعقبات، ولكنه لا يستطيع أن يضع لها تصميما واضحا، أو يشير إلى منهج خاص يضيء له الطريق، فإذا كان الأول كمثل (الذين طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم)[٢] كان الثاني كمثل الذين وصفهم الله بهذا الوصف المعجز البليغ (كلما أضاء لهم مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا، ولوشاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيئ قدير)[٣].

وأما روايته وتمثيلاته فمجرد عناوينها وأسمائها تدل على منهج تفكيره وعاطفته ووجدانه، فهنا تمثيلية مشهورة له سماها "ولي من أولياء الله" (Unhomme dedien) ورواية تحت عنوان "قلوب الآخرين" (Lacoeurdes autres) بخلاف روايات "سارتر".

Lagrace وثالثة اسمها "التوفيق الالهي".

ونقدم هنا نموذجا واحدا من رواية "ولي من أولياء الله" فهو يلقي الضوء على أسلوب تفكيره وعلى ضميره العلمي، وعقله المشبوب بالوجدان والعاطفة.

إنه يصور في هذه الرواية قسا من البروتستانت (وهو بطل الروية) غفر لزوجته بعض جفوتها وعفا عما أتت به من جناية أو خيانة، ولكنه

---

[١] نفس المصدر ص ٥٤٩.

[٢] سورة النحل، آية ١٠٨.

[٣] سورة البقرة، آية ٢٠.

www.abulhasanalinadwi.org

تحول منذ ذلك الوقت شخصا آخر، وحدثت في نفسه ثورة عجيبة، فبينما كان يشق بكل واحد أصبح لا يعتمد الآن على أي شخص مطلقا ويرى الناس حوله بنظرة الشبهة، ويسيئ بهم الظن، ثم راح يشك في نفسه فتعبد في الخلوات، ومضى في العبادات لعله يبرأ من علته، ولكنه لم يتخلص منها، وابتلي بها مدة من الزمان، وتوجه أخيرا إلى خدمة الرهبان في الكنيسة، وانصرف إليها كليا، وحاول أن ينسى نفسه في زحمة الأشغال والوظائف اليومية المعتادة، ونجحت هذه الفكرة وهذه المحاولة، فلم تذهب عنه الظنون والشبهات فحسب، بل إنه عثر بذلك على ضالته المنشودة. فبدأ يلمس في حياته معنى خاصا.

إنه نموذج لكاتب كبير له مكانة مرموقة في الأدب الفرنسي وطابع ممتاز بين المناهج الأدبية وأساليبها، وزعيم من زعماء المذهب الوجودي، فما هي إذا جنايته إذا تخونه الأعين وتفوته الأبصار، في مصر وسوريا ولبنان، ولا ينال هذا الأديب المؤمن بالذات الالهية وبالقيم الأخلاقية – وأنا لا أدافع عنه ففي أدبه مؤاخذات وفي فلسفته فجوات وثغرات يضيق عنها المكان– بعشر ذلك الترحيب الحار أو بهذه الورود وأزهار التي نالها ذلك الكاتب الملحد المعروف بذهنه المائع وفلسفته الفاجرة الهدامة لسائر القيم والمبادئ والأخلاق، والدعوات والرسالات التي قامت بها الأرض وتشرفت بها الإنسانية، وامتاز بها الجنس البشري على حشرات الأرض وفقاقيع البحر.

هل هي "مؤامرة أدبية" للكتاب الاشتراكيين والأدباء الثوريين لتحقيق ما تصبوا إليه نفوسهم من هدم للدين وإشاعة الفاحشة في المسلمين أم أنه انسياق مع التيار من غير هدى، وتخبط في ضلالة وعمى.

www.abulhasanalinadwi.org

لقد أحاطوه بهالات التقديس والإجلال وفرشوا له المحاجر والقلوب، كأنه نبي أرسله الله إلى الاشتراكيين العرب، أو قديس جادت به أرض فرنسا – كمبة هؤلاء الأدباء المزعومين– ليمسح دموع هذه الأمة المنكوبة ويبارك على أحزابها المتنافرة وهيئاتها المتنافسة ودويلاتها المتفرقة وحكامها المتناحرين المتكالبين على مقاعد الحكم والقيادة، ومناصب الامارة والرئاسة، أم أنه مسيح يحي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله.

لقد وقع بصري على تصريح وتعليق لبعض رجال السلك الدبلوماسي، فآلمني هذا المستوى المنخفض الساقط الذليل من التفكير وهذه العقلية الصغيرة القاصرة، عقلية العصافير أو عقلية القرود والببغاوات التي تحسن التقاليد وتجيد فن المحاكاة.

ياعباد "سارتر"! يا أيها الأقزام المقلدون، المتآمرون على الشعب العربي المسلم، ويا أيها المتنكرون لمبادئكم، المنحرفون عن جادتكم، السادرون في غيكم، إن تحمسكم لهؤلاء الكتاب الملحدين واختفالكم بهؤلاء الأدباء الأشقياء في الدنيا والدين، وتصفيقكم لهذه الشرذمة القليلة من الطغاة والمجرمين –الذين سودوا وجه الإنسانية وانحطوا بها إلى درجة الكلاب والذئاب– تسوقكم في نهاية المطاف إلى مزبلة التاريخ التي تكدس فيها كل ما أبته النفوس الطاهرة المؤمنة، ومجبته العقول النظيفة والأرواح الشفافة، وعافه القلب السليم والفكر المستقيم.

إنها ترمي بكم في النهاية ومن غير احتفال في أوساخ التاريخ أو في مهوى سحيق، فبي أصبركم "سارتر" و"ماركس" و "تيتو" و "هيلا سلاسي" على هذا المصير؟

﴿وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا﴾[1] وصدق الله العظيم.

---

[1] سورة الأعراف، الآية: ١٤٦.

www.abulhasanalinadwi.org

بناء الإنسان أفضل أم بناء العمارات؟!

من المحن والأزمات التي ابتلي بها الشرق الإسلامي شغفه الزائد بالبنايات الحديثة والمعاهد العلمية الفخمة التي تشبه الفنادق والبنوك في ضخامتها وارتفاعها، وأناقتها وتأثيثها، وشاع أمثال هذه الجمل: إن هذه البناية أكبر بناية حديثة في الشرق الأوسط، وإن هذا الصالون أو هذا المدرج أو هذا المتحف، الأول من نوعه في المنطقة بأسرها، وقد سموا هذا البناء الحجري، أو البناء الظاهري بناء الوطن، بناء الجيل، بناء الحضارة، بناء الثقافة، إلى آخر هذه التعبيرات البراقة التي كثر استعمالها في الوقت الحاضر.

وقد طغى "آخر موضة" و "آخر طراز" على جميع الحقائق وأصبح "الأحداث" و "الآخر" و"الأكبر" المثل الوحيد للنهضة والرقي، والبراعة والنبوغ، وقد عمت هذه الظاهرة في أكثر البلاد الإسلامية، فهذا أكبر مسجد في العالم في إندونيسيا، وآخر في "كوالالمبور" وثالث في "إسلام آباد"، وقوي هذا الاتجاه المعماري على حساب الأصالة في العلوم والتعمق في الدراسة، والرسوخ في العقيدة، والاضطلاع بالدعوة، وأصبحت البنايات تستهلك قوى الأمة، وتستنفد مجهودها وطاقتها، ومكاسبها، وأموالها وعقولها، لاتستطيع عنها حولا، ولا تبغي بها بدلا، لأنها آخر طراز وآخر ما قدمه الفن المعماري الحديث، والأولى من نوعها في آسيا وذلك "مبلغهم من العلم".

www.abulhasanalinadwi.org

هذا في محيط البنايات، أما في محيط الإنسان فلم نسمع – في عرض العالم الإسلامي كله– من يقول في نفس التعبير، وفي نفس القوة والاعتزاز، هذا أكبر عالم في الشرق، وهذا أكبر طبيب في "آسيا". وهذا أكبر مهندس في العالم الإسلامي، وهذا أكبر كيمائي في المنطقة بأسرها، وهذا أكبر ضابط وأعلمهم بفنون الحرب في البلاد العربية كلها.

إن كثرة البنايات والفنادق – يا قادة العالم الإسلامي– لا تنجب الرجال ولا تنجب الكفاءة والمقدرة، والنبوغ والبراعة، والعلم والتقوى، إنها –بالعكس– تلهي الأمة عن المكرمات والبطولات، إنها تستنفد قواها وتشغل بالها، وتصرفها عن غايتها السامية، وأهدافها العالية، وتجعلها في قفص ذهبي تجد فيه كل ما يحتاج إليه جسدها من عيش رغيد، وتفقد كل ما يحن إليه طائر الروح من حرية للخروج وأجواء فسيحة للطيران تزكى جوهرها الأصيل وترخى لها العنان.

إن بناء الإنسان لا يحتاج إلى بناية ولا يحتاج إلى دعاية، بل إنه يحتاج – فقط– إلى تصحيح الاتجاه، وتنوير الوعي، وتنمية الشعور والعناية بالأولى والأهم، والتركيز على النواحي المهمة الحساسة، وتقوية الجانب الذي تضاءل واضمحل وضعف بدلا من تغذية الجانب الذي تسمن وتضخم، وطغى وبغى على الجانب الضعيف.

إن مثلنا في ذلك كمثل رجل نزل عنده ضيف اشتد به الجوع فاعتنى بغرفته كل العناية، وأثثها تأثيثا جميلا، وحشد له كل ما لا يحتاج إليه من كماليات، ومع ذلك فلم يقدم إليه وجبة طعام، أو كأسا من ماء.

أو كمثل رجل أتاه مريض يشكو ألما في القلب، أو وجعا في الصدر فهداه إلى مساحيق التجميل، أو استعمال الملابس الفاخرة.

لقد عنينا –كثيرا– بالبنيان، فلنتجه الآن إلى الإنسان.

www.abulhasanalinadwi.org

همسات إلى جزيرة العرب...

إن نظرة المسلمين اليك يا جزيرة العرب - يا مهبط الرسالة الأخيرة ومأوى النبوة الخالدة- تختلف عن نظرتهم إلى شقيقاتك من البلاد العربية والبلاد الإسلامية القريبة والبعيدة كل الاختلاف، فأنت في نظرهم مأزر الإسلام والإيمان، ومركز الحسن والإحسان، ومنبع الصدق والوفاء، ومعدن الحب والولاء، وملتقى الأرض والسماء.

وأنت في نظرهم -بجانب ذلك- محط الآمال وموئل الأمة الشاردة الحائرة، المفتتة الموزعة، المتخاصمة المتناخرة وسهمها الأخير الوحيد الذي يتوقف عليه مصيرها ومستقبلها، وعزتها وكرامتها.

أنت في نظر المسلم العجمي أحب إليه من الوطن الذي عاش فيه منذ نعومة أظافره، والأرض التي قضى عليها أحلى أيامه وأسعد أوقاته، والبيت الذي حمل أطيب ذكرياته.

فهل تعرفين سبب حبه لك وغرامه بك، وتهافته عليك تهافت الصادي على الماء الزلال، وتساقطه عليك تساقط الفراش على النور؟

وهل تعرفين سبب إيمانه بك كالمعقل الأخير والحصن الأخير للإسلام في هذا الزمان؟

إنه نداء إبراهيم ودعوة محمد صلوات الله عليهما وسلامه، إن هذا الإسم العظيم الكريم، الحبيب الأثير، إسم محمد صلى الله عليه وسلم، هو الذي أضفى عليك كل هذا الطهر والقداسة، ومنحك تلك المكانة الفريدة المحسودة التي لا يمسها بلد من بلاد العالم، ولا تحلم بها بقعة من بقاع الأرض.

www.abulhasanalinadwi.org

لقد كانت مروج "كشمير" وجبال المغرب وضفاف النيل وغوطه دمشق أجمل بقعة من بقاع العالم وأغناها بالمواهب الطبيعية، ولكن شاءت حكمة الله أن تبقى هذه البلاد كلها -وما سواها- عالة عليك في دعوتك ورسالتك، متطفلة على فتات مائدتك، تنظر إليك بنظرة السائل والمحروم، ولا ننكر فضلك يا جزيرة العرب فقد آتيتها سؤلها، ومننت عليها بما هو أغلى من الوجود وأثمن من الحياة، وهو الإيمان.

لقد شاءت حكمة الله البالغة أن ينــــزل أول وحي على محمد صلى الله عليه وسلم في غار حراء، بين رمال وعساء وجبال جرداء، وتنطلق الشرارة الأولى للدعوة بواد غير ذي زرع، وتدور المعركة الفاصلة في تاريخ الإسلام، معركة بدر الكبرى في الصحارى القاحلة والأرض الجرداء المجدية التي لا زرع فيها ولا نبات، فكأنها بذلك أرادت أن تقطع صلتك بالمظاهر المادية قطعا باتا، وتعلن أن قيمة هذه الجزيرة في دعوتها ورسالتها وفي الأهداف التي جاهدت في سبيلها، لا في مظاهرها وثرواتها، ووسائلها وأدواتها.

إن هذا الإسم العظيم الكريم الحبيب الأثير إسم سيد ولد آدم وسيد الأنبياء: محمد صلى الله عليه وسلم، هو الذي منحك هذا المكان النادر، الفريد الأصيل، الجميل، الكريم، النبيل، في مصاف الشعوب وأسرة الأمم، مكان الوصاية العادلة الرحيمة، على الإنسانية الحائرة والقيادة المحنكة الرشيدة للشعوب الضالة، مكانة الجهاد المتواصل المرير مع القوى الباغية، والرباط الدائم على ثغور الإسلام، مكان النجدة والغوث للمسلمين المعذبين، في مختلف أرجاء الأرض، وأقصى بلاد العالم.

إن قيمتك أيتها الجزيرة الحبيبة ليس في هذا الذهب الأسود الفائض الذي تتدفق به الصحراء، وفي هذه المباريات للربح والناطحات في السماء، إن قيمتك واعتبارك وثمنك في سوق العالم – مهما تغيرت الدنيا

www.abulhasanalinadwi.org

وتطورت– هو إيمانك بهذا النبي صلى الله عليه وسلم، وحبك له، واتباع النور الذي أنزل معه.

إن قيمتك هي الحفا على سمعة هذا الإسم الحبيب والانتصار له والتمسك به، والتفاني في سبيل عزته وكرامته في وقت عم فيه الضلال وانتشر فيه الغوغاء، وقل فيه الوفاء، وكثر فيه النكران والجحود.

إنني أراك أيتها الجزيرة تنظرين إلى الغرب الذي داس كرامته الثوار في "فيتنام" بالأقدام، نظرة فيها بعض الإجلال، وفيها بعض الطمع، وفيها بعض الشعور بالهوان، وفيها شيئ كأنه "الندم" مالي أراك مسرعة متحضرة تريدين استدراك ما فاتك في هذه العقود من السنين من رواسب الحضارة الغربية وأثاثها البالي القديم.

إنني أراك يا جزيرة العرب تستوردين من الغرب كل شيئ ولا تصدرين إليه ما خصك الله به من عقيدة نقية صافية، وإيمان عميق، وغايات نبيلة، ودوافع صالحة، وجمع بين الأخلاق والوسائل، والغايات والوسائط وما خصك الله به من نور النبوة الذي انطفأت مصابيحه وانطمست معالمه في الغرب.

إنك ياجزيرة العرب تواجهين عدوا يضمر لك الحقد والكيد منذ زمن طويل، عدوا يعلن مطامعه التوسعية ويهدد الأماكن المقدسة، ويطمع في المدينة المنورة وخيبر، فليكن ردك عليه رد الرجال الأبطال، لا رد بنات الخدور وربات الحجال، وذلك لا يمكن إلا إذا حولت بلادك وفلذات أكبادك، ومحلاتك التجارية وأسواقك العامرة، وأبنيتك الشامخة، ومدنك وبواديك إلى معسكر، وإلى قاعدة حربية، ومركز تدريب، فإذا نزل ضيف و ورد زائر رأي أمة متهيأة للوثوب منتظرة ساعة الصفر، متعطشة إلى المعركة، متلهفة على الشهادة، ورأى شبابا يسرعون إلى

www.abulhasanalinadwi.org

نوادي الرماية، ومخيمات التدريب، ومراكز الدفاع والحرس الوطني، كما يسرعون إلى الملاعب، ومراكز الرياضة البدنية، ومباريات كرة القدم.

إنك لوكنت يا جزيرة العرب مثل البلاد الإسلامية الأخرى كتركيا أو اندونيسيا أو أفغانستان خففنا عليك الثقل، وأقللنا عنك الحلم، والتمسنا لك الأعذار، ولكنك في مكان دقيق وموقف دقيق، ومسئوليتك أكبر وأضخم من مسئولية أي بلد إسلامي في العالم، فإذا طلبنا من غيرك تضحية طلبنا منك تضحيتين، وإذا رجونا من غيرك مرة رجونا منك مرتين، ولا عجب فهي ضريبة الشرف، بل هو عين الشرف.

إن مسئوليتك بحكم هذا الشرق – أضخم وأكبر من مسئولية مصر، ومسئولية سوريا، ومسئولية الأردن، ومسئولية العراق، ومسئولية الجزائر، وتركيا وباكستان.

إن أمل العالم الإسلامي قد ضعف في شقيقاتك الأخرى التي انساقت مع التيارات الغربية كل الانسياق – وأنا آسف على هذه الصراحة – وهو لم يعد يرجو منها خيرا ما دامت على نكرانها لنعمة الإسلام، وجحودها بفضل محمد صلى الله عليه وسلم، وما دامت تلهج بالثناء على الحضارات السائدة والمدنيات الجاهلية، وما دام فيها من البعثيين الملحدين الذي يسخرون من الله في الصحف الرسمية علنا وجهارا، ومرارا وتكرارا.

إنك ياجزيرة العرب السهم الأخير الوحيد في كنانة العالم الإسلامي – والله أعلم بأسراره وخفايا أموره– فلا تخيبي أمله ورجاءه، ولا تنظري إلى هؤلاء "الأقزام" بإكبار وإعجاب الذين أساءوا إلى العالم العربي إساءة لن ينساها التاريخ.

إنك أيتها الجزيرة قد جهرت بالإسلام في كل مناسبة من المناسبات، محلية كانت أم دولية، سياسية كانت أم دينية، بينما استحى منه الآخرون، واستنكف منه "البعض" وحاربه "البعض الآخر" وأشدت بذكره بكل

www.abulhasanalinadwi.org

صراحة وقوة واعتزاز، وهي مأثرة سوف يسجلها لك التاريخ بكل تقدير وإعجاب، وذلك ما حمل المسلمين في جميع أنحاء الأرض على أن يعتبروك المعقل الأخير في هذا الصراع الطويل المرير بين الدين واللادينية، والإسلام والجاهلية، الذي تدور رحاه في البلاد العربية في أقسى صوره وأفظع مظاهره، فاعرفي مسئوليتك الضخمة الدقيقة في هذه المعركة الفاصلة الحاسمة، والمرحلة الخطيرة الهامة في تاريخك المشرق الطويل.

إنك أسعفت الإنسانية يا جزيرة العرب في القرن السادس المسيحي، بعد أن كادت تقع في الهاوية وأخرجتها من جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، وهي لا تزال تذكر فضلك وتذكر أبطالك الغر الميامين، من الصحابة والتابعين، ولكنها ترنو إليك مرة ثانية، مستعطفة مسترحمة أن تسعفيها مرة أخرى وتتولى زمام قيادتها من جديد.

وأريد أن أهمس في أذنك يا جزيرة العرب بكلمة وجيزة أخيرة سامحيني فيها ولا تؤاخذيني عليها، وهي أن الحياة صبر وجهاد، وجد واجتهاد، وشوك وقتاد، إن الحياة الكريمة الحرة، حياة العز والسعادة، والشرف والكرامة لا تبنى بالرقة والنعومة، والبذخ والإسراف، ولا بوسائل الترفية وأدوات التسلية، أو أسباب الزينة والجمال، إنها تحتاج إلى دموع ودماء، وتحتاج إلى صبر وتضحية، وغلظة وخشونة، وبساطة في المعيشة، واقتصاد في المأكل والملبس، والمسكن، فإذا جمعت بين عقيدتك ودعوتك، وبساطتك وتضحيتك، أحسنت إلى نفسك وإلى الأمة الإسلامية كلها وإلى الإنسانية بأسرها، وتفضلي أخيرا بقبول تحيات من عاش في أحضانك زمنا سعيدا وقضى في ربوعك وعطفك ورفدك أياما حلوة، ورأى من واجبه الديني أن يهمس في أذنك وينقل إلى سمعك وبصرك ما شاهده بدقة وأمانة وصدق ونزاهة، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

www.abulhasanalinadwi.org

فيتناميات جديدة

إن الأمم لا تحارب بالأسلحة ولا تحارب بالمال، ولا تحارب بالأعلام، أو بالأماني والأحلام، إنما هي تحارب بالروح المعنوية، بالوعي الحربي، بالدم الفائر، بالقلب الثائر، بالأهداف الواضحة، بالغيرة والإباء، بالجروح والآلام، إنها لا تحارب بالصاروخ "الظافر" و "القاهر"[١] والبوارج والبواخر، بل إنها تحارب بتلك الشوكة الصغيرة التي يشاكها قلبها، فتؤرق نومها، وتنغص نعيمها، بتلك الغيرة البشرية، والحياء الإنساني الذي يظلم عليها الحياة ويضيق عليها الأرض، بتلك الغضبة التي تطيح بالأرباح الرخيصة الحقيرة وتكتسح النباتات السامة والأحراش الخبيثة، إنها تحارب بوقفة الرجل الحر الكريم، الذي أهين في عرضه، وجرح في شرفه، وشتم في مروءته ورجولته، ولعن في سلالته وأسرته، وفصيلته وقبيلته، فيهجر ربات الحجال، ويركض إلى ساحة القتال، ليغسل عاره، ويأخذ ثاره، ويرد اعتباره.

إن الأمم – يا أبناء سيد الشعوب والأمم: محمد صلى الله عليه وسلم– لا تحارب بصور الممثلين والممثلات، والمغنين والمغنيات، والراقصين والراقصات، إنما هي تحارب بالشرارة الملتهبة في الصدر، بالدماء المتوثبة الفائرة في العروق، ببريق الثأر والنصر في العيون، بإشراقة الغد المأمون المضمون على الجباه، بترنيمة الفجر الجديد والنصر الأكيد على الشفاه.

---

[١] أسماء الصواريخ تبجحت بها الصحافة في العهد الناصري ثم تلاشت وتبخرت.

www.abulhasanalinadwi.org

إنها تحارب بعاطفة "صلاح الدين" وغيرة "بابر" و"شهاب الدين"[١] التي أبت وعافت كل ما لذ وطاب، من طعام وشراب وثياب، ما لم يتم النصر ويتحقق الانتصار، وتقر عيون المسلمين بنصر الله، ينصر من يشاء، وهو العزيز الرحيم.

إنها لا تحارب بالعمارات والعقارات، والفنادق والسيارات، والصحف والمجلات، والتلفزيون والإذاعات، ولا تحارب بالدخل والإيراد، وتضخم الميزانية وحركة التصدير والتوريد، والمرافق العامة والمنشآت الجميلة، والتجارة المزدهرة، والسوق العامرة النافقة، والمحلات التجارية الكبرى، والبواخر المحملة بالبضائع، والذهب الاحتياطي في البنوك، والأسهم الكبيرة في المصارف والشركات، والرحلات الجوية إلى روما وباريس وبيروت، فحسبك ما كان عليه الفرس والروم في زمن البعثة المحمدية من زينة وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد، فلم يغن عنهم شيئا، وما كانت عليه فرنسا – في الزمن الأخير– من حضارة زاهية مزخرفة رقيقة، وأسواق عامرة، وسمعة طيبة، فلم تغن حضارتها وأسواقها وسمعتها من جحافل ألمانيا شيئا، وما عليه الآن أمريكا من قوة وسيطرة وتجارة ونفوذ، وحياة ارتفع مستواها وتنوعت مطالبها ورقت حواشيها وكثرت ملاهيها فلم يغن عنها مستواها الرفيع، وقوتها السياسية والعسكرية، وتجارتها العالمية، ونفوذها الكبير، وأساطيلها البحرية المشهورة، وغاراتها الجوية، وقنابلها المحرقة، وغازاتها السامة، وحملاتها الوحشية الانتقامية من الثوار الفيتناميين شيئا.

[١] من غزاة الهند المسلمين وملوكها الفاتحين.

www.abulhasanalinadwi.org

إنها سنة الله في الخلق، وهي لا تفرق بين مسلم وكافر، ولا تميز بين عربي وعجمي ﴿من يعمل سوءا يجز به، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾[1].

لقد كانت جيوش ألمانيا تحارب بنشوة غريبة، وعاطفة قوية، وروح معنوية عالية، حينما كانت فرنسا غارقة في لهوها، عابثة بأموالها، معجبة بآدابها وحضارتها، مزهوة بقوتها ووزنها السياسي، لا تملك عاطفة، ولا تحمل روحا قوية تهون عليها الشدائد، وتكهرب طاقتها الكامنة وتأخذ بيدها في البأساء والضراء، وحين البأس.

وهذه هي قصة الفيتناميين، فإنهم يحملون من الروح المعنوية والوعي الحربي، وعاطفة الأخذ بالثأر، ما لا تملكه أمريكا –رغم كل ما فيها– والنتيجة معلومة ظاهرة لا تحتاج إلى بيان.

إننا نستحي كثيرا بسرد هذه الأسماء، وضرب المثل بالشعب الفيتنامي أو الألماني، لأحفاد محمد الفاتح، وصلاح الدين، ولكنه حضيض وقعنا فيه ورضينا به ووضع قبلناه وعشنا فيه، وصورة مشوهة أحببناها ناسين وجهنا الحقيقي وسيرتنا الأولى.

إن عنصر الحياء هو العنصر الوحيد الذي ينعش الرفات، ويحي الأموات، ويجعل الرجل الخامل المتكاسل يثور كالليث، وينقضّ على عدوه كالصقر، فليعن العالم الإسلامي والشعوب المسلمة بهذا العنصر الذي تضاءل واضمحل، وتقلص وانكمش، أكثر من أي عنصر آخر.

إن هذا العنصر، عنصر هام أساسي في الحروف، وركن شديد تأوي إليه الشعوب، إنه يمسح هذا الغبار، الذي يتراكم على الأمم الضعيفة الصغيرة بعض الأحيان، فتأتي بالعجائب، وتصنع المعجزات، وترضى بموت

---

[1] النساء، الآية: ١٢٣.

www.abulhasanalinadwi.org

الشرف أو لحياة الأسد الغيور، والليث الهصور، مقابل لقمة العيش وتمديد أجل الحياة، حياة الذل والخضوع، والاستسلام والخنوع.

إن العالم الإسلامي أصيب بنقصان في هذه الفيتامينات الروحية، والقلبية والعصبية – إذا لم نقل أنه فقدها– منذ زمن طويل، فأصبح مشلول القوى، عاطل الإرادة والتفكير، وفاقد الهمة والطموح، لا تثيره محنة، ولا يهزه "تأديب" ولاتجرحه إهانة، ولا يستفزه عدوان.

فليكن تركيزنا على هذه الناحية، وضغطنا على هذه النقطة، والضرب على ذلك الوتر الحساس، من أوليات الأمور التي نتدارسها، ونعالجها حول نكبة ٥ حزيران، والله المستعان.

www.abulhasanalinadwi.org

دولة لا تغرب عنها الشمس

إننا في حياتنا الشخصية والاجتماعية والسياسية – نعالج الأغراض بالأغراض، ونعالج الأنانية بالأنانية، والطمع بالطمع، والخيانة بالخيانة، والظلم بالظلم، والإثم بالإثم، فتصبح الحياة كلها غاية موحشة مظلمة لا توجد فيها غير الذئاب والكلاب، والأسد والدباب، وغير الأحراش والآجام، والأوحال والمستنقعات، وتصبح الدنيا كلها مسرحا تتصارع فيه الأغراض، وتتشابك فيه المنافع، إننا نقول: منينا بهذه الخسارة لخيانة فلان، ومؤامرة فلان، وإهمال فلان، وجناية فلان، ولكننا لا نعلم أننا منينا بهذه الخسائر بمجرد تلك الأغراض الشخصية والفردية، والحزبية والقيادية، التي تتحكم في جميع مصالحنا، ومرافقنا العسكرية والمدنية، وتتحكم في مخابراتنا وفي قيادتنا العربية "الموحدة" وتتحكم في ولاة الأمور وحكام البلاد، ورؤساء الجمهوريات، بمثل ما تتحكم في أوساط الناس وعامة الشعب، أو تتحكم في رب البيت ورجل الشارع.

إن هذه الأغراض تتحكم في مدرس كلية وأستاذ جامعة، فيروق له أن يتخطى جميع الحدود، ويهضم جميع الحقوق، ويغض النظر عن كل شيئ، ويستغل كل شيئ، حتى يصل إلى مقامه اللائق، في الكلية والجامعة، حيث يتقلب في أعطاف النعيم، ويعيش عيشة الأمراء وكبار الوزراء.

وتتحكم هذه الأغراض في ضابط صغير بدأ يحلم "بالرئاسة" رئاسة جمهورية اشتراكية تقدمية مثلا، أو بدأ يسعى للوصول إلى درجة ضابط كبير، صاحب الأوسمة الرفيعة والبطولة الفذة من غير حق، فيستغل جميع

www.abulhasanalinadwi.org

الفرص ويتآمر على سلامة البلاد، ويستعين بالأعداء، ويقف بوطنه وبلده وشعبه على فوهة بركان لمجرد الفوز بالمرتبة الأولى أو الثانية.

وتتحكم هذه الأغراض في حارس مركز استراتيجي كبير، فتتراءى له الدنيا حلوة راقصة، وينساق مع أوهامه وأحلامه، فيرى أن اللذة القادمة والمتعة الرخيصة طوع أمره، ورهن إشارته، فيبيع الأسرار بثمن بخس.

وتتحكم هذه الأغراض في حارس مركز استراتيجية جمهورية، فيكمع في البلاد المجاورة، ويسيل لعابه على خيرات الآخرين وتشتد فيه شهوة الحكم وشهوة المدح والإطراء فلا يبالي بالملايين من الضحايا، ولا يبالي بالرؤوس المهشمة والأجساد المحرقة، ويقامر بكرامة بلاده.

إن ٩٩ في المائة من الحروب والمعارك والتعذيب والاضطهاد والشر والفساد، يرجع إلى الأغراض، أما "الضمير" و"المبدأ" و"حقوق الإنسان" و"من أجل الشعب" و"في سبيل الشعب" و"باسم الشعب" فهي ألفاظ فارغة، وكلمات معسولة، لا يراد بها وجه الحق، بل إنها ستائر تلقى على هذا الوجه القبيح من الأغراض، لئلا يفتضح الأمر، وينكشف السر.

إن هذا الحرص الشديد على زعامة الشعوب العربية المؤمنة لا يتصل – من قريب أو بعيد– بالإيمان العميق بالمبادئ، والإخلاص الكامل في الجهود والأهداف، إنها زعامة في سبيل توزيع المنافع والأرباح، والمناصب والجاه، إنه تسابق إلى الأوسمة والشارات، والأسماء والشعارات، وكسب الجماهير "الثائرة" للتصفيق والهتاف على الوعود المعسولة، والتهديدات المجلجلة، والخطب الرنانة الطنانة، والأحاديث الرخيصة الرصينة، على أمواج الأثير وشاشة التلفزيون.

www.abulhasanalinadwi.org

إن "الأغراض" هي التي أضاعت المسجد الأقصى، وأراقت الدماء في غزة وسيناء، وأذلت رقاب المسلمين في العالم، وأنشأت الفوضى السياسية والخلقية في البلاد العربية "الاشتراكية" وتركت القوى العربية تقاوم وحدها العدو المشترك.

فهل هناك طريق للتخلص من هذا الداء؟

إن طريق الخلاص قريب وبعيد، وسهل وعسير في نفس الوقت، إنه قريب منا ومن أرضنا ومن تاريخنا، ومن دمائنا وعروقنا، بعيد عن القيادات التي لا تعرف غير شكوى في مجلس الأمن، بعيد عن هذا الأسلوب الرخو الناعم، الرقيق من الحياة، التي لا تستطيع أن تواجه الشدائد وتركب المخاطر وتخوض المعارك.

إنه سهل لا نحتاج إلى أن نبحث عنه في تركستان والقفقاز والهند والسند، فهو في متناول اليد، والسبب الوحيد إننا لم نسر على هذا الطريق منذ زمن بعيد، فأصبح غريبا علينا، وأصبحنا غرباء عليه.

إنه طريق التضحية والإيثار ونكران الذات، والكفاح الشاق المضني على درب الحياة، إنه طريق الاحتمال والصبر، وكبح جماح النفس، وإيثار الآجل على العاجل، والالتحاق بركب الصحابة والتابعين على صعيد الدعوة إلى الله ورسوله.

إن هذا الطريق لا مكان فيه للأغراض، فإن الإخلاص لله يعارض الأغراض المادية على طول الخط، فإذا دخل الإخلاص من باب واحد خرجت الأغراض من باب آخر.

وقد روى المؤرخون من العجائب والنوادر في الإخلاص ولتجرد عن الأغراض ما يكشف سر هذه القوة والنصر، والعزة والكرامة، والهداية والقيادة، ويعجز التاريخ البشري عن نظائره على طوله وامتداده.

www.abulhasanalinadwi.org

فقد يغنم جندي في المدائن تاج كسرى وبساطه، وهو يساوي مآت الألوف من الدنانير فلا تبعث به يد، ولا تشح عليه نفس ثم يسلمه إلى الأمير، ويرسله الأمير إلى خليفة المسلمين فيتعجب ويقول: إن الذين أدوا هذا لأمناء.

ويعزل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: خالد بن الوليد، وهو في غمار المعركة عن منصبه العسكري الكبير، وهو منصب "القائد الأعلى للقوات المسلحة" في التعبير الحديث، فيقبل أمر العزل عن طيب خاطر وينقاد للحق، ولا يعبث به الهوى شأن القادة والزعماء، ولا يضعف ولا يخور في القتال، بل ظل يجاهد بنفس القوة والعاطفة والنشاط كأنه لم يعزل عن هذا المنصب، ولا أتاه أمر جديد.

فلو سمح للأغراض - لا قدر الله- أن تعمل عملها في ذلك الزمان، وأرخى لها العنان، لما كان الإسلام وما كانت مصر والشام، وثارت العصبيات القبلية، والوطنية والجنسية، واستبد كل امرئ برأيه وحكمه وهواه، واحتدم التنافس والتباغض والتحاسد بين مختلف الطبقات والفئات، وضاعت هذه البلاد كما ضاعت الأندلس وفلسطين.

إن الإخلاص أنقذ هذه الأمة دائما من الهبوط والتردي وأسعفها في أيام المحنة، وأبان لها معالم الطريق، أما الأغراض فقد حالت - دائما وأبدا- دون رؤية الحقائق، وأعمت القلوب والبصائر، وأرغمت أبناءها على سخافات لا يتصورها العقل، وتصرفات صبيانية وألعاب بهلوانية تذر الرماد في العيون، وتلقي الغشاوة على الأبصار، كما حدث عند إغلاق خليج العقبة، ومضايق تيران وحرب ٥ حزيران.

إن الإخلاص والتجرد عن الأنانية والأغراض، حاجة الأمة الأولى في كل عصر ومصر، وكل زمان ومكان، فإن تغيير اللافتات والواجهات،

www.abulhasanalinadwi.org

وتبديل الشعارات والهتافات، واختراع التعبيرات وضخامة الحروف والكليشات، لا يقدم ولا يؤخر في القضية ما دامت الأغراض تتحكم في النفوس والقلوب، وما دامت الأنانية وتعبد الذات، وتقديس الأصنام البشرية والهياكل الإنسانية متغلغلة في الأحشاء، جارية مع الدماء، غارقة في الأنفس والأرواح، وما دامت المصلحة الشخصية، والمتعة المادية، والحياة الرخيصة التافهة، وتقليد الغرب "التعس الشقي" عن فهم ومن غير فهم، والغرام بفنون اللهو وألوان الطرب أقصى ما تهفو إليه القلوب وتشرئب إليه الأعناق، وغاية ما يحلم به أبناء الفاتحين العرب، وأشبال الأمة الإسلامية في الشرق والغرب.

www.abulhasanalinadwi.org

كيف نؤدي دورنا في بناء العالم المعاصر...؟

إن الحياة تغيرت فيجب أن نتغير معها، ونسايرها إلى آخر الشوط، ونهاية المطاف، تلك هي خلاصة ما يقوله دعاة التجدد والتغريب في هذا الزمان، وعلينا أن ننظر في صحة هذه النظرية قبل أن نحكم عليها "بنعم" أو "لا".

إننا نجيل البصر في العالم المعاصر، ونجول في عواصم العالم الكبيرة المشهورة، فنؤمن بصدق هذه النظرية، ونرى أن الدنيا تقدمت تقدما كبيرا في جميع نواحيها ومرافقها، وأصبحت غير ما كانت عليه قبل عقود من السنين فضلا عن الأجيال والقرون، إذاً كيف يجوز لنا أن نقف جامدين، متزمتين نحو هذا التقدم المشاهد الملموس؟

إن المنطق والعقل، والبداهة والتجربة كلها تقتضي أن نغير موقفنا ونغير نفوسنا وأفكارنا حتى ننسجم مع هذا التطور المدهش السريع، ولا نتخلف عن الركب، ولا نحرم المتع واللذات، والوسائل والتسهيلات التي توفرت وانتشرت في جميع البلاد والأقطار، إن معنى هذا أن الحالة الاقتصادية والأوضاع المادية، هي التي تولد الأفكار، وتنتج النظريات، وتصنع الاتجاهات؟ ومعنى هذا أن الصناعة هي التي تنشئ الحضارة وتنشئ المفاهيم، وتحدد الاتجاه، وتقرر الأهداف.

هذه فلسفة آمن بها الغرب والشرق، وأجمع عليها الطبقة المثقفة الذكية في العالم أجمع، حتى أصبحت "حقيقة مسلمة" لا تحتاج إلى جدل

www.abulhasanalinadwi.org

ونقاش، حتى إن جميع الدراسات العلمية والحركات الفكرية في الغرب قامت على أساسها...

وهذه في نفس الوقت نقطة لا يقبلها الحق والحقيقة في أي حال من الأحوال، والإسلام يعارض هذه النظرية على طول الخط.

الصناعة في الإسلام لا تكيف الحياة، ولا تصنع النظريات، والأفكار، بل إن النظريات والأفكار هي التي تسخر الصناعة وتكيفها كيف تشاء.

"الأهداف" – في الإسلام– هي التي تتمتع بالحكم الأخير والقول الفصل– والكلمة المسموعة في جميع مرافق الحياة ونواحيها أيا كان نوعها، ومهما كانت ضخامتها ومهما كان نفوذها وفعاليتها.

إن قيمة الصناعة عنده نسبية (Relative) إنها مقبولة ومرحب بها ما دامت تخدم مصالحه، لا تطغى على مثله وأهدافه، ونظرته وأفكاره، ولا تمسها بسوء، أما إذا هي طغت عليها، وتعدت حدودها فهي مرفوضة مردودة، وقد تجلت هذه النظرية في الآية التالية ﴿ولأمة مؤمنة خير من مشركة، ولو أعجبتكم، ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم، أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه﴾[١].

وبذلك تنتهي خرافة (الصناعة الخلاقة) للنهاية.

وظهرت هذه النظرية القرآنية أكثر صراحة في آية أخرى.

﴿ويسئلونك عن الخمر والميسر، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما﴾[٢].

إن القيم والأقدار لا تتغير بالوسائل والعمران، والنهضة الصناعية.

---

[١] البقرة: ٢٢١.

[٢] البقرة: ٢١٨.

www.abulhasanalinadwi.org

فالذي يريد أن يغيث ملهوفا أو ينصر مظلوما أو يطعم جائعا مسكينا يستوي عنده العربة والطائرة، إلا أن الطائرة تعجل هدفه وتيسر مهمته، أما إذا لم يرد شيئا، ولم يحمل عاطفة، فإن الطائرة والعربة حتى الصاروخ وما فوقه لن يقدر على أن يثير في نفسه ذرة من شعور دبيبا من ألم.

والذي يريد أن يكتب شيئا يستوي عنده قلم الرصاص، والقلم الناشف، و"باركر" من أعلى الأنواع، إن "باركر" لا يدفعه على أن يكتب في موضوع نافع فاضل، كما أن قلم الرصاص لا يرغمه على أن يكتب في موضوع رخيص سافل، الاعتبار هنالك بالفكرة التي آمن بها صاحب القلم – أيا كان نوعها، وأيا كان لونها– والعاطفة التي حملها في صدره.

وقد تجتمع الوسائل عند أناس يختلفون في المبادئ والعقائد فلا توحدهم هذه الوسائل ولا توحدهم الصناعة على مبدأ واحد، وذلك ما أبان عنه القرآن قائلا.

﴿كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾[1].

إنه يقول أن هذه الوسائل عامة مباحة للمؤمن والكافر، هذا يستعملها في خير، وذاك يستعملها في شر.

﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾[2].

إن الصناعة – من صناعة الأقلام إلى صناعة الصواريخ والأقمار– لا تملك قدرة على إنشاء نهضة وتقديم مثل، وتوجيه أذهان، إنها آلة صماء في يد من يحملها ويستعملها.

---

[1] سورة بني إسرائيل: ٣٠.

[2] سورة الأعراف: ٣٢.

www.abulhasanalinadwi.org

فالقول بأن الحياة تغيرت، فيجب أن نغير نظرتنا إلى الحياة حتى ننسجم مع هذا التطور، ولا نتخلف عن الركب، قول لا أساس له في عالم الواقع، إنه سحر هذه الحياة الزاهية المتحررة الخلابة. التي عبر عنها القرآن بكلمة بليغة وجيزة (ولو أعجبتكم).

إن الإعجاب بهذه الحضارة التي نشاهدها في الغرب هو الذي يدفعنا على التقليد الأعمى، ويخيل إلينا من ضجيج الماكينات وهدير الآلات أن الصناعة هي التي انتجت هذه الحضارة مع أن الأمر بالعكس.

إن الدنيا لا تتغير في الخارج أبدا، إنما تتغير في داخل نفوسنا أولا ثم تبدو نتائج هذا التغير النفسي العميق على السطح المادي الظاهر، يقول الله تبارك وتعالى:

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[1].

إن الحياة لم تتغير حتى نحتاج إلى تغيير، إننا نحتاج فقط إلى تصحيح مفاهيمنا وأفكارنا واتجاهاتنا، حتى نستعمل هذه الوسائل في صالحنا كما يستعملها غيرنا في صالحه.

نستعملها في بناء مجتمع نظيف كريم، وأسرة صالحة، وحكومة رشيدة، كما يستعملها أعداؤنا في الضلال والإضلال، والفساد والدمار، وإثارة الغرائز والشهوات، وإشاعة المنكر والفحشاء.

المصيبة أننا – في الشرق– نهتم بالوسائل والمظاهر أكثر مما نهتم بالروح والحقيقة، والهدف والغاية، والدعوة والرسالة، فكانت النتيجة أن هذه الوسائل بدأت تتحكم فينا، وتملي إرادتها علينا بدلا من أن نتحكم فيها، ونملك زمامها ونسيطر عليها ونوجهها إلى حيث نشاء.

---

[1] سورة الرعد: ١١.

www.abulhasanalinadwi.org

إن كثيرا من الشباب المثقفين، وكثيرا من الموجهين والمفكرين، والزعماء السياسيين، يظنون أن هذه الوسائل المريحة هي الحضارة، وأصبحت المقاييس تتغير حسب الأذواق، فالحضارة عند البعض رفع مستوى المعيشة – أو بتعبير أصح– فندق كبير مزود بأحدث الأجهزة، متوفر بكافة التسهيلات، والحضارة عند البعض رحلات إلى رومة، وباريس، وعند الآخرين تقليعات وموضات، مع أن كل هذه الأشياء لا صلة لها بالحضارة، إنها أدوات في أيدي المتحضرين، خلقها الله سبحانه للبشر لينظر كيف يعملون، قائلا في كتابه المجيد: ﴿هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾[١]، وقال على لسان قوم موسى عليه السلام ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾[٢].

وقد ثبت من هذا أن "الدعوة" إلى التغير مع تغير الزمن دعوة غير علمية، وغير مبنية على الأصالة والتعمق، إنها تبدو بريئة في أول أمرها، ولكن سرعان ما ينكشف أمرها ويفتضح سرها، إنها تدل على أننا استوردنا هذه الفكرة من الغرب ضمن مشحوناتنا الأخرى من غير أن نفكر فيها.

فإذا كانت السيارة تحمل المرء في لندن أو شيكاغو إلى صالة رقص أو حانة خمر..ظننا من شعور أو من غير شعور أن كل من يشتري هذه السيارة لا بد له أن يتوجه حيث ما توجه إليه الانجليزي والأمريكي.

وإذا كان التلفزيون في الغرب أداة للعبث الحرام ظننا أنه على كل من يصنع هذا التلفزيون أو يستورده أن يقدم نفس البرامج، كأن السيارة لم تخلق إلا ليتوجه إلى البار، وكأن التلفزيون لم يصنع إلا للخلاعة والمجون، وهذا ينطبق على سائر مرافق الحياة، إننا لم نستورد الوسائل فحسب، بل إننا استوردنا معها الغايات والمناهج، والفكرة والروح، والذوق، وتلك هي الطامة الكبرى، والبلية العظمى.

---

[١] سورة الملك: ٣.
[٢] سورة القصص: ٧٧.

www.abulhasanalinadwi.org

وهكذا حدث في التربية

التربية في جميع الأقطار أداة لتوجيه الشعب إلى غايات معلومة، واضحة المعالم، ظاهرة الملامح، فالتربية في الدول الاشتراكية غير التربية في الدول الغربية،بل إن التربية في أمريكا،غير التربية في انجلترا، والتربية في الصين الشيوعية غير التربية في الاتحاد السوفيتي، وذلك لأن لكل دولة أغراضا ومصالح وأهدافا يسخر لها جميع أجهزة البلاد بما فيها التربية والرياضة، والمسرح والسينما والإذاعة، أما نحن في الشرق فقد نستورد هذه المناهج التربوية والكتب التربوية (بنقلها إلى العربية) بجملتها، مع أنها تعارض أهدافنا الإسلامية الواضحة ومثلنا العليا ومصالحنا الدينية كل المعارضة، وتثير صراعا فكريا واضطرابا عقائديا بطبيعة الحال.

وكل هذا ناتج من هذا الوهم الخاطئ بأن الصناعة والنهضة المادية هي التي تغير ملامح المجتمع، وتفتح آفاق الفكر، وتمنح الأفكار والنظريات الفاضلة، وإننا نحتاج إلى أن نتغير ونتطور مع الزمن حتى لا نتخلف عن ركب "المتحضرين" ونتقي تهمة "الرجعيين".

إننا مهما جمعنا من وسائل وأسباب – نحتاج إلى أن نكون أكثر أصالة وتعمقا، وأكثر ذكاءا وفراسة، وأكبر صبرا وهدوءا، في مواجهة هذا السيل المتدفق الفوار، الذي ينهمر علينا من الغرب، فنأخذ منه وندع، ونترك ونختار، نأخذ الآلات المجردة، وندع الأفكار اللاصقة، نختار العلوم التطبيقية ونسخرها للرسالة العظيمة التي آمنا بها، والدعوة التي حملناها.

إننا بذلك نقدم شيئا مهما خطيرا، في مضمار العلم والثقافة للعالم المعاصر، شيئا جديدا يسمو على هذه الأفكار والدعوات العصرية كلها، ونصحح اتجاه الإنسانية من جديد لتسير على درب مستقيم لزمن آخر طويل لا يعلمه إلا الله.

www.abulhasanalinadwi.org

المنهج الإسلامي للحكم

المنهج الإسلامي للحكم أو للسياسة والاجتماع لا يحتاج إلى بحث وتدقيق، بمثل ما يحتاج إلى تنفيذ وتطبيق، ولا يحتاج إلى تصريحات وإعلانات، ومؤتمرات واجتماعات ودراسات ومنا قشات، أكثر مما يحتاج إلى إخلاص في القول والعمل، وإيمان راسخ عميق بالمبدأ، واقتناع واف كامل بسمو الهدف، ودافع قوي على الإقدام، وولاء صادق عملي بالإسلام وسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

المنهج الإسلامي، منهج مستقل، منهج مختلف، منهج أصيل ليس بينه وبين المناهج الوضعية وجه شبه أو نسب، فبينما المناهج الأخرى أو الديانات السائدة الأخرى، تختلط مع الشعوب البشرية العامة في سوق المادة والمعدة، وتجتمع معها على مائدة واحدة، وتتمتع معها بملذات الحياة المحرمة بحرية تامة، نرى الإسلام ينفصل عن هذه الشعوب المادية من أول الطريق، احتفاظا بسماته وخصائصه، وغيرة على دين الله واستمساكا بالعروة الوثقى، وكراهية للمناهج الباطلة والدعوات المزورة الكاذبة، وذلك هو المراد بما جاء في الحديث الشريف من مخالفة اليهود والنصارى والتشديد على النهي عن متابعتهم ولو في الأمور العادية البسيطة ﴿وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم﴾[١].

إن هذه الأحكام الدقيقة التي نجدها في كتب الفقه الإسلامي عن الطهارة وآداب الأكل والشرب والدخول والاستئذان، والكلام، والحلق

[١] سورة النور، الآية ١٥.

www.abulhasanalinadwi.org

والقص والقصر، ونحو ذلك من أمور قد تبدو أنها لا تتصل بالعقيدة والمبادئ هي نفسها أبلغ دليل على اتجاه الشريعة الإسلامية ونظرة الإسلام الشاملة المتكاملة إلى الحياة، فإذا لم يكن المراد أن يختلف المسلمون عن غيرهم على مسيرة التاريخ ودرب الحياة، وينفصلوا عنهم لا في العقائد والمبادئ والنظريات العلمية والأفكار الثقافية فحسب، بل يختلفوا عنهم في كل شيئ، ما كانت الحاجة إلى كل هذا "اليسار واليمين" في الأكل والشرب والقيام والقعود وما كانت الدعوة إلى "الوتر" في مثل هذه الأمور، وما كان الاقتضاء إلى طريقة خاصة للطهارة والاقتصار عليها، والاهتمام بالقبلة واحترامها حتى في غير العبادة.

إن أمثال هذه الأحكام والآداب والأمور، – وهناك كثير غيرها– ليست بدافع الفضول، أو بدافع التعصب والتزمت، أو بدافع الحقد والمقت، إنما شرعت للأمة الإسلامية بحكمة بليغة وحجة بالغة وهي الحفاظ على هذا المنهج الكريم، المستقل الفريد، الأخير الذي تتوقف عليه سعادة البشرية، ليعيش المسلمون بين مواطنيهم من أبناء الديانات الأخرى أو المناهج السياسية والاجتماعية الأخرى، كدعاة تتضح ملامحهم بالصدق وتشرق جباههم بنور الإيمان وتمتلئ قلوبهم بالسكينة والتقوى ﴿حنفاء لله غير مشركين به﴾[1].

وهذا هو السر في الإعادة والتكرار، والشرح والتفصيل في وصف المؤمنين في القرآن الكريم، وعد خصائصهم وحسناتهم وفضائلهم، والغرض من هذا كله أن لا يقع بصر أحد على مسلم حتى يعرفه بأنه مسلم، يعرف ذلك عن وجهه وعن شمائله وعن طريقته وآدابه، ولا يحتاج إلى النظر في "هويته" أو "بطاقته" والاستفسار عن دينه وعقيدته.

[1] سورة الحج، ٣١.

www.abulhasanalinadwi.org

هذه الغاية العظيمة الكريمة هي التي جعلت المنهج الإسلامي للحكم كمنهجه في سائر شئون الحياة والأمور العامة منهجا مستقلا، أصيلا يمشي على قدميه، ويزاحم بمنكبيه، وينظر بعينيه، لافتا للأنظار من غير تصريح وإعلان، ناطقا على جدارة الإسلام وخلود الإسلام من غير منطق وكلام، ودعاية وإعلام.

هذا المنهج لا يترك الحبل على غاربه، ولا يسمح لأي ناحية من نواحي الحياة بأن تكون حرة لا قيد عليها، بل إنه يهيمن – وفق الغاية التي ذكرناها– على جهاز الحكم بأسره، فإذا أردنا أن نختار المنهج الإسلامي للحكم، وجب علينا أن نأخذه كله، نأخذه جملة واحدة، فلا يجوز لنا أن نأخذ منه ما ساغه الهوى، أو اقتضته المصلحة، ودعت إليه الحاجة، بل نأخذه بحذافيره وبرمته، ونطبقه على نظام التربية ونظام الاقتصاد ونظام الصناعة.

أما في ناحية التربية فالمطلوب منا أن نضع من الثانوية إلى الجامعة جهازا جديدا لتربية النشء على الطراز الإسلامي، و أن نكفر بكل هذه المبادئ والنظريات التربوية والأفكار الجاهلية التي استوردناها من أعداء الإسلام، كما نستورد أقلام الحبر، وهذا الصوغ الجديد، لا أعني به التغيير الشكلي في المواد المدرسية – رغم أهميتها– بل أريد به تطبيق المنهج الإسلامي على كل جزء من أجزائه، ولو كان عاديا بسيطا إلى أن يكون جهازنا التربوي كفيلا بتخريج شباب أكفاء يبيضون وجه الإسلام، ويعيدون مجد الإسلام، وحتى يعترف الأعداء بأن جهازنا التربوي فريد مستقل، لا يستورد ولايقلد.

أما نظام الاقتصاد فهو بدوره يحتاج إلى سبك آخر جديد يخلصه من شرور الربا والقمار، والعقود والمعاملات التجارية التي لا يسمح بها

www.abulhasanalinadwi.org

الإسلام، ثم إنشاء حياة مثالية ومجتمع مثالي لا يطغى عليه الاقتصاد، ولا تطغى عليه المعدة والمادة، والتكاثر والتنافس، والسباق المذهل نحو أهداف خيالية، مثل "رفع مستوى المعيشة".

إن نظامنا الاقتصادي له دخل كبير في بث الوهن والضعف، في جسم العالم الإسلامي، فإذا قوم هذا النظام بمقياس المنهج الإسلامي الصحيح زال هذا الضعف الطارئ الدخيل، وعاد كما كان سليما قويا بعيدا عن الشبع المفرط، والسمنة الزائدة، وتحررت البلاد من هذا التفاوت المالي بين فئاتها المختلفة وأصبحت في مأمن من عواقبه السيئة في المجتمع ومصير الدولة.

ويأتي دور الصناعة وهي ناحية مهمة في حياتنا اليوم، وأقل ما يقال عنها في هذه السطور هو أن نفرق فيها بين صناعة لازمة، وصناعة زائدة عن الحاجة، وبين صناعة نقيمها في بلادنا وصناعة نستوردها من الخارج، وأن نركز أكثر قوتنا على مايسمى **Applied Science** صناعة تطبيقية مجردة، هذا النوع من الصناعة هو أنفع للعالم الإسلامي اليوم، وفي كل هذا التمييز والتطور والتقدم والتأخر نحتاج إلى مقياسنا العادل الصحيح، المقياس الالهي الذي لا يخطئ ولا يتغير.

ذلك هو "المفتاح المفقود" أو ذلك هو المصباح الضائع مصباح علاء الدين، الذي قرأنا قصته في ألف ليلة وليلة، المصباح الذي لا يغني عنه ألف كتاب وخطاب، وألف جامعة ومؤتمر.

إن هذا الباب المغلق بيننا وبين التاريخ لا يفتح أبدا، ولو قدمنا إليه ألف دليل وعرضنا عليه ألف مذكرة، وألف احتجاج، إنه لا يفتح إلابالإخلاص الكامل، والتنفيذ الدقيق، والتغيير العام الشامل في جميع مرافق الحياة، ومناهج الحكم ونواحي الاجتماع.

www.abulhasanalinadwi.org

النظام الإسلامي في معركة الأفكار

إذا أردنا أن نواجه الأنظمة السياسية المعاصرة بفاعلية أكثر، وأن نكسب لذلك شبابا لا يميع ولا يذوب، ولا يسالم الأعداء، ولا يفتر في النضال والكفاح، والجهاد والفداء، وجب علينا أن نستعمل قوة الإسلام الذاتية في هذه المعركة، فإن الإسلام لم يأت إلا ليسود، ويحكم، أو يوجه، وينتصر على الدعوات الاجتماعية والأنظمة السياسية التي تزاحمه، ثم يشق طريقه إلى الإمام معتمدا على قوته الذاتية ومنهجه الخاص في السياسة.

هذه القوة الذاتية في النظام الإسلامي تأوي إلى ركنين شديدين: أولهما: الثقة بالإسلام كمنهج الهي تتوقف عليه سعادة الإنسان، وثانيهما: كراهية الأنظمة الباطلة (غربية كانت أم شرقية، رأسمالية أو اشتراكية،قومية أو علمانية، شيوعية أو ماركسية) كراهية عقائدية طبيعية، تمتزج بالنفسية والروح، والعقل والعاطفة، واللحم والدم، وذلك على أساس أن هذه الأنظمة تحول دون إقامة النظام الإسلامي، وتطبيق منهجه، وتنفيذ شريعته.

فالركن الأول (يعني الثقة بالنفس، والاعتماد على ما جاءت به الشريعة) يمنعنا من الانسياق مع التيارات الجاهلية، ويحافظ على إيماننا وعقائدنا، ولكنه لا يتقدم إلى أكثر من ذلك، والمعلوم أن الجمود لا يؤدي إلا إلى الزوال، والمرء الذي يدافع عن نفسه فحسب تخور قواه وتنهار أعصابه في النهاية حتى يستسلم للعدو، ولذلك أردفه الإسلام بركن آخر يقوى أوله ويشد عضده، وهو كراهية الأنظمة الجاهلية، بجميع ألوانها

www.abulhasanalinadwi.org

وأشكالها، وفي جميع عصورها وأدوارها، ومقت الذين تولوا كبرها، وحملوا لواءها مقتا شديدا، وبذل كل الجهد والوقت لإقصائهم عن مسرح القيادة حتى لا يستطير شرهم، ولا ينتشر مذهبهم المادي ومنهجهم الحيواني في النوع الإنساني الذي أكرمه الله بالأمانة والخلافة، والنبوة والرسالة، وشرفه بالإيمان والعرفان والحب والحنان.

إن هذا المنهج الإسلامي لا تقتضي به استراتيجية المعركة والعقل العملي فحسب، بل إنه من غايات الإسلام العظيمة التي نص عليها القرآن، ولا يكتمل بغيرها الإيمان - يقول الله تبارك وتعالى يصف المؤمنين: ﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ الآية[١].

ويقول:

﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم﴾[٢].

ويقول:

﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوادون من حاد الله ورسوله، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه﴾ الآية[٣].

ويقول:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا، ودوا ما عنتم، قد بدت البغضاء من أفواههم، وما تخفي صدورهم أكبر﴾[٤].

[١] سورة الفتح: ٢٩.
[٢] المائدة: ٥٤.
[٣] المجادلة: ٢٢.
[٤] آل عمران: ١١٨.

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول:

﴿ كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العدواة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾[1].

وذلك لأن القرآن يريد أن يغرس هذه المعاني في قلوب المؤمنين ويرسخها في أذهانهم حتى لا ينسوا دورهم العظيم في هذه المعركة، ولا يؤاخذوا على غرة.

أما في الحديث الشريف فقد جاء صراحة:

﴿ من أحب لله وأبغض لله فقد استكمل الإيمان﴾ أو كما قال عليه الصلاة والسلام، وأوجب على كل مسلم أن يجدد هذه المعاني في كل عشاء، فيقول في دعاء القنوت في صلاة الوتر (وهو واجب لا يصح بدونه الصلاة): ﴿ نخلع ونترك من يفجرك﴾ وهو أبلغ وأوضح في تنبيه الفكر وإيقاظ الشعور وإثارة العاطفة.

وجاء في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿ ما رأيته صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط، ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شيئ، فإذا انتهك من محارم الله تعالى، كان من أشدهم غضبا﴾[2].

وقد بات الأمر بالعكس في هذا الزمان، وظل المسلمون لا يغارون على أنفسهم، أو لا يغارون على شيئ كما حدث أخيرا وأصبح الاعتبار عندهم أكثر الأحيان بالأراضي والأوطان لا بالكفر والإيمان.

وورد في آثار أخرى:

---

[1] الممتحنة: ٤.

[2] عن الحسن بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم (الشمائل للترمذي).

www.abulhasanalinadwi.org

﴿ ومن مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من نفاق﴾[١].

﴿ وثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار﴾[٢].

و ﴿ من جاء مع المشرك وسكن معه فهو مثله﴾[٣]

إلى غير ذلك من آثار كثيرة في النهي عن التشبه بالكفار والأمر بمخالفتهم، لا في الأفكار والمعتقدات فحسب، بل في الآداب الاجتماعية أيضا، وليس الغرض منها إلا أن يتميز المعسكر الإسلامي عن المعسكر الجاهلي في كل شيء، ويعرف موقفه وخطه في معترك الأفكار أو في ميدان النضال.

وفي ذلك حكمة بالغة ورحمة شاملة، فإن هذه المخالفة لا تمنع الكيان الإسلامي من التميع والذوبان فحسب، بل تثير في المسلمين كراهية شديدة لنظام الكفر، والتمرد والعصيان، ورغبة ملحة في تغيير هذا النظام الفاسد، اقتداءا بسنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾[٤].

وتدلنا على تلك البذور التي تبذرها في قلوب المؤمنين نحو الجاهلية بأوسع معانيها، وجميع أبطالها وممثليها.

---

[١] صحيح مسلم– كتاب الجهاد.

[٢] متفق عليه.

[٣] زارد المعاد ج ١ ص ٢.

[٤] سورة الكهف، الآية ٦.

www.abulhasanalinadwi.org

﴿كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ، فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾[1].

فما دمنا لا نؤمن بقرارة نفوسنا أن هذه الأنظمة السياسية والاجتماعية تعارض إسلامنا على طول الخط، وتتربص بنا الدوائر، وتدبر لنا المؤامرات والدسائس، وتنتهز كل فرصة للنيل من الإسلام، والضرب على المسلمين، سواءا بالهجمات والغارات، أو بالإرساليات والبعثات، والمعاهدات والاتفاقات.

وما دمنا لا نؤمن أن هذه الأنظمة تعادي – أصلا– رسالة الله وشريعته الكاملة، وتريد القضاء على من يدعو إليها، وتعتبر الدعاة إلى الله ألدّ أعدائها وأكبر عائق في سبيلها لا تحدث فينا قوة المقاومة وقوة الهجوم، ورد فعل حاسم عنيف ينــزل بنا حالا في الصفوف الإمامية وخط النار.

إن هذين الركنين بمثابة جناحين للصقر، فإذا كسر منها جناح، لم يقدر على الطيران، وهذان الجناحان هما الحب في الله والبغض في الله، فإذا استويا عند المؤمن طار بهما ولم يبال.

أما نظرية التقارب والتعايش والمسالمة التي يؤمن بها أو يتظاهر بها – في تعبير أصح– المتغربون والتقدميون، فهي لا تستطيع أبدا أن تحل مشكلة التخلف والضعف والإنحطاط، وتنتصر في معركة الأفكار، وصراع الأنظمة والحركات، لأنها لا تقدر –أساسا– على منع الموجات، وصد التيارات، ومواجهة العدو في أرضه، وعقر داره، وأخزائه وتعريته، وكشف القناع عن أخطاره ومكائده.

فإذا دخل هذا النوع من الشباب الأعزل في معركة الحياة لم يجد ما يدافع به عن نفسه، فليس عنده ثقة بذاتية الإسلام، يحافظ بها على دينه

---

[1] سورة الفتح، الآية ٢٩.

www.abulhasanalinadwi.org

وثقافته، وليس لديه كراهية ومقت لأعداء الله وأعداء الإنسانية ينتصر بها على الباطل، فيذوب في نظامهم بطبيعة الحال، كما يذوب الملح في الماء، وذلك بخلاف أهل ذلك النظام، فإنهم يؤمنون بذاتيتهم ويتعصبون لنظرياتهم ويتفجرون بغضا وعداءا للدعوة الإسلامية والمنهج الإسلامي في السياسة والتربية والحكم ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾[1].

فلا بد أن نوسع إطار كراهيتنا لهذا النظام إلى حد يمنع ناشئتنا وشبابنا من تقليد هؤلاء "الببغاوات" و"الاقزام في كل صغير وكبير، وسواء في قطاع الأفكار والمعتقدات، أو في قطاع المسليات والكماليات، ونضع حدا على توريد البرامج الفنية ووسائل التربية، وأسباب الترفية والتسلية، فكيف يسعنا أن نتكفف أعداءنا لأسباب تافهة زائدة عن حاجاتنا كالكماليات، وأمور دقيقة حساسة كالتربية والاعلام، وهم يترقبون للفتك بنا في أي فرصة، ويرقصون فرحا على هزيمتنا في كل معركة.

إن نظام الإسلام السياسي لا يقوم على مجرد الدعوة، ولا يقع بالسلبية إنه يبث في أتباعه روح الكراهية والبغض نحو أئمة النفاق، والضلال والكفر والإلحاد، ودعاة الإباحية والحيوانية، والشذوذ والجنون ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون، إن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل سبيلا﴾[2].

ولذلك نجد القرآن العظيم يكثر من ذكر لعن المؤمنين على أمثال هؤلاء بجانب لعنه ولعن الملائكة والأنبياء.

---

[1] سورة آل عمران، الآية ١١٨.

[2] سورة الفرقان، الآية ٤٤.

www.abulhasanalinadwi.org

والفرق الأساسي بين نظام الإسلام السياسي والأنظمة الأخرى أنه لا يقتنع بالقوة السياسية ولا يحسبها أكبر همه ومبلغ علمه، ولا يريد مجرد الفوز في الانتخاب والوصول إلى مقاعد البرلمان شأن الحركات السياسية وأحزاب اليمين واليسار، "وأعداء الاستعمار"، فإن هؤلاء لا يمقتون الاستعمار أبدا، إنهم يطلبون وكالة الاستعمار ويطلبون حق التوزيع وحق التمثيل فحسب، ولذلك تراهم يفرقون بين استعمار واستعمار، فتارة يساومون هذا وتارة يساومون ذاك، فالاعتبار عندهم بشروط العقد أو الوكالة، وحاشا أن يفكروا في مقته وكراهته، وكيف يمقتونه وقد استعمرت أرواحهم وعقولهم وأفكارهم، وكيف يكرهونه أو يخاصمونه وقد أخذ منهم ميثاقا غليظا.

أما النظام السياسي في الإسلام، فإنه لا يعادي هذه الأنظمة ولا يصارع المذاهب السياسية والدعوات الجاهلية ليستمتع أهله بالقيادة ومنافعها، كما استمتع بها الذين من قبلهم، ويخوضوا كالذين خاضوا، ويسيروا على المسلك الذي سلكوه، ولو دخلوا جحر ضب لدخلوه، بل يعادي هذه الأنظمة ويقاوم هذه الحركات في سائر المجالات والجبهات، ويخالف أهلها من أول الطريق إلى نهاية الشوط. ويمقت احتلالهم الأراضي الإسلامية كما يمقت احتلالهم العقول الإسلامية، ويمقت احتلالهم أرواح الشباب وطاقاته قبل أن يمقت نهبهم ثروات البلد وخيراته.

فالذي يؤمن بهذه النظرية، وبهذا المبدأ، ويسير على هذا الخط يعتبر مرابطا على الثغر، يقظا واعيا لكل خطر، يصبر على أذاه، ويصبر على حرمانه من المنافع المادية، ولكنه لا يصبر على انتهاك حرمات الله، وتعدى

www.abulhasanalinadwi.org

حدوده ونقصان دينه، وينطق بلسان حاله قبل أن ينطق بلسان مقاله ﴿أينقص الدين وأنا حي﴾[١].

ويخرج من هذا النظام أكثر قوة وأقوى صمودا، وأعمق إيمانا، وأشد غيرة وحماسا، فلا تجد هذه الأنظمة فيه منفذا تدخل به، وثغرة تتسرب منها، وضعفا تستغله، بل تنعكس الآية ويقف النظام الجاهلي (بشقيه الغربي والشرقي) في موقف الدفاع ويرى في هذا المؤمن ونظامه الجديد خطرا على مكاسبه وانتصاراته وصولاته في أرض الإسلام.

إن هذا التحول، تحول المعسكر الإسلامي من خط الدفاع إلى خط الهجوم، واندحار المعسكر الجاهلي الحديث من خط الهجوم إلى خط الدفاع، تحول عظيم، وهو لا يمكن إلا بتحقيق تلك المعاني والمبادئ وإرساء نظامنا السياسي على هذين الركنين العظيمين والاستعانة بهذين الجناحين الكبيرين.

إنه منهاج لا تقتضي به – كما قلت – استراتيجية المعركة والعقل العملي، والتحول النفسي فحسب، بل إنه في ذات الوقت من غايات الإسلام العظيمة الكريمة، التي نص عليها القرآن، ولا يكمل بغيرها الإيمان.

---

[١] كلمة خالدة باقية، قالها سيدنا أبوبكر – رضي الله عنه– في فتنة الردة المشهورة، فقضى بها على هذه الفتنة.

www.abulhasanalinadwi.org

عاهة الشيوعية

إن عداء الشيوعية للدين وحقدها الشديد الدفين للإسلام قضية معروفة لدى الجميع، أما ذهابها بأمن الحياة ورخائها وسعادتها ونحسها على موارد البلاد وغناها، وزرعها وثمارها وعلى تجارة البلاد وانتاجها، وكبتها حرية العمل، وحرية الكفاح، وحرية التصدير والتوريد، وحرية الحياة العائلية والمنـــزلية وحياة المجتمع، وانكارهم للمعاني النبيلة مثل حب الأطفال وصلة الرحم ومعاشرة الاخوان، وفي اختصار العيش على هذه الكرة الأرضية كإنسان، فإن هذه القضية أو هذا الفصل الأسود الحالك من قصة التنازع الطبقي، والصراع الحيواني، والاستبداد الحزبي، فصل لم تعرفه البلاد "الغرة"... "الساذجة" "الآمنة المطمئنة" التي لم تكتو بنارها، ولم تجرب حظها في هذا "اليانصيب"، ولا أسرد هذا اللفظ عفوا وجزافا، فإن كثيرا من الناس في هذه البلاد يتسابقون ويتزاحمون على شراء هذه الآفة والعاهة، كأنه خير كثير حرموا إياه بينما سعد به الآخرون.

فهل هو خير كثر، أم شر مستطير؟

إن لنا جارة في شرق البلاد يقال لها "بورما" وهو اسم معروف، وعندكم جارات تبنت الشيوعية وافتخرت بها، ولا أسميها، أما "بورما" المسكينة المنكوبة بالماركسيين هؤلاء – الذين يستعملون أحيانا تعبير التقدمية والثورية والتحررية والعلمانية تقنعا وتسترا، وتفاديا من الصدام المكشوف، وتغريرا بالشباب الفج – فأحكي لكم قصتها، ومعذرة إلى الثوريين الماركسيين في درة الخليج التي يحلمون بها ويسيل عليها لعابهم،

www.abulhasanalinadwi.org

وإلى الشيوعيين المتسترين في مراكز الإسلام وحصونه ومعاقله (وهم فيها أكثر تسترا وتحفظا ومرواغة ونفاقا بحكم الوضع والمنطق والطبيعة) فإنها تفضحهم قليلا في قارعة الطريق. لقد كانت هناك تجارة زاهرة للمسلمين في "بورما"، وإسهام كبير في صناعة البلاد وبناء الوطن إلى جانب خدمتهم للدين، فتلاشى كل هذا مع انهيار اقتصاد البلاد كنتيجة طبيعية دائمة للثورة الشيوعية وأصبح البلد سجنا كبيرا يعيش فيه الجمهور، الذي كان يهتف لهؤلاء عالة على فتات الحكم العسكري الشيوعي وصدقاته، وإليكم اقتباسا مما نقلته "الديلي التلغراف اللندنية":

"كانت "رنجون" عاصمة "بورما" تعتبر من أجمل المدن الأسيوية في يوم من الأيام، ولكنها فقدت اليوم كل جمالها وبهائها، وكل أناقتها وروائها، وأصبحت البنايات الشامخة نموذجا للقدامة والبلى، وأما النظافة فهي كلمة لا مدلول لها، الأسواق والمحلات التجارية تغلق وتقفر من المساء الباكر وتخلو الشوارع من الناس إلا الشرذمة القليلة التي تراها مصطفة أمام دور السينما لمشاهدة الأفلام الأجنبية، كما يوجد بعض المشاة في الطرقات عابسين وجوههم وقد كانت هذه الوجوه يرتسم عليها الابتسام في ماضي الأيام إنما صورة "بورما" اليوم بعد انتهاء عهد الجمهورية واحتلال عهد الاشتراكية محله".

- ويصف المعلق السياسي الحالة الاقتصادية في البلاد فيقول:

قد أنتجت هذه السياسة قلة المواد الاستهلاكية بشكل فظيع، توزّع الحوائج الهامة في محلات تجارية شعبية عن طريق شركة تجارية حكومية والأسعار مرتفعة جدا، كما يحتاج في شراء حوائج عادية إلى انجاز إجراءات رسمية، والذين يضطرون إلى شراء هذه الحوائج من غير

www.abulhasanalinadwi.org

هذا الطريق، توفيرا للوقت، وتخلصا من المآزق الرسمية، يلجأون إلى السوق السوداء.

وبما أن الشيوعية في "بورما" قد قضت على الأحزاب المعارضة، وأممت الصحافة التي تملكتها الحكومة الآن، لا يمكن رفع صوت الاحتجاج على جميع هذه الويلات التي يعيش فيها الشعب البورمي وقد واجه تصدير الرز تأثيرا سيئا للغاية من قبل الاشتراكية الحديثة في "بورما" اليوم، وذلك ما تتركز عليه جل اقتصادية هذه البلاد. وقد كانت "بورما" قبل الحرب العالمية الأخيرة في رأس قائمة البلدان التي تقوم بتصدير الرز، ولكن نسبة التصدير نقصت فيها حتى بلغت اليوم إلى نصف ما كان عليه من قبل"[١].

هذا ما حدث بجارتنا، أما ما حدث بجاراتكم في هذه الناحية بالذات فأرجو أن تتولوا الرد عنها، وأخاف أن يكون نصيبها أكثر في الحرمان والحريات المقيدة، والحرمات المنتهكة، والدم المهراق، فضلا عن الانهيار الاقتصادي والتدهور الخلقي.

انظروا إلى بعض البلاد العربية الجميلة المؤمنة الآمنة، ثم تأملوا ماذا كانت وماذا صارت، اسألوا مروجها الخضراء وحدائقها الغناء، اسألوا أمطارها وأنهارها، وثمراتها وغلاتها، ونخيلها وأعنابها، لا تسألوا سوق العلم الذي كسدت، ودنيا القلب الذي خمدت، لا تسألوا حلقات الدرس، وحلقات الذكر لا تسألوا الوجوه المشرقة بنور الإيمان، والشباب المؤمن، الغض الطري في الميدان، فقد شوهتم هذا الوجه الحقيقي الجميل لبلادكم باسم البطون الخاوية والأجسام الضامرة، باسم الفلاحين والعمال والطبقة الكادحة، ولكن اسألوا التاجر، والمعلم والطالب، والموظف، والفلاح

---

[١] إن مسلمي الهند متصلون ثقافيا ودينيا بمسلمي بورما، وبينهم صلات وأواصر، ولهم معلومات عنها بمصادرهم الخاصة فجاء هذا التقرير الأجنبي مطابقا تمام المطابقة بما كانوا يعرفونه، بل إنه لم يصور فظاعة الموقف، وإخفاق الاشتراكية في هذه البلاد كل التصوير.

www.abulhasanalinadwi.org

والحارث هل هو يعرف لذة الحياة؟ ومعنى الكرامة؟ ويذوق طعم الحرية والأمن العاطفي؟ هل لا تزال الثمار والحبوب، والغلات والمحصولات، تزخر، وتفيض، وتتوفر، كما كانت تتوفر قبل اعصار الشيوعية ولفحاتها، ﴿فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت﴾[1] وهل هذه النار شيئ آخر غير الجحود والكفران، والكفر بعد الإيمان، وهل ينعم ابن البلد بخيرات بلده وثمرات سعيه وجهده، وبركات أرضه وسمائه، كما كان ينعم بها قبل دخول الشيوعية، أو قبل ذاك بكثير في عصور العلم والإيمان، والدعوة والجهاد، والصدق والاخلاص ويقر بها عينا؟؟

هل هو يأوي إلى فراشه ناعم البال قرير العين، راضيا مرتاحا، آمنا مطمئنا، بين زوجته الوفية وأولاده البارين، لا يخاف على نفسه من طارق يطلب بطاقة الجنسية والهوية، أو شبح يطارده في المنام في صورة مخابرات وبوليس وحكام، أو رايات حمراء ترفرف – لا قدر الله– على بلاد الإسلام.

إن وطأة الشيوعية أشد وأنكى وأثقل على الذين يطلبون الرخاء والأمن والاستقرار لبلادهم، وهم به راضون مرتاحون، فإن نار الشيوعية لا تمس هذه القلوب المؤمنة السليمة الصادقة، ولكنها تحرق ظاهر الأرض، إنها تحرق فقط أموالا يكسبونها ومساكن يرضونها وتجارة يخشون كسادها، فاحذروا منها بدافع الاقتصاد ومصلحة المعيشة والرزق إذا لم يرق في عيونكم دافع الدين، ولم يهمكم أمر الإسلام والمسلمين.

[1] سورة البقرة، ٢٦٦.

www.abulhasanalinadwi.org

العالم الإسلامي يبحث عن شخصيته

للمعسكر الغربي الرأسمالي شخصية دينية وسياسية واجتماعية يعرفها الجميع، وللمعسكر الروسي شخصية أخرى مميزة واضحة الأهداف والمعالم، وللمعسكر الصيني الشعبي شخصية ثالثة يخاف منها المعسكران، فهل للمعسكر الإسلامي أو للعالم الإسلامي شخصية دينية وسياسية واجتماعية، يعرفها الجميع؟ شخصية واضحة الأهداف والمعالم، بارزة الشعارات والشارات؟ كلا! فالأمر عندنا يختلف عن هذه المعسكرات المتنافسة، والكتلات المعاصرة كل الاختلاف؟ فإن شخصيتنا في الوقت الحاضر شخصية موزعة مبعثرة فيها شركاء متشاكسون، شخصية مائعة تميل تارة إلى هذا وتارة إلى ذاك، لا تتمسك بدينها فتنتصر، ولا تنساق مع الغرب المادي كل الانسياق فتطمئن، لا تقتنع بما عندها من عقيدة وإيمان، ومنهج وسلوك كل الاقتناع، ولا ترضى بما عند المعسكرات الأخرى من كفر وإلحاد، وعبث وفساد كل الرضا، وتحاول التوفيق بين تراثها القديم وبين العالم الجديد، ومن غير أن تثق بالأول كبير ثقة، أو تعرف الآخر عميق معرفة، فتجمع بذلك بين جهلين، جهل بتراثها، وجهل بعالمها، ولو قدرت دينها، وعقيدتها وتراثها حق القدر، وعرفت عالمها المعاصر بمشكلاتها وأزماته، وفقره وإفلاسه، وبؤسه وحرمانه كل المعرفة، لفازت بالحسنيين، فالحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها.

وأصبح مبلغ هذه الشخصية الإسلامية من رسالتها السامية وعلمها النافع للإنسانية، الهادي للبشرية، كلمات في كتاب أو هتافات في

www.abulhasanalinadwi.org

خطاب، أو تسبيحات بين المنبر والمحراب، أما خارج هذه النواحي الثلاث فلا تجد هناك إلا شخصية فرنسية أو إيطالية أو صينية.

شخصية واعظ ديني، ومصلح اجتماعي إذ رأيتها على المنبر، وشخصية تاجر إيطالي أو خبير هو لندي إذ رأيتها في البيت أو المكتب أو الديوان.

لا تؤاخذوني أيها السادة! فهي قصة المسلمين جميعا، سواء كانوا في باكستان، أو تركيا أو المغرب الإسلامي، فالعلماء - رحمهم الله - لهم شخصية مزدوجة، شخصية الخطيب حين يصعد المنبر، وشخصية الموظف حين يقبض الراتب، والساسة هم شخصية مزدوجة شخصية ابن البلد والمواطن الأول والمناضل البطل حين يواجه الجماهير بكلام فارغ، وشخصية السياسي الشاطر حين يساوم في عرض البلد وكرامة الوطن، بل يبيع بلاده أحيانا في المزاد العلني، والتجار لهم شخصية مزدوجة شخصية الرجل الوداع الرقيق القلب، وطني النــزعة، إسلامي العاطفة، حين يمد يده باكياس الجنيهات لبناء المساجد والرباطات، وشخصية التاجر القاسي الذي لا يبالي بشيوع الخمر بين الفتيات، أو ازدياد عدد المدمنين والمدمنات، وتخبط الشباب في حيرة البطالة والسآمة والضياع، إذا كان ذلك باعثا على تضخم ميزانية، وازدياد وارده وصادره.

إن شخصيتنا شخصية مستعارة، استوردناها من الغرب كما استوردنا الغسالات والأدوات المنــزلية، وهي شخصية ملونة تجمع بين المزاج الفرنسي، والطابع الأمريكي، والسمة الإنجليزية، والسلوك الروسي، وطغت هذه الأنواع والألوان على لونه الإسلامي، وقضت عليه في بعض الأحيان.

www.abulhasanalinadwi.org

فما هي هذه الشخصية الإسلامية؟ لندع الحكم في هذا الأمر للقرآن حتى لا يكون هذا الأمر مثار شبهة أو موضوع مناقشة وجدال.

﴿وضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل، هل يستويان مثلا، الحمد لله، بل أكثرهم لا يعلمون﴾[١].

أنظر كيف يبت القرآن في هذه المشكلة بالقول الفصل والحق الواضح المبين "رجلا سلما لرجل".

إذاً فتلك هي سمة الشخصية الإسلامية، وطابعها البارز الشاخص الحي، الذي تكاد تلمسه بالبنان قبل أن تحسه بالوجدان، وما أروع البيان وأبلغ التشبيه حين تبدو حقيقة نابضة يراها كل واحد، ولو لم يبلغ رتبة العلماء.

ويشرح القرآن هذه الناحية في موضع آخر، فكأنه يفسر الآية المذكورة تفسيرا، ويزيد الإجمال إيضاحا وبيانا.

﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة، ولا تتبعوا خطوات الشيطان، إنه لكم عدو مبين﴾[٢].

والآن انحلت العقدة، وتذللت العقبة، وظهرت المعجزة تملي إرادتها على من يؤمن ومن لا يؤمن!

الشخصية الإسلامية إذا شخصية أصيلة مستقلة الخيال والوجدان والعمل والتنفيذ، تؤثر ولا تتأثر، تغلب ولا تغلب تعلو ولا يعلى عليها.

إذا تقلدها أحد تقلدها لآخر أيام حياته، بل لآخر ساعاته وأنفاسه، إذا قسنا باعتبار الزمان وتقلدها في بيته، ومنــــزله وديوانه ومتجره وعرشه وتاجه، ورئاسته، وفخامته إذا قسنا باعتبار المكان.

---

[١] سورة الزمر.

[٢] سورة البقرة.

www.abulhasanalinadwi.org

فهي شخصية واحدة متميزة تجدها متحمسة نشيطة في السوق أو النادي كما تجدها قائمة راكعة في زاوية من زوايا المسجد، أو ساجدة خاشعة تحت جناح الليل، وانظر ما كان جواب القوم حين سألهم هرقل، وقد دهش بانتصارات المسلمين المتتابعة عن سيرتهم وأخلاقهم، فقد قالوا: ﴿إنهم رهبان بالليل وفرسان بالنهار﴾.

شخصية اختلف ميادينها وصورها وأشكالها، واتحدت نيتها، وحقيقتها وغاياتها وأهدافها، فالعاطفة التي تحثها على النضال والقتال في أطراف النهار هي نفس العاطفة التي تحثها على الدعاء والمناجاة، والتضرع والابتهال، آناء الليل. والعاطفة التي تحثها على الإعداد الصناعي والتنظيم الحربي والاستعانة بالتكنية والعلم هي نفس العاطفة التي تحثها على إصلاح ما بينه وبين ربه، فهي غاية الغايات، وسر الوجود، وأصل الحياة.

إنها ليست شخصية المعتكف في المسجد، القانع بما عنده وعند غيره من متاع الدين والعلم والتقوى، الجاهل بتيار الحياة وسيلها العنيف وأمواجها الزاخرة الهادرة، إنها شخصية العالم والمجاهد، والعابد الزاهد، والبطل والفارس، والحاكم والمسئول، والقائد والمعلم، الزاهد فيما عند الناس من متاع، والحريص على الهداية والتقوى، فإذا توجه إلى أسباب التجارة و وسائل الحياة النافعة – لا الاستقراطية الضارة – لم يتوجه إليها إلا بدافع الدين، ومصلحة الإسلام والمسلمين، كما توجه إليها عدد من أغنياء الصحابة، فكانوا سبب قوة الإسلام وشوكته.

إننا لا ندعو إلى هجر مرافق الحياة أو ترك استعمالها فلا تزال الحاجة ماسة إلى العناية الزائدة ببعض نواحيها الهامة، ولا نعارض الأخذ بالأسباب، فنصيبنا فيه ضئيل حقير لا يفي لحاجات الزمن المتطورة و

www.abulhasanalinadwi.org

وسائله المتغيرة، وإنما ندعو إلى تكوين شخصية إسلامية قوية بارزة تتجلى في دوائر الحكم كما تتجلى في دور العبادة، تتجلى في البرلمان، كما تتجلى في المسجد، وتتجلى في أوساط التربية وأجهزة الإعلام كما تتجلى في كلام الواعظين، وجهاد المصلحين وجهود الدعاة والعاملين.

وحينئذ يكون العالم الإسلامي كله كتلة واحدة ذات شخصية إسلامية مستقلة، لا يصنع مؤسسة، ولا يقيم إدارة، ولا يقف موقفا إلا وهو وفيّ بمبدئه، حريص على شخصيته، محافظ على سماته وملامحه، متمسك بأهدافه وغاياته، مسلم في السلم والحرب، مسلم في الغنى والفقر، مسلم في الحكم والإدارة، مسلم في الإعلام والتربية، مسلم في الصناعة والعلم، مسلم في السياحة والفن.

www.abulhasanalinadwi.org

مراجعة الحساب

لا ينقصنا المال فعندنا منه سيول داخل الصحراء، ولا ينقصنا الدم فعندنا شباب غض الإهاب يكاد يتفجر دما، ولا ينقصنا السلاح، فالأسواق مفتوحة ما دامت الأيدي طويلة والجيوب مليئة، ولا ينقصنا الحضارة والمدنية والثقافة ما دامت أسبابها متوفرة بل فائضة عن حاجتنا.

ولا تنقصنا العروش والتيجان وأنواع الحكم وألوان الجاه والسلطان.

ولا ينقصنا الفنيون والمهندسون والمدرسون والمبعوثون، والدعاة والمرشدون، ففي مصر وحدها من تلك الأنواع جنود مجندة كل عام إلى البلاد العربية والافريقية المجاورة.

فما هذا الشيء الذي ينقصنا دائما؟

إنما ينقصنا فقط الشعور بفداحة الخسارة وعظم الكارثة والتألم الحقيقي على ضعف المسلمين في هذا الحين، وقلة حيلتهم وهوانهم على الناس.

فهو العامل الوحيد الذي لا يعوّض بشيء، لا بالمال ولا بالعلم، ولا بالسلاح، ولا بالذكاء والدهاء، إن هذه المؤهلات العلمية والفنية قد تعوّض بعضها البعض، وقد تسد إحداهما فراغ الأخرى لحين من الدهر، أما إذا لم نشعر بالخسارة مطلقا ولم نتألم لها بتاتا، أما إذا لم تتوجع قلوبنا على مصيبة العالم الإسلامي كتوجع المرء الذي أهين في قارعة الطريق، أما إذا لم تستحي ضمائرنا وأحاسيسنا رغم شماتة الأعداء، ونكاتهم اللاذعة، وسخرية الأجانب في الصحف العالمية

www.abulhasanalinadwi.org

وهوان أبنائنا وشبابنا في العواصم الغربية، فإن هذا الذهب الفائض في داخل الأرض، وإن هذه الألوان الزاهية البراقة من الحضارة، وإن هذه الأسلحة الحديثة المستوردة من الغرب والشرق، لا تنفعنا شيئا، ولو جمعنا بين معونات الكتل السياسية كلها!

إذا قمت بجولة قصيرة بين العواصم العربية الإسلامية اليوم وتجوّلت في أسواقها العامرة، وشوارعها المزدحمة، و رأيت صورها في الليل، وجدتها كاملة العدة والعتاد، كاملة الزينات والمباهج والملذات، فيها العلم، فيها الشباب وفيها المال، وفيها الفن، وعندها المقدسات، والمشاعر، والشعائر، بل عندها الحرم، وعنها زمزم، ولكن ينقصها مع كل هذا الذي ذكرناه – ولا مؤاخذة – ذلك الشعور المفقود المطلوب بجراحها وآلامها، جراحات القلب والروح وآلام الوجدان والضمير.

فما هو الحل، وأين الطريق؟

الحل أن "نكهرب هذه الطاقات الخامدة، الجامدة التي لا روح فيها ولا حياة، إن هذه القوى والطاقات، والمواهب والمؤهلات والوسائل والأدوات، كأسلاك الكهرباء، فكيف ترى إذا عنينا بالأسلاك ونسينا الكهرباء.

إننا بوسائلنا الحاضرة نستطيع أن نحقق ما لم يكن بالحسبان إننا بوسائلنا القصيرة التي نزدريها ونستزيدها نستطيع أن نصنع المعجزات ونأتي بما تندهش له العقول وتتحير فيه الألباب، ولكن بالوسائل الحية، الوسائل النابضة المتحركة، الوسائل "المكهربة".

إن مواردنا وثمائلنا كثيرة متوفرة يفيض بها العالم الإسلامي كله، فهنا مال، وهناك أيد عامة، وهنا قرائح، وهناك علوم، وهنا عدد، وهناك ذكاء، ولكنها مع ذلك لا تؤدي وظيفتها ولا تلعب دورها، ولا تنفع

www.abulhasanalinadwi.org

بلادها وأهلها، وقد يبدو للرأي أن سببه التفرقة والانقسام، والوحدة تستطيع – إذا تحققت – أن تحل هذه المشكلة!

وذلك خطأ كبير، أضلنا أعواما طوالا في متاهة الحيرة والفوضى الفكرية.

فالوحدة هي أيضا لا تتحقق، ولا تخرج إلى حيز الوجود من غير هذا الكهرباء، من غير هذا العامل الأساسي الوحيد الذي ذكرناه، وهو الشعور بفداحة الخطب، وخز الضمير، وتألم القلب.

والوحدة التي تقوم على أسس صناعية أو خيالية أو على أغراض سياسية، ولا يكون وراءها رصيد من تلك الطاقة المكهربة أو الطاقة المولدة لن تدوم طويلا وتذهب حيث ذهبت الوحدات السابقة، لأنها وحدات ساقطة أو وحدات ميتة، أو وحدات عرجاء أو وحدات ذات أرجل خشبية لا تستطيع أن تقوم، وإذا قامت حينا، فلن نستطيع أن تدوم.

فانشروا هذا الشعور بالألم في بلادكم كما تنشرون فيها العلم، ولقّنوا أولادكم هذا القلق والتوجع، والوعي بالمصيبة العامة والخسارة الكبرى، كما تلقنونهم مبادئ الدراسة الأولية في الروضة والثانوية.

لا ترفهوا عنهم بالبرامج الراقصة المضحكة، المسلية السارة، بل دعوا قلوبهم يعتصرها الألم، ويخزها الضمير الجريح، لقنوهم أنهم أصيبوا في دينهم، وشرفهم، وشبابهم، ورجولتهم، وعليهم أن يغسلوا عن جبلهم هذا العار، ويعدوا نفوسهم الأبية للثأر، والانتصار!

ازرعوا هذه الحبوب الكريمة، حبوب الغيرة والحياء في ترابكم، واعكفوا على سقيها وريها، كما تعكفون على حدائق النخيل والأعناب،

www.abulhasanalinadwi.org

واحفظوا غراسها من كل طارئ ودخيل وغاصب وناهب، حتى يستوى على سوقه، يعجب به الزراع ليغيظ بهم الكفار!

إن الأفلام والصور والغراميات، والأغنيات، سموم تحرق هذه الرياض والبراعم والزهور، ولفحات نارية ستأكلها وتأتي عليها، وتحيط كل ما صنعناه بعرق الجبين وكد اليمين في لمحات وساعات، قولوا لهم أن يصبروا عن بعض متعتهم - رغم قدرتهم عليها - لحين من الزمن ليجنوا ثماره الحلوة غير مقطوعة ولا ممنوعة، زمنا طويلا وعمرا مديدا.

دعوهم يتألموا من غير نياحة أو بكاء، ومن غير يأس وتواكل، دعوهم يذوقوا مرارة الخسارة، ويطلعوا على عمقها ومساحتها ليعرفوا عظم المسئولية، ودقة الموقف، وخطورة الأوضاع، ويطلعوا على ما هم مقبلون عليه من ثغرات وفجوات يملأونها وفساد شامل كبير يصلحونه، وزجاج منكسر يلمون شعثه، وعصبيات جاهلية يقضون عليها، و وصمات عار يغسلونها، و وجه شاحب كئيب للمسلمين يبيضونه، ومجد سليب للإسلام يستردونه.

إن مثل هذه المسئولية لا يمكن أداؤها بالعيشة التي يعيشها أبناؤنا في عواصم العالم الإسلامي، ومعاقل العالم العربي.

إن هذا لا يمكن بتزيين الشهوات أمامهم بمختلف صورها وأساليبها، وأقسامها وفنونها.

إنها لا يمكن باللهو البرئ واللهو المباح، فكيف باللهو الحرام؟

إنها لا يمكن مع الدعابة والفكاهة والهزل، وحوار المخرجين الفكاهيين الكوميديين، فكيف يمكن مع خلع العذار والخروج على آداب الحشمة والوقار؟

www.abulhasanalinadwi.org

فالجد لا يقتضي إلا الجد، وما رأيك في رجل يداعب أهله أن يشتغل بالشعر والأدب، ويحكي الملح والنوادر، وهو في غمار الحرب، أو على رأسه سوط الجلاد، لا بل إنه لا يشتغل بمثل هذه الأمور، إذا تألم أو توجع على شيئ خيالي قد لا يعودعليه بضرر أو نفع، تلك هي سنة الحياة وطبيعة الأحياء.

فلنقف عندها، ولنراجع حساباتنا، ولنكشف أوراقنا حتى نعلم ما صنعناه أمس بجيلنا، وبلادنا، وأمتنا، وديننا، وتاريخنا، وما نحن به غدا فاعلون؟

www.abulhasanalinadwi.org

الدرس الأول من حرب رمضان

الفارق بين حرب حزيران وحرب رمضان كبير!

إنه فارق بارز تراه بالعيان بل تكاد تلمسه بالبنان، إنه لا يخفى على الحاقد الأعمى فضلا عن البصير الواعي.

هذا الفارق يتخلص في ثلاثة جوانب:

١. تصحيح الشعارات والأهداف أو تصحيح المسيرة.

٢. الروح المعنوية العالية في الشعب والقوات المسلحة.

٣. لذة الثأر والحرص على غسل العار.

ولنقارن – مليا بين معركتين حتى نتوصل إلى نتائج صحيحة بعيدة عن الخطأ والانحراف.

كانت الشعارات في حرب حزيران "شعارات جاهلية" إذا توخينا الإيجاز، أو "فرعونية" إذا وضعنا النقط على الحروف و وضعنا أصابعنا وبصماتنا على موضع التهمة ونقطة الداء.

والقصة معلومة لا تحتاج إلى إعادة وتكرار، وقد بدأ حتى بعض الكتاب الثوريين والتقدميين والاشتراكيين يعترفون بذلك بمرأى من العالم ومسمع.

أما في الحرب الأخيرة فقد تغيرت تلك الشعارات والأهداف والهتافات إلى حد كبير، أو تخففت حدتها، وزالت هيبتها وسلطانها من نفوس الشباب والزعماء والقادة، والعمال والفلاحين، وقل استعمال المصطلحات الثورية، بل هجرها بعض الكتاب واشمأزوا منها، وحلت

www.abulhasanalinadwi.org

الذخيرة الحية محل ذخيرة الكلام، وغلبت الرزانة، والتفكير، والايجابية على الارتجالية، والتهور، والطيش، الذي اتسم به العهد البائد المظلم.

وكان الفرق بارزا هائلا في الروح المعنوية.

فبينما كان الجندي يحارب في حزيران بروح باردة من غير عاطفة أو حماس، وكانت القيادة الحربية غارقة إلى آذانها في اللهو والترف، ومناورات العزل والنصب، والقتل والإعدام، أو نائمة تغط في نوم عميق لم تدرك أمرها، ولم تتبين رشدها إلا في "ضحى الغد"[١] حين سطعت الشمس على خيانة سافرة، وأمة مهزولة، ورؤوس منكسة، وعيون تستحي من مواجهة أجنبي وضحكة في وجه مائة مليون عربي مقابل دولة صغير مساحتها أقل من مساحتها أقل من مساحة مصر بنسبة واحد في الأربعين[٢] وعدد سكانها أقل من سكان القاهرة، أما في جهاد رمضان فقد أثبت الجندي العربي والجندي المصري والسوري بوجه أخص بطولته الفذة وتجرده عن الهيبة والرعب، وصموده أمام العدو، وثقته بالله، وحنينه إلى النصر، أو إلى الشهادة، قد غمرت قلبه لذة الثأر، ودفعته روح الانتقام إلى بذل المهج والأرواح، وكانت النتيجة أنه استرد شرفه المفقود، وكرامته الضائعة، ولو لم يسترد أراضية المغصوبة وحقوقه المهضومة كاملة.

والسؤال الضخم البارز الذي يحمل ألف استفهام:

لماذا وقف هذا الانتصار الرائع الذي أحرزته القوات العربية المؤمنة في "سيناء" و"الجولان" عند هذا الحد، وكيف تدخلت فيه أبعاد أخرى عكرت نشوة الانتصار بعد ما طابت ولذت، وأفسدت ساعة النصر بعد ما حلت وصفت، والجواب بسيط:

"على قدر أهل العزم تأتي العزائم"

---

١ قالها دريد بن الصمة: أمرتهم أمري بمنعرج اللوى   فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

٢ مساحة إسرائيل نحو ثمانية آلاف ميل مربع، أما مساحة مصر فهي أكثر من ثلث مليون ميل مربع.

www.abulhasanalinadwi.org

إن هذا النصر العسكري جاء بحساب المد الإيماني، إن الرواسب التي ورثناها من زعمائنا "الذين أغرقونا في الخزي ظلما و عدوانا"[١] رواسب القومية العلمانية والاشتراكية والثورية هي التي أفسدت علينا هذا الفتح المبين والنصر الرائع القريب، إننا لم نتطهر بعد (رغم كل ما نادينا به من تصحيح المسيرة، والمتغيرات النفيسة، والحوار المفتوح) من علائق هذا "التراث المشئوم" – ولا مؤاخذة – وشوائبه وأكداره وأقذاره، إننا حررنا أنفسنا من بعض ضغوطه أو سمومه ولا شك، ولكن لا نحرر نفوسنا كليا من سيطرته، ونفوذه، وفتنته.

وصوت القرآن يهتف بنا منذ زمان:

﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان، إنه لكم عدو مبين﴾[٢].

إن وحدة العرب الرائعة التي كسبت إعجاب العالم كله في هذا الوقت العصيب، وسلاح البترول الذي كان أقوى وأمضى أكثر من المأمول (وقد كان للدول المصدرة للبترول والسعودية بوجه خاص في هذا المضمار موقف شجاع حكيم يشكر ويذكر) حقائق مكشوفة قد تراها رأي العين، وقد تنوه بها عن حق، ولكن هناك –رغم كل ذلك– حقيقة غيبية أخرى فوق سائر هذه الحقائق والاعتبارات، والقوى والطاقات وتقلبات الهزيمة والنصر، والمد والجزر، وتقديرات الخبراء والعسكريين، ودسائس المتآمرين الحاقدين، وصلف المتكبرين والمغرورين.

إنها إرادة الله، وهي مع المؤمنين الصادقين الصابرين الذين آمنوا بالله وحده، وكفروا بالجاهلية القديمة والحديثة بجميع أنواعها وألوانها، وضروبها، توكلوا على الله فقطعوا رجاءهم عن أعداء الله رغم ما تربطهم بهم من صلات وحاجات ومصالح، (والدنيا كلها حاجة وسؤال وعليها أساس العمران).

---

[١] من تعبير أنيس منصور في جريدة "الشباب العربي" بالقاهرة.

[٢] سورة البقرة، آية ٢٠٨.

www.abulhasanalinadwi.org

ونحن نرجو أن هذا النصر ستليه - إن شاء الله- انتصارات أخرى في سائر المجالات العسكرية والاقتصادية إذا استقمنا على طريقة الإيمان، والرجوع إلى الله، والإقلاع عن المعاصي، والبراءة من كل حول وطول، والابتعاد عن الشعارات القديمة التي كانت سبب نكبتنا وذلتنا في حزيران عام ١٩٦٧م.

لقد رجعنا إلى الله شبرا، وأعرضنا عما يسخطه ويجلب غضبه قليلا، وأقبلنا إليه نستمد منه العون في الشدة والضراء وحين البأس، وحاربنا بغيرة الإيمان وعاطفة الإيمان وحب الموت، وكراهية الحياة، فمنحنا الله ذلك النصر، وأكرمنا بالعزة ورفع درجتنا بالشهادة ورفع ذكرنا في العالم بعد ما أسأنا إلى سمعتنا ولوثنا كرامتنا بأيدينا، وجلبنا سخط الله بأفواهنا، وبذيء كلامنا، وغرورنا وتبجحنا وسفاهتنا.

فالدرس الأول من حرب رمضان أن نحرر أنفسنا بصورة قاطعة وجملة واحدة من أسباب الخذلان وشعاراته، وعلائقه وشوائبه ورواسبه ومخلفات فكره، ونطهر نفوس أبنائنا وبناتنا منها كما يطهر أحدنا ثيابه من الوسخ والدنس.

لماذا هذا الاستحياء ولماذا هذا الإحجام يا قوم وإلى متى! إن الله معكم، والشعب العربي المسلم من ورائكم، والمسلمون كلهم جنودكم، فسيروا على بركة الله وعلى هدى من القرآن ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم، الله يعلمهم﴾ و﴿ ما تنفقوا من شيئ في سبيل الله يوف إليكم، وأنتم لا تظلمون﴾[1].

نعم، إن مجرد الإيمان السلبي لا يكفي أبدا.

فلا بد معه من رفض للأوثان الظاهرة والباطنة، أوثان الشخصيات والشعارات والضلالات، ولو راقت الأسماء وحسنت الواجهات!

---

[1] سورة الأنفال، الآية ٦١.

www.abulhasanalinadwi.org

إن الإسلام الخليط مع الجاهلية أو الخليط مع الظلم أو الخليط مع النفاق والشقاق لا يستطيع أن يغير في الوضع قيد أنملة، فقد قال الله تبارك وتعالى يصف هذا الطراز الرفيع من المؤمنين، الذين أخلصوا دينهم لله، ويضمن لهم الأمن والإيمان والسلامة والإسلام.

﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾[١].

وبعد هذا الإسلام الخالص، الإسلام الكامل، الإسلام القوي، الإسلام النقي، الإسلام الحي، الذي يمشي على قدميه، ويدفع براحتيه سوف نحتاج إلى "تصنيع" تصنيع كامل عام في سائر المجالات الحربية، "الممكنة" وقد يقول قائل: هذا محال، فالحرب حرب العلم، والغرب متفوق علينا في هذا المضمار قرونا طويلة، فكيف نستطيع أن نلاحقه في سنين وأعوام.

والقرآن قد سهل لنا هذه المهمة الصعبة أيضا بقوله ﴿ما استطعتم﴾ فلم يبق عندنا مجال للعذر، وموضع للشك والتأويل، والمكابرة والجدال.

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ الآية.

إن مثلنا في هذا كمثل طفل صغير بدأ يحبو، ويحبو على ركبتيه، فيحمله الأب أو تحمله الأم على المشي على رجليه وهو غير قادر عليه، فيحاول الطفل أن يمشي وتتعثر خطاه، فيدركه الأب ويمسك بيده بل يضمه إلى صدره حبا وحنانا، ويباركه على أنه فاز في الامتحان، ومشى كما يمشي الرجال، فيظن الوالد أنه فاز في الامتحان، ومشى كما يمشي الرجال، ويظن... أنه بدأ يمشي فعلا، وهكذا أمر هذه الأمة بالنسبة إلى ربها، فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها، إنه يريد منها فقط أن لا تقصر في الواجب، ولا تتهاون في العمل، ولا تدخر وسعا فيما قدرت عليه نعم،

---

[١] سورة الأنعام، آية ٨٢.

www.abulhasanalinadwi.org

إنها لا تستطيع الآن أن تصنع المعدات الحربية المعقدة والالكترونية ولكن من منعها من أن تصنع البندقية، والقنبلة، والمدفع، والطائرة، والدبابة، وهي ليست في تلك الدرجة من التعقيد، إنما هي تحتاج إلى وضع خطة حكيمة مدروسة وسهر وصبر لمدة أيام عن بعض ما لذ وطاب من الطعام والشراب، أو في تعبير آخر، هذا المستوى الرفيع من الحياة، وأعتقد أن ذلك ليس فوق طاقة بشر، ولا يخرج عن حدود الإمكان، بل إن الأمة المسلمة مكلفة بها أصلا ورأسا وأساسا، فلا تستطيع أن تتهرب من هذه المسئولية والإيثار والتضحية و "الصناعة الحربية" بأي حال من الأحوال[1].

إن أبطالنا المغاوير وصناديدنا المشاهير في تاريخ الإسلام، حاربوا أعداءا كانوا أكثر منهم جمعا وسلاحا، وعدة وعتادا، فانتصروا، لماذا؟

لأنهم حققوا أمر الله ولم يدخروا وسعا في العدة للحرب في حدود

---

[1] عن علي رضي الله عنه قال: كانت بيد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قوس عربية، فرآى رجلا بيده قوس فارسية، قال: ما هذه؟ ألقها! وعليكم بهذه وأشباهها، ورماح القنا فإنها يؤيد الله لكم بها في الدين ويمكن لكم في البلاد. (رواه ابن ماجة)

أنظر كيف فضل الرسول – صلى الله عليه وسلم – سلاحا من صنع الأيدي العربية على أيدي العدو مع العلم بأن الفرس كانوا متقدمين في الصناعة الحربية، وإشارته بأن الله ينصركم بما تصنعون بأيديكم من آلات الجهاد ومعداته وينزل عليها بركته، وإن تضاءلت بجانب سلاح العدو – ومعداته، لأنكم تنتصرون بعون الله وقوته، لا بقوتكم وقوة إعدادكم.

وعن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: إن الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله، وارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إلى من تركبوا، كل شيئ يلهو به الرجل باطل إلا رميه بقوسه، وتاديبه فرسه، وملاعبته امرأته، فإنهن من الحق. (رواه الترمذي، وابن ماجة)

وعنه قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه. رواه مسلم (مشكاة المصابيح كتاب الجهاد "باب إعداد الآلة").

وعنه قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو على المنبر يقول: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي (رواه مسلم) وقد فسرها الزمخشري بكل ما يتقوى به في الحرب وقال البيضاوي: لعله إنما خصه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالرمي لأنه أقواه، وتأمل في هذا المعنى من توسع، وما فيه من شبه بين سهم أو صاروخ في ضرب الأهداف بسرعة فائقة ودقة متناهية مع العلم بأن الصاروخ أقوى ما وصل إليه التقدم العلمي في مجال الصناعة الحربية!!

www.abulhasanalinadwi.org

إمكانياهم، إن إمكانيات العالم الإسلامي اليوم واسعة ضخمة، فهو يستطيع أن يحقق بها الكثير، بل يجب عليه أن يأخذ بأسباب القوة أكثر مما أخذوا، ويصنع أكثر مما صنعوا، بحكم وسائله وإمكانياته، أما النصر فهو من عند الله ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾[١] ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينـزل به سلطانا، ومأواهم النار، وبئس مثوى الظالمين﴾[٢].

أما إذا أرقنا الدماء بسخاء وضربنا أروع الأمثلة في البطولة والفداء، وما أخذنا للحرب أهبتها، ولم نصنع ما نستطيع أن نصنعه من آليات الحرب ومعداهّا، فمعنى ذلك أننا - رغم كل بطولة وتضحية - ما استوفينا شروط النصر.

إن بلادا شرقية تحررت منذ ربع قرن من الزمان و وصلت إلى مستوى الاكتفاء الذاتي في بعض الصناعات الثقلية والمعدات الحربية الهامة، وقد استفادت منها فعلا في معاركها، فعلينا أن ننفق هذه السيول المتدفقة الفائضة في جوف الصحراء[٣]، والطاقات البشرية والمؤهلات الإنسانية في عواصمنا الكبرى وحقولنا الخضراء في هذا المجال الحيوي الحساس، ونصنع مشروعا دقيقا لصناعة القاذفات والمدرعات والمعدات الأخرى، وأعتقد أن ذلك ميسر، إن شاء الله في زمن غير بعيد، إذا أخذنا

---

[١] سورة آل عمران.

[٢] سورة آل عمران.

[٣] نشرت صحيفة "الأوبزرفر" اللندنية بقلم متخصص في الشئون النفطية في عددها الصادر في ٤ تشرين الثاني مقالا خطيرا جاء فيه "أقل التقديرات تدل على أنه سيكون لدى العرب عام ١٩٨٠م ضعف الذهب واحتياطات أرصدة العملة الأجنبية التي تمتلكها الولايات المتحدة، وهذا التقدير البسيط، يدل على أن زيادة الفائض العربي سيساوي ربع مجموع الاستثمارات العالمية كلها، كيف سيوزع هذا الفائض العربي، في أوربا أو أمريكا أو دول أخرى، وكيف سيستعمل العرب القدرة المالية المتاحة لهم، هو الأمر الذي يشغل بالأوربا، ويجعلها في تنافس مع الولايات المتحدة.
ترى أليس عندنا مجال لاستثمار هذا الفائض العربي والقدرة المالية الهائلة؟؟

www.abulhasanalinadwi.org

الأمر بطابع الجدية والعمل الصامت الدؤوب.

إن التضحية التي قدمها الجندي العربي في هذه الجولة كبيرة وبسالته في الحرب عظيمة تستحق كل تحية وتقدير، وإكبار وإجلال، وأن التناسق الفني الذي ظهر في العمليات الحربية يبعث على التفاؤل، وأن دور النفط في الصفوف الخلفية كان رائعا كبسالة الجندي في الصفوف الإمامية فيا ليتنا أضفنا إلى ذلك كله جانب "التصنيع" الذي لا بقاء لأمة بدونه[1].

وأن تكون إلى جانب حقنا في الأمن والحياة وتلهفنا إلى الجهاد والنضال، وإلى جانب إيماننا وعقيدتنا، ودعوتنا وتراثنا، وقيمنا وأقدارنا، قوة حربية ضاربة في حدود إمكانياتنا وطاقاتنا، و وسائلنا ومواردنا، وهي بالطبع واسعة كبيرة، وهنالك يتغير لنا الموقف، ويتم لنا النصر ونستغني عن العدو، ونتحرر عن ضغوط الكتل السياسية ونفوذها ومصالح الدول الكبرى ومؤامرتها﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ وهنالك يأتي نصر السماء يكمل ما نقص فينا من عدة وعتاد، وما فاتنا من آلات ومعدات، وما لم نستطع انجازه لضيق الوقت أو لضيق المورد، أو لضآلة المعونة الخارجية، والمساعدة الفنية ولكن الله قادر على جعل الضعف قوة والذل عزة، والهزيمة نصرا وتمكينا وفتحا مبينا، كما فعل بأجدادنا الأولين وأبطالنا الغر الميامين من الصحابة والتابعين إلى محمد الفاتح وصلاح الدين ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾[2].

---

[1] كتب صحفي عربي الأستاذ عبد الله الجابري يصف دور البترول في هذه المعركة: "كان سلاح البترول هو الذي حال بيننا وبين الهزيمة، وكان هذا السلاح هو الذي حمل "كيسنجر" إلى الرياض والقاهرة.. وغدا عندما نصبح أكثر قوة وعندما يتحول بترولنا إلى مصانع ومزارع ومعاهد للأبحاث، ومراكز للدراسات، ستقضي المصلحة الأمريكية بأن تنال كل حقوقنا. ويتنافس الأمريكيون والصينيون واليابانيون والأوربيون على استقطابنا كشركاء وليس كعملاء، في هذه المرحلة لن تكون سيادتنا على أرضنا محل الشك، ولن نطلب ضمانات أمريكية أو سوفيتية بعدم المساس لهذه السيادة كما فعل امبراطور اليابان عام ١٩٤٥، في هذه المرحلة سيعترف بنا كأمة ذات سيادة، ويطلب منا الإسهام بدور فعال في حمل عبء القيادة العالمية".

[2] سورة الروم: ٥.

www.abulhasanalinadwi.org

من وحي الزمان والمكان

المكان: بيت الله الحرام، ومسجد النبي عليه وعلى آله وأصحابه الصلاة والسلام!

والزمان: زمن التشريق، والتهليل والتحميد والتكبير ﴿ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾.

فليكن حديث اليوم حديث المجالس والمحافل، والنوادي والمجامع، وليكن ذلك الشغل الحلو الجميل، الشغل الشاغل للمسلمين أجمعين، لأنه حديث الحبيب والقريب، حديث الحب، والوفاء، والصدق والولاء، حديث يشحن القلوب الفارغة ببطارية الإيمان، ويشعل المجامر الخامدة الباردة بشعلة الحب والحنان، ويزكي مشعل النور للمتخبطين في ظلام المذاهب والشعارات، والعصبيات والجاهليات، مهما حسنت أسماؤها و راقت ألقابها، وتنوعت مظاهرها وأشكالها.

فهذي الليالي كلها أخوات

﴿ ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾

ولئن رضي الجاحدون، والمنكرون، أو المفتخرون بلقيمات لفظتها موائد الغرب فإن الله لا يرضى لعباده الكفر، إنه لا يرضى بأن يرى حملة دينه، والأمناء على رسالته يتطفلون على فتات الطعام ويقفون كالأيتام على مأدبة اللئام!

www.abulhasanalinadwi.org

ويتكرر الحج كل عام ليجدد ما طرأ على المسلم من بلى، ويصلح ما أصابه من زيغ، وما اعتراه من خلل، وما لحقه من نقصان، وما لصقه من عار، وما جف فيه من منابع الإيمان واليقين.

إنه يقف بنا كل عام أمام بيت الله العتيق، وفي عتبات الحرم وفسحات المشاعر، لنتذكر ما ينساه العبد المذنب، القاصر، العاثر، المكدود، في زحمة الحوادث والأشغال، وخضم المحيط الهادر من أضواء الحياة وضوضاءها، وضجيج الحياة وعويلها، ولمعان المادة وبريقها، لتنكشف الغشاوة عن بصره، ولتتبين معالمه ومقاصده ومراميه البعيدة في ذلك الجو المكفهر الملبد بالغيوم، فيعرفها حق المعرفة، ويثق بها كل الثقة، ثم يعود منها، - وقد قضى مناسكه وأوفى نذوره - بإيمان جديد قوي غالب لا يعرف الهزيمة والانكسار، ويواجه الحقائق المرة والتحديات السافرة ليقضي عليها ويرد كيدها إلى نحرها، لا ليحني لها هامتها استصغارا لنفسه، أو يأسا من روح الله ونصره، ﴿فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾.

إن الحج لا يحارب تلك الرذائل التي تلاصقت بالنفس البشرية رذيلة رذيلة ولا يجهد نفسه في القضاء على علاتها منفصلة، بل يقضي عليها - إذا صحت نية المؤمن وسلمت طويته - جملة واحدة، إنه يكتسح سائر الأحراش والنباتات السامة في النفس البشرية كسيل جارف قوي لا يمنعه شيء، ثم يجعلها صالحة للغرس، والري والنمو، والازدهار.

إن الإنسان الذي يخمد، ويتوانى، ويتقاعس عن العمل لأجل بيئته الفاسدة، وشرورها، أو ينحرف عن طريقة السوي بشعارات ضالة تأخذ بلبه، أو يتبع هواه لترفه وتنعمه يجد في هذا المكان ما يجدد نشاطه ويقوي همته، ويصحح مسيرته ويقضي على طغيانه وغفلته، ويذكر أن عباد الله

www.abulhasanalinadwi.org

ليسوا بالمتنعمين، بل إنهم من المجاهدين الصابرين، الصامدين، والحج بما فيه من وقوف وقيام، وغرام وهيام، وتنقلات متتابعة، ورحلات مضينة وتمثيل لنوادر التضحية والبطولة والفداء، واستجابة لهاتف الغيب، تلبية لرب البيت، وخضوع للأمر، لا يدع له فرصة للراحة والاستجمام، والقيام في غير مقام، شأن المحب المتيم الذي كابد الهجر والفراق، وبرح به الشوق، وكاد الحب يأخذ بلبه ويتركه يهيم على وجهه، دواؤه أن يلمح حبيبه ولو من بعيد، ويسمع حديثه ولو من وراء حجاب، ويسمح له بالإطراح على عتبته والابتهال على بابه، والنياحة على نفسه والتلويح بلوعة قلبه وكبده ولو لساعات وأيام من جملة العام.

إن المسلم اليوم لم يفقد العلم، ولم يفقد المال، ولم يفقد القيادة ولم يفقد النظام – رغم أهمية لكل من هذه النواحي – بمثل ما فقد القلب الولوع الحنون، القلب المشرق العامر بالإيمان، القلب النابض الحي، القلب الذي يتحرق على خسارة الروح والضمير أكثر مما يتحرقون على خسارة التصدير والتوريد.

إن هذه المناسك التي يؤديها المؤمن في الحج، والوقفات التي يقفها في حرمة وفي مشاعره ليست أشكالا وطقوسا مجردة من كل روح، خالية عن كل معنى، إنها بطبيعتها تبعث المؤمن بعثا جديدا، وتمنحه قسطا جديدا من الحياة، وتنقذه من أوزار المجتمع المادي الضيق المرسوم الذي عاش فيه زمنا طويلا، فألفه ولم يرض عنه بديلا، كالحشرات التي تألف الآجام والأحراش والأوحال والجداول والأنهار فلا تريد أن تخرج من عالمها الصغير المألوف، فإذا بالحج يحطم سائر هذه الأغلال والأثقال، ويهدم سائر الحدود والسدود والقيود، وإذا هو يقف به – من غير درس طويل

www.abulhasanalinadwi.org

وتربية طويلة – في عالم جديد يختلف عن عالمه القديم الشاحب الكئيب كل الاختلاف كما يختلف عالم الجنين الصغير عن هذا العالم المادي الكبير.

إن البيت العتيق هو – في الواقع – محور المسلم الذي تدور حوله رحى الحياة ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا﴾ فلهم أن يسيحوا في الأرض، ويبتغوا من فضل الله ولهم أن يشتغلوا بما طاب لهم من أشغال و وظائف وأعمال وخدمات ونشاطات وجهود في الحدود التي رسمها الإسلام، ولكن عليهم أن يلجأوا أخيرا وفي نهاية الشوط إلى هذا البيت، كالطفل الصغير الشريد الذي يرتمي إلى أحضان أمه وكنف أبيه أو كالعبد الآبق على عتبة سيده ضارعا إلى رب البيت نائحا تمرده وعصيانه، وجحوده وكفرانه، وغفلته ونسيانه.

إن التحديات السافرة التي يواجهها المسلمون في هذه الأيام تتطلب أن يجددوا صلتهم بالبيت، لا على صورة تقاليد جامدة، وأشكال فارغة ومظاهر جوفاء بل على صورة مصدر حياة، ومنبع قوة، ومعين لا ينضب من تجديد الصلة بالله والرجوع إليه في السراء والضراء، والشدة والرخاء.

إن جميع النشاطات التي نزاولها، والجهود التي نبذلها، والمؤسسات التي نقيمها، والبنايات التي نشيدها، والجمعيات التي نؤسسها، والمخططات التي نصممها، خطيرة وهامة، ونافعة ومباركة، لا ينكر فضلها، ولا يستهان بقيمتها ما دامت متصلة ببيت الله الحرام، ما دامت ترى فيه بقاء حياتها، وإيمانها ونجاتها، وما دامت تقوم أساليبها ومناهجها على هديه ونوره وما دامت تعظم شعائر الله ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾[1].

[1] سورة الحج، الآية: ٣٢.

www.abulhasanalinadwi.org

أما إذا غرتنا مظاهر الحياة الخلابة التي تولدت من استعمال الآلة والأداة، أما إذا بهرت أبصارنا تقلب الذين كفروا في البلاد، وبدأنا نطمع فيما آتاهم الله من زخارف ومباهج وملذات ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون.

إما إذا استصغرنا شأن البيت العتيق – لا سمح الله – وازدريناه، وفضلنا عليه ما أحدثناه من طوابق وشقق وفنادق فاخرة، مجهزة، مزودة بأحدث التسهيلات، و وسائل الترف والنعيم، أما إذا احتقرنا رسالة الحج مقابل نظريات باطلة، وأفكار سامة، وآداب فاسقة، وحياة ماجنة جاءت إلينا من الغرب، أما إذا أصبحنا نحاكي موضاتهم وتقاليدهم وآدابهم، وسخافاتهم ونتساقط عليها كما يتساقط الجائع والمحروم على المائدة، فمعنى هذا أن صلتنا بهذا البيت العتيق قد ضعفت، وأننا بحاجة قبل كل شيئ إلى أن نجددها، ونغذيها، ونحدب عليها، ونحرسها من كل سوء، ونتخذ لذلك ما يلزم من تدابير حكيمة، وإجراءات حازمة ومعالجة دقيقة للقضايا، ومراعاة لائقة بالطبائع والحاجات، والأذواق والمعارف.

فذلك وحده هو الطريق الآمن المضمون إلى المستقبل الزاهر السعيد الذي أصبح حلما لدى الشباب المسلم منذ زمن بعيد، فهل يتحقق هذا الحلم وهل تكون حجتنا هذا العالم افتتاح عهد جديد، ونواة انقلاب في التفكير والميول، والرغبات، والأشواق! وهل نحن مستعدون لتصحيح مسيرتنا من الفوضى إلى الانسجام، ومن التخبط في الظلام إلى نور الإيمان وعدل الإسلام؟

www.abulhasanalinadwi.org

حسن البنا في محراب التاريخ الإسلامي

هذا الإسم الذي دوى في بلاد العجم وعواصمها، كما دوى في القاهرة الزاهرة و دمشق الفيحاء، واعترف بلمعانه الأصدقاء والأعداء على السواء، هذا الإسم الذي كسب حامله ود الشبان والشيوخ والرجال والنساء في العالم الإسلامي كله من غير استثناء..هذا الإسم الحبيب لا يزال غرة في جبين التاريخ الحديث.

أجل – أيها الإمام الشهيد – قر عينا في رحاب الخلود فإن وراءك جيلا جديدا أنشأته على الحب في الله والبغض في الله.

جيلا مؤمنا مسلما لا يقف في أعتاب الرؤساء والوزراء و ولائم الملوك والأمراء ولا يبالي بسخط حاكم أو سلطان في شرع و دين وقضية من قضايا الإسلام والمسلمين، ولا يخاف في الله لومة لائم.

﴿إنه في الصلح والسلم غزال الحمى وفي الحرب والنضال أسد الشرى﴾.

وهذا الجيل الجديد المثقف الواعي، القوي الأمين، الأغر الأبلج ليس إلا مأثرة من مآثرك، وثمرة من ثمرات جهادك، ونتيجة من نتائج حبك وإخلاصك.

ونحن نقدمه – في هذه اللحظة الخالدة – إلى روحك الطاهرة التي ترفرف بأجنحتها الشفافة في عليين فطب عيشا ونم هادئا مطمئنا فإن زرعك قد أينع وأثمر رغم الظلم والظلام.

www.abulhasanalinadwi.org

إنه قد طال الليل واقترب الفجر وها هي تباشيره قد بدت في الأفق، ولو أنكر المنكرون.

إنها ضريبة الحب ندفعها إليك – أيها الإمام الشهيد – من وراء البحار راضين مسرورين، فقد ملأت القلوب إيمانا وعرفانا، وملأت الحركة الإسلامية حيوية ونشاطا وحولت جسمها البارد قلبا ثائرا، ودما فائرا، إنك أيقظت النائمين، ونبهت الغافلين والحالمين، وجعلت من أمة هامدة خامدة أمة كلها حركة ونشاط وعمل وجهاد، فإذا العالم يرى دعوة محدودة تنبعث من الإسماعيلية – تلك النقطة الحساسة المباركة في أرض النيل – ثم لا تلبث أن تغطي أشعتها العالم العربي كله والعالم الإسلامي بأسره.

وذلك كله يعود إلى شيء وحيد.

وهو اتصالك بالله، وروحك المشرقة، وقلبك العامر الكبير، وتجاربك الواسعة في مجال الدعوة، وصلتك الشخصية بالجماهير، وجمعك بين الدنيا والدين وبين الشدة واللين.

إن سر نجاح الإمام الشهيد في مجال الدعوة هو السر الذي كشفه القرآن الكريم حين صور جانبا عظيما من حياة النبي صلى الله عليه وسلم فقال ﴿ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين﴾[1].

وما أحوجنا اليوم إلى هذه الناحية الهامة، ما أحوجنا اليوم إلى الحلم والصفح، والغفران، والحب، والعرفان بالجميل، والأخوة الندية

---

[1] سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

www.abulhasanalinadwi.org

العذبة، وأيم الله إنها الناحية الوحيدة التي فقدناها وفقدنا معها الخير كله والبركة كلها.

كان العدو اللدود والخصم العنيد يأتي حسن البنا لا يريد به إلا الشر، ولا يضمر له إلا الكيد، ثم يعود محبا مأخوذا بجمال إيمانه ونور وجهه وحسن سريرته.

ولا أبالغ إذا قلت: إن مصر لم تجتمع على رجل مثل ما اجتمعت على حسن البنا، ولم تحب أحدا مثل ما أحبت حسن البنا، ولم يدم حبها لأحد مثل ما دام له، وكان حبها له طواعيا لا دعائيا، وتلقائيا لا صناعيا، حب ينبع من قرارة النفس، ولا يفرض عليها من الخارج، حب تباركه الملائكة ولا تمسه الشياطين، وتوحيه نوازع الخير لا نوازع الشر.

هذا الحب السماوي العلوي، الشفاف، الطاهر، العذب الندي كان نصيب حسن البنا منذ نعومة أظفاره، وياله من نصيب!

والسمة الثانية التي امتاز بها الإمام هو جمعه بين جوانب مختلفة من الوعي والثقافة كأنه التقت فيه شخصيات مختلفة تمثل وجهات مختلفة وذلك كله في إطار عام واحد، إطار الدعوة والجهاد والإخلاص في القول والعمل، فكان متضلعا بالروح الدينية عارفا بروح العصر، خبيرا بمتطلبات الجيل وفراغ النشء الجديد، وإخفاق الحضارة المعاصرة، وكان عالما راسخ العلم مرشدا روحيا للإخوان يطلع على مكائد النفس ومزالقها، خطيبا ساحرا يأخذ بمجامع القلوب ويملك عنان الكلام، مجاهدا يبذل جهده و وقته وماله ونفسه في سبيل الله، مصلحا اجتماعيا يعرف الأمراض النفسية والأدواء الخلقية والمشكلات الاجتماعية، سياسيا محنكا لا يساوم على مبدأ، ولايؤخذ على غرة، ويثبت تفوقه على الأقران في هذا الميدان، كاتبا بليغا سهل اللفظ، غزير المعنى، حسن الديباجة لا يتكلف فيه ولا يتنمق،

www.abulhasanalinadwi.org

وكان أبا وأخا وصديقا في وقت واحد، يجد عنده كل حائر شارد اللب حل مشكلته وبلسم جرحه، وراحة فؤاده، كأنه أنشط من عقال أو فك من اسار، اسار الشهوة، أو اسار الشبهة والوسوسة.

إن داعية وإماما هذا شأنه لا بد له أن يقود أمة، و يبني مجدا، ويصنع تاريخا، يبتكر أسلوبا جديدا للدعوة يجمع بين الروحية الغيبية الصافية، والعقل المؤمن النير، والنموذج العملي الأخاذ، والسيرة العطرة المنعشة.

وهكذا كان، فقد هيأ الرجل بالتوفيق الالهي الذي حالفه في كل وقت وبجهوده المتواصلة، ورحلاته المتوالية وأعماله الشاقة في حقل الدعوة وإشرافه الشخصي على مكاتب الإخوان وفروعهم، والاتصال العائلي الوثيق بمشكلاتهم الاقتصادية والروحية معا، جيلا عرف بنظره العف ويده النظيفة وقلبه السليم، وثباته على جادة الحق، وسمعه وطاعته للمرشد.

لقد بنى أمة فأحسن البناء.

والسمة الثالثة: اتصاله برجال تأثر بهم واستقى من معينهم الصافي، وقد قيد في مذكراته – كما هو المعلوم – أسماء هؤلاء الرجال وذكر اتصاله العميق بهم وأثنى عليهم إذ وجد عند القوم حلاوة الإيمان عندما تدخل بشاشة القلوب، ذلك الاتصال الذي يمنع الإنسان من السقوط في الهاوية، ويحفظ من فتن الليل والنهار، ومن وساوس الصدر، وشتات الأمر، ومن شياطين الجن والانس، ومن ظاهر الحياة الدنيا وزينتها، ويثبت قدميه عند التهديد والإغراء، وفي مواقف السلطان والجاه، وفي السراء والضراء وحين البأس.

هذا السياج المنيع من الاتصال الشخصي – برجال قويت صلتهم بالله، وخلت قلوبهم من حب الدنيا، و وصلوا إلى مراتب القبول واليقين،

www.abulhasanalinadwi.org

﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك﴾[1].

إن محراب التاريخ الإسلامي محراب واسع كبير... لا ترى مثله في الحضارات البائدة ولا في الحضارات السائدة، إنه محراب لا يقف فيه إلا عظماء التاريخ الإسلامي وأفذاذهم وعباقرتهم وكبار أساتذة الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله بالقلم واللسان والمهج والأرواح.

إنه محراب عظيم متنور الأرجاء، متهلل الوجه، مشرق السمات والملامح، محراب يبدأ من خاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأكرمين ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم..

وإني على يقين أن مقام إمامنا الشهيد مقام كبير في هذا المحراب لأنه حمل هذه الدعوة على أكتافه في هذا الزمن الأخير حينما ظهر الفساد في البر والبحر، وأصبح فيه القابض على دينه كالقابض على الجمر.

فهنيئا لك أيها الإمام هذا المقام الرفيع.

وهنيئا لك هذا الجيل المؤمن الذي لا يزال على عهدك وطريقك، وإن طال الليل وساد الصمت، وخيم الظلام.

[1] سورة القصص، الآية: ٧٧.

www.abulhasanalinadwi.org

وكأنهم رأوا الآخرة رأي العين – حفظ حسن البنا الولد والشباب والخطيب والكاتب والمصلح الاجتماعي والسياسي ومؤسس الجماعة ورائد الدعوة من أخطاء جوهرية يقع فيها بعض كبار الأذكياء وزعماء الإصلاح حين يترفعون عن الاتصال الشخصي والتربية الدينية، تأخذهم العزة بالعلم – ولا أقول العزة بالإثم – وكأنهم يقولون بلسان ﴿أهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾ بلى، وهو كذلك ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾.

هذا الاتصال منح حسن البنا قوة تعلو على الأهواء والرغبات في سائر المجالات وفي جميع أدوار حياته ومواقف دعوته وبطولته، ولكنه لم يقبع في زاوية أو حجرة خالية أو صومعة هادئة بل خرج بهذا الزاد الإيماني، خرج بهذا الوقود، وبهذه الشحنة الجديدة من الإيمان إلى ميدان العمل والكفاح.

وهنا يختلف الداعية الإمام عن بعض هؤلاء من غير أن يتجنى عليهم أو يلومهم، لأنه يعرف فضلهم على نفسه ويرى أثر هذا الفضل في قلبه، ويشعر بقوة ولذة غريبتين عندما يقاوم تيار الفساد، ويصمد أمام الفتنة والإغراء، فكيف يستهين بشأنهم وقد أخذ منهم ما أخذ وتزود منهم لغده ما تزود، وعرف عندهم لذة روحية لا تساويها لذات الدنيا بأكملها، إنها لذة الحب والإيمان، فمزجها بلذة الجهاد وتحمل الشدائد في سبيل الله وكلمة حق عند سلطان جائر.

وهي ميزة قلما توجد في رجل واحد، فإما مرشد روحي لا يعرف الحياة، وإما اجتماعي عامل في حقل الدعوة لا يعرف لذة الروح.

أما الإمام فقد جمع الناحيتين الهامتين فأحسن الجمع.

وكان عاملا في ذلك بالحكمة القرآنية.

www.abulhasanalinadwi.org